الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبية

وزارة التربيـــة الوطنيـــة

مديرية التعليم الثانوي العام

المختار في الأدب والنصوص

السنة الثانية الثانوية

طبعة منقحة

الفرْع الأدَبي

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية

الجمهوريــــة الجزائريــــة الديمقراطيــــة الشعبيــــة

وزارة التربيــــة الوطنيــــة

مديرية التعليم الثانوي العام

المختار في الأدب والنصوص

السنة الثانية الثانوية

الشعب الأدبية

الإشراف على التأليف :

- محمد العكي : م . ت . ت

الإشراف على التعديل :

- أمنــــة أشــــلي : م . ت . ت

الإعداد :

- ســــاعد العــــلوي
- بدر الدين بن تريدي

الإعداد :

- الأخضــر مــراح
- عادلــة بــورزاق

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

لعل من المسلم به أن الكتاب المدرسي،وخاصة في نظامنا التربوي وفي الوضع الراهن، يعتبر في مقدمة الوثائق التربوية والوسائل الأساسية بالنسبة لعملية التعليم والتعلم. فوجوده يكتسي أهمية بالغة سواء بالنسبة للتلميذ أو الأستاذ. إذ هو مرجع للأول وسند بيداغوجي للثاني. والواقع أن بعض الكتب المستعملة في مرحلة التعليم الثانوي، والتي يعود تاريخ إصدار أكثرها إلى الثمانينات، اصبحت لا تساير المناهج لا من حيث المحتوى ولا من حيث المنهجية، نظرا لما اعترى برامج هذه المرحلة التعليمية من تغيير وتعديل، خاصة مع بداية العشرية الجارية التي عرف فيها التعليم الثانوي تغييرات معتبرة شملت بنيته ومحتواه. الأمر الذي زاد في اتساع رقعة التباين وقلة الانسجام بين البرامج التعليمية، والكتب المدرسية المتداولة التي بقيت كما هي منذ تأليفها.

وفي إطار الإجراءات التحسينية الشاملة والمتكاملة، ولمعالجة النقائص والاختلالات البينة والعمل باستمرار على ترقية العوامل والوسائل التي تسهم في تحقيق الأهداف التربوية المسطرة، رأينا أن نشرع هذه السنة وتحضيرا للدخول المدرسي 1999 / 2000 في عملية تصحيح وتعديل وإثراء مضامين الكتب المدرسية المستعملة وتكييف محتوياتها - ما أمكن ذلك - مع البرامج المطبقة، مع مواصلة إعداد كتب جديدة لتغطية جميع المواد المدرسة والأساسية منها على الخصوص. هذا إلى جانب الإعداد لبناء مناهج جديدة - في إطار الإصلاح - ثم وضع كتب موافقة لها.

وتجدر الإشارة بهذا الصدد، إلى أن قضية الكتاب المدرسي لا تكمن في نوعيته وتوفره بين أيدي التلاميذ فحسب، بل تتعدى ذلك إلى كيفية استعماله بفعالية وإدراك وظيفته وأساليب استثمار محتوياته والانتفاع به. وهي أمور ينبغي للسادة الأساتذة أن يولوها العناية والاهتمام اللازمين.

أخيرا، نأمل أن يكون في هذا العمل ما يعزز جهود الأساتذة ويساعدهم على أداء مهامهم التربوية، وأن يجد فيه التلاميذ الأداة المشوقة والمحفزة على العمل والاجتهاد في طلب العلم.

والله ولي التوفيق

مدير التعليم الثانوي العام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة : (الطبعة الجديدة)

بنـاء على ما أدخل على منهـاج اللغة العـربية وآدابها من تعـديلات ارتأينـا من الضرورة بمكان إجراء التعـديلات المناسبة في كتاب الأدب والنصـوص باعتباره وسيلة أساسية لتطبيق المنهاج.

وقد راعينا في هذا المجال بُعدين :

- بعد المحافظـة على الإطار العام للتأليف الأصلي.

بعد التعديلات المشار إليها اعتمادا على العمليات الآتية :

1 ــ تثبيت النّصـوص المقـرّرة والنّصــوص الـدّاعمــة في كلّ محور من محاور برنامج الأدب والنّصوص.

2 ـ حذف قسم القراءة بعد حذف هذا النّشاط في المنهاج.

3 ـ نقل النّصوص من مستوى إلى آخر حسبما يتطلّبه برنامج كلّ مستوى.

4 ـ إضافة النّصوص الّتي أضافها المنهاج ممّا لم يكن مقرّرا من قبل.

وقـد اكتفينا بهذه العمليـة رجـاء توفير النّص والكتـاب بين أيـدي التّلاميـذ، ولتيسير مهمة الأستـاذ، ومع ذلك ننصح زملاءنــا الأساتذة أن يدفعـوا التلاميذ إلى الاعتماد على النّفس في معـالجة النّصـوص، وأن يحثّوهم على ممـارسـة التّحليل والنقد قـبل الاطّلاع على الشّروح المتوفّـرة في الكتـاب، وأن يجعلوا هذه الشّروح مـرجعـا لتصحيح ما لاحظـوه واكتشفـوه بأنفسهم من قبل. فبـالممارسـة يتحقّق التّعلم والاكتساب.

وفقنا الله وإياكم في خدمة الناشئة والتربية

آمنــة آشــلي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمــة

بفضل الله وعونه، وتوفيقه وهديه، نقدم لأبنائنا تلاميذ السنة الثانية الثانوية (آداب) كتاب «المختـــار في الأدب والنصوص» وفق المنهج الجديد، سالكين فيه الطريقة التي اتبعناها في كتاب السنة الأولى الثانوية، عرضنا فيه الـــفنون الأدبية المقررة، مســـــايرة للمنهج الرسمي من جهة، وتَقْفِية للفنون المدروسة من قبل، من جهة أخرى.

وتقوم خطة الكتاب في معالجة هذه الفنون على منهجية واضحة محددة ، تتلخص في تعريف الفن تعريفا مختصراً ، قبل عرض نصوصه النموذجية ، فترجمة موجزة للأديب ، وشرح مناسبة النص ، وعرضه مشكولا ، ثم تحليله وشرحه ونقده معنًى ومبنًى ، واستنباط ما يمكن استنباطه ، وأخيراً تأتي التارين التطبيقية المتنوعة ، وخلال دراسة الفن أو في أواخره يعطى مقال ، أو بحث أدبي ، أو تحليل نص يُمَكِّن التلاميذ من الاستزادة والتعمق في المادة . وتنتهي دراسة الفن بتقديم صورة عن تطوره وخصائصه .

وبعد ، فإننا نرجو من الزملاء أساتذة اللغة العربية وآدابها أن يضعوا هذا الكتاب موضع التجربة والاختبار في الميدان العملي ، وأن يتفضلوا فيكتبوا إلينا بملاحظاتهم وآرائهم ، ونتائج تجاربهم ، ونحن نرحب بهذا ونستفيد منه في تقويم الكتاب وتنقيحه .

والله نسأل أن يهدينا سبيل السداد ، ويلهمنا التوفيق والرشاد .

مفتش التعليم الثانوي والتكوين
محمد العكـــي

توجيه في طريقة تدريس الأدب والنصوص

لكي تأتي دروس النصوص بالفائدة المَرجوّة. وتصبح من الدروس الممتعة. يفهمها التلميذ ويتذوقها. يحسن أن يقوم الدرس على المراحل الآتية :

1 - إعداد الدرس إعدادًا جيّدًا ثقافيا وتربويا ونفسيا قبل إلقائه. على ألاّ يُكتفَى في الإعداد الثقافي بما ورد في كتاب التلميذ.

2 - تكليف التلاميذ قراءة النص في منازلهم قراءة تَفَحص وامعان. محاولين تفهم معانيه وادراك مراميه. وتذوق جماله.

3 - التمهيد للنص. ويتناول حديثا استهلاليا. وتعريف صاحبه بإيجاز. وشرح مناسبته إن كانت.

4 - القراءة : يقرأ الأستاذ النص قراءة نموذجية مُعبِّرة ممثلة للمعاني والأحاسيس. ويُقْرِئه بعض التلاميذ. مقتدين بالقراءة النموذجية.

5 - الفكرة العامة : وطريقة استنتاجها أن يوجه الأستاذ طائفة من الأسئلة تتناول المعنى الإجمالي للنص. وتساعد على تحديد فكرته العامة.

6 - الشرح : يتم الشرح عن طريق الوحدات : وذلك بقراءة الوحدة من أحد التلاميذ المجيدين. وشرح ما ورد فيها من مفردات صعبة ومناقشة معانيها بواسطة الأسئلة المعدة إعدادًا محكما. وتلخيصها. واستنتاج فكرتها الأساسية.

7 - المناقشة التذوقية : بعد فهم الوحدة. يوجه الأستاذ أنظار التلاميذ إلى كلمة جَزْلَة. أو عبارة جميلة. أو صورة رائعة ... ويناقشهم فيها مناقشة تُسفر عن إدراك جمالها وسر بلاغتها.

8 - **الدراسة الأدبية والفنية** : بعد فهم النص وتذوقه تلقى عليه نظرة نقدية عامة تتناول :

أ) المعاني والأفكار من حيث وضوحها، وتسلسلها، وجدتها، وعمقها، وقيمتها...

ب) العواطف: وذلك بتحديد نوع العاطفة أو العواطف والحكم عليها من حيث القوة والصدق...

جـ) الأسلوب : وذلك بالتعرض للصفة الغالبة عليه في الألفاظ والعبارات ، والأساليب ، والخيال ، والبديع ، والموسيقى .

د) الأحكام والقيم : وذلك باستنتاج مايصوره النص من ظواهر البيئة ، ومايعكسه من مميزات صاحبه ، ومايتضمنه من قيم . وينبغي أن تكون هذه الحقائق والأحكام مستنبطة نابعة من النص ذاته ، يحسها ويلمسها التلميذ .

10 – التطبيق: وذلك بتكليف التلاميذ إنجاز بعض التمارين التطبيقية التي تختبر الفهم الدقيق، والتذوق الأدبي، والقدرة على الاستنتاج والاستنباط، وعقد الموازنات.

الفصل الأول

أ - القرآن الكريم :

1 - آيات من سورة آل عمران (100 - 109)

2 - آيات من سورة فاطر (11 - 28)

ب - الحديث الشريف :

1 - حديث السفينة

2 - مكانة العلم والعلماء .

جـ - أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في اللغة والأدب.

الدعـوة إلى الاعتصـام
بحبـل الله المتـين

آيات من سورة آل عمران (100 - 109)

تمـهـيد :

هذا الآيات من سورة «آل عمران» المدنية ، وقد رُوي في سبب نزولها : أن يهوديا (شاس بن قيس) مرّ على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة ، وأمر شابا يهوديا كان معه أن يجلس بينهم ويذكرهم بما كان بينهم من أحقاد وحروب . ففعل الشاب ، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثبوا للقتال . وبلغ ذلك ﷺ فخرج إليهم ووعظهم ، وأصلحْ بينهم ، فسمعوا وأطاعوا . فأنزل الله قوله : «**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا . . .**» .

النـــص :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم
بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ
كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ
ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ
وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ
ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

« صدق الله العظيم »

شـرح لغـوي :

أوتوا الكتاب : أُنزل عليهم التوراة والإنجيل

- **يعتصم** : يستمسك - **حق تقاته** : تقوى حقة - **حبل الله** : القرآن

- **شفا حفرة** : حافتها - **آياته** : حججه ودلائله - **الأمة** : الجماعة

- **البيّنات** : الدلائل الواضحة - **رحمة الله** : هنا : الجنة .

تحليل وشرح :

في هذه الآيات تحذير للمسلمين من كيد بعض أهل الكتاب ودسائسهم ، التي يدبّرونها للإسلام والمسلمين لتفرقة الصف وتشتيت الشمل ، وأمر بالاعتصام بحبل الله والتمسك بشرعه القويم ، ودعوة المؤمنين إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأمْر بالائتلاف وعدم الاختلاف ، وإشارة إلى ماأعد الله لليهود والنصارى من عذاب شديد بسبب تفرقهم واختلافهم في الدين ، وقد تضمنت الآيات العناصر التالية :

أ - عدم إطاعة فريق من أهل الكتاب والتيقّظ لكيدهم .

ب - الأمر بالتقوى والاعتصام بحبل الله .

جـ - الأمر بالدعوة إلى الخير والمعروف والنهي عن المنكر والتفرق .

أ - **في القسم الأول** : يخاطب اللّه تعالى المؤمنين بصيغة النداء تكريما لهم . ليحذرهم من كيد بعض اليهود الذين يريدون ردّ المؤمنين إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من كفر وعداوة وفساد ؛ لأنّه لا قرار لهؤلاء اليهود مع قوم متحدين متآلفين . وهذا يكشف عما يضمرونه للمسلمين . ويؤيّد هذا المعنى آيات أخرى من القرآن . منها قوله تعالى : ﴿**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[1] .

ثم يعاقب اللّه تعالى هؤلاء المؤمنين ويقول لهم : كيف يتطرف إليكم الكفر والحال أن آيات اللّه لا تزال تتنّزل عليهم . والوحي لم ينقطع . ورسول اللّه حيّ بين أظهركم ؟ ثم بين اللّه أن من يستمسك بدين اللّه وكتابه فقد اهتدى إلى أقوم طريق .

(1) الآية 69 من سورة آل عمران .

ب -**وفي القسم الثاني** : أمر الله تعالى المؤمنين أن يتقوا الله كما يحقُّ أن يُتّقى ؛ وذلك بالطاعة والذكر والشكر ، وباجتناب جميع معاصيه ، وأن يتمسكوا بالإسلام ويعضّوا عليه بالنواجذ حتى يموتوا وهم مسلمون ، وأن يعتصموا بدين الله ، ولا يتفرقوا عنه ولا يختلفوا فيه كما اختلف قبلهم اليهود والنصارى .

ثم أمرهم بأن يذكُرُوا نِعَم الله عليهم : إذ كانوا أعداء أُلِدّاء فألّف بين قلوبهم بالإسلام ، وجمعهم على الإيمان ، كما كانوا مشرفين على الوقوع في نار جهنم ، فأنقذهم الله منها بالإسلام ، ثم ذكر الله لهم أنه - بمثل هذا البيان الواضح - يكشف لهم سائر الحجج والآيات ؛ لكي يهتدوا بها إلى سعادة الدارين .

جـ - **وفي القسم الثالث** : تدعو الآيات المؤمنين إلى القيام بواجب الدعوة إلى الخير ، والأمر بكل معروف، والنهي عن كل مُنكر، وهؤلاء الساعون إلى استئصال شأفة الفساد أنّى وُجد، هم المفلحون الفائزون في الدنيا والآخرة، ثم نهاهم عن أن يكونوا مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا في الدين واختلفوا فيه بسبب اتباع الهوى من بعد ماجاءتهم الآيات البيّنات الواضحات، فكان لهم من هذا التفرق عذاب يوم القيامة، أنّى تبيضّ وجوه المؤمنين بالإيمان والطاعة، وتسودّ وجوه الكافرين بالكفر والمعاصي. ويأتي التفصيل لأحوال الفريقين بعد الإجمال: فأما أهل النار فيقال لهم على سبيل التوبيخ: أكفرتم بعد إيمانكم؟ فذوقوا العذاب الشديد نتيجة كفركم، وأما السعداء الأبرار الذين ابيضّت وجوههم بأعمالهم الصالحات فهم في الجنة خالدون فيها أبدا.

ثم يبين الله تعالى لنبيه الكريم أن هذه آيات الله تُتلى عليه بالحق الذي لا مِراء فيه ، وما كان الله ليظلم أحدا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، وخُتمت الآيات بتذكير الناس أن الجميع مِلْك له وعبيد ، وهو الحاكم المتصرف في الدنيا والآخرة .

من أَسرار الأُسلوب القرآني :

هذه الآيات الكريمة من سورة «آل عمران» المدنية الطويلة ، التي نزلت بعد غزوة بدر ، وقد اشتملت على تعاليم إسلامية تقود من اهتدى بهديها من المسلمين إلى طريق الإيمان والتقوى والفلاح ، فينعمون في الدنيا بحياة العزة والكرامة والتفوّق، وفي الآخرة برضوان الله ورحمته .

وإذا تأملنا ألفاظ الآيات وعباراتها وجدناها توحي بالمعنى وتشخّصه ؛ انظر

مثلا : (حبل الله) فهي توحي بالقوة والنجاة لمن استمسك بالقرآن ، و(ألف بين قلوبكم) يُفهم منها التوادّ والتراحم بين المؤمنين ، و(إخوانا) تشير إلى أنهم كإخوان من أب وأم فلا ينفصلون عن بعضهم ، و(شفا حفرة) توحي بقرب الهلاك والإشراف عليه ، و(تبيض وجوه وتسود وجوه) توحي الأولى بالفرح والثانية بالحزن .

وأسلوب الآيات يتراوح بين الأسلوبين : الخبري والإنشائي ؛ فالخبري يقرر حقائق عاشها المسلمون الأوائل ، وذلك في الآيتين : (100 - 101) ، كما يقرر عاقبة المختلفين المتفرقين أن لهم عذابا عظيما ، وذلك في الآيات (107 - 109) . أما الأسلوب **الإنشائي** فقد ورد في قوله تعالى : ﴿**ياأيها الذين آمنوا**﴾ بصورة النداء الذي يفيد معنى التشريف والتنبيه ، وفي قوله : ﴿**أكفرتم بعد إيمانكم ؟**﴾ بصورة الاستفهام المقصود منه التوبيخ ، وفي قوله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ وصل بين الأمر والنهي اللذين يفيدان الوجوب والتحريم .

ويتجلى لنا سر من أسرار الأسلوب القرآني في قوله جل شأنه : (فقد هُدي) بصيغة الماضي الذي يفيد التحقيق بأنّ من يلتجىء إليه تعالى ويعتصم بحبله فقد تحققت هدايته وثبتت استقامته .

وأسلوب الآيات مباشر ، يقرر حقائق يعلمها الله ، ويرى بعضها البشر في واقعهم ، ومع ذلك لم تَخْلُ الآيات من **بعض الصور البيانية** الحية التي تشخص المعنى ، منها **المجاز** المرسل في قوله جل ذِكره : ﴿**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾ فالنص القرآني لم يقل : (فألّفَ بَيْنَكُمْ) إنما عبر عن الأشخاص (بالقلوب) مَكْمَن المشاعر والروابط ، فالمجاز مرسل علاقته الجزئية ، والاستعارة في قوله : (وكنتم على شفا حفرة من النار) فقد شُبهت حالة العرب قبل الإسلام لما هم عليه من ضلال وفساد بحالة مَن أشرف على طرف حفرة يكاد يسقط فيها ، فحذف المشبه . **والكناية** التي تصور حال المؤمنين وحال الكافرين يوم القيامة في قوله جل وعلا : ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ ؛ فهذه وجوه أشرقت بالنور فابيضت من البشاشة والسرور ، وهذه وجوه أظلمت من الغم والحزن ، واسودت من الكآبة ؛ فالأولى كناية عن البِشْر ، والثانية عن الحزن .

أما المحسنات البديعية فهي قليلة ، منها المقابلة في قوله تعالى : ﴿**وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، والطباق في قوله : (تَبْيَضّ ... وتَسْوَدّ ...) .

– ومهما قيل عن الأسلوب القرآني في جماله وبلاغته فهو فوق مستوى أساليب البَشَر، وفي أعلى قمة البيان. وكيف لا ؟ وهو كلام الرحمٰن، الذي ﴿**علّمَ القرآن**[2]، **خلقَ الإنسان**[3]. **علّمه البيَّان**[4]﴾ «**الرحمٰن**».

تماريـــن تطبيقيـــة :

1 – ربطت الآية الأولى بين شرط ومشروط. فما هما ؟ وماذا يفيد ذلك ؟

2 – كَيْـد اليهود للمـؤمنين في عصر النبـوة بـارز في الآيـات. فهـل تراهم مـازالـوا في كيدهم ؟ اذكر أمثلة، واقترح علاجا.

3 – في الآيات السابقة ذُكِرَتْ نِعْمَتَان من نعم الله على المؤمنين الأوائل. فما هما ؟

4 – نهانا الله عن الموت على غير الإسلام. اشرح المعنى بعبارتك.

5 – أمرنا الله في الآيات بـالاتحـاد. فـما هي فوائـده في نطـاق الأمـة ؟ ومـا مضـار الاختلاف ؟

6 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤديان إلى الفوز في الدارين، وتركهما يؤدي إلى الخسران فيهما. اذكر مثـالين عن كـلا الحـالين في الأمـة الإسـلاميـة مـاضيـا وحاضرا.

7 – ابحث في الآيات عن ثلاثـة أسـاليب إنشـائيـة متنوعـة غير مـدروسـة في النص، واذكر غرضها البلاغي.

8 – شرحت لك صور بيانيـة، ابحث في أوائل الآيـات عن استعـارة، وفي أواخرهـا عن مجاز مرسل واشرحها.

9 – ما السر في التقابل المبثوث في الآيات بين الأمر والنهي ؟

10 – احفظ الآيات بأداء جيد.

مـقـــال أدبــــي :

قال الله تعالى: «**وَلْتَكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**»

اكتب مقالة أدبية تبين فيها أهميـة الـدعوة إلى الخير والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر في فلاح الفرد والأمة.

عظمة الله تتجلّى
في بَديع خَلقه

آيات من سورة فـاطـر (11–28)

تمهيد :

سورة فاطر مكية نزلت قبل هجرة رسول الله ﷺ ، فهي تسير في الغرض العام الذي نزلت من أجله الآيات المكية ، والتي يرجع أغلبها إلى المقصد الأول من رسالة كل رسول ، وهو قضايا العقيدة الكبرى : «الدعوة إلى توحيد الله ، وإقامة البراهين على وجوده ، وهدم قواعد الشرك ، والحث على تطهير القلوب من الرذائل ، والتحلي بمكارم الأخلاق» .

وهذه الآيات التي نقدمها لك تتحدث عن آيات الله في الكون ، وفي الإنسان ، ودلائل قدرته تعالى ، ونعمه على الخلق ليتذكروا آلاء الله فيوحدوه ويؤمنوا به .

النص :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ
أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿11﴾

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ
أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ
لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا
لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا
يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ
وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ
كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ
بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ
النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

«صدق الله العظيم»

شرح لغوي :

- **عذب فرات** : شديد الحلاوة - **ملح أجاج** : شديد الملوحة - **مواخر** : تشق الماء - **يولج** : يُدخل - **قطمير** : لفافة النواة - **لا تزر** : لا تحمل - **تزكي** : تطهر - **الحرور** : شدة الحر - **نكيري** : إنكاري - **جدد** : طرائق واحدُها جُدة - **غرابيب** : شديدة السواد - **الزبر** : الكتب المنزلة ، كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام

تحليل وشرح :

- هذه الآيات من سورة «فاطر» المكية ، ولذا نجد فيها الدعوة إلى توحيد اللّه . واقامة البرهان على وجوده . وهدم قواعد الشرك . والحث على تطهير القلوب من الرذائل . والتحريض على النظر في عجائب صنعه تعالى . وآثار قدرته .

- وقد تحدثت الآيات في البدء عن دلائل التوحيد وقدرة البارئ جل وعلا التي تتجلى في خلق أصل الإنسان . وهو آدم . من تراب . وخلق ذريته من ماء مهين . مبينة أطوار هذا الخلق ومراحل حياته من حمل ووضع إلى زواج وتكاثر . وطول عمر أو قصره . وكل ذلك يمضي وفق قدر مرسوم في كتاب مبين .

- ثم أقامت الآيات الأدلة والبراهين على القدرة الإلهية . في صفحات هذا الكون المنظور . بمشهد البحرين المختلفين عذوبة وملوحة . وبما أودع اللّه فيها من نعم ... ثمَّ ذكرت آية أخرى من آيات قدرته في الآفاق . وهي دخول الليل في النهار . ودخول النهار في الليل . وتفاوت طول كل منها بالزيادة والنقصان حسب الفصول والأمصار ثمَّ ذكرت سخير الفرقدين وتذليلها لصالح العباد . وسير كل منها ودورانه في مداره الذي قدره اللّه له لا يتعداه . إلى أجل معلوم . وكل ذلك من صنع اللّه الذي له والعلم الملك والسلطان .

- ثم قرعت المشركين في عبادتهم للأوثان والأصنام ، وبينت لهم أن الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تملك فتيلا ولا قطميرا ، وأكدت أن هذه الأصنام إنْ دَعَوْها لم تسمع دعاءهم ، ولم تستجب لندائهم ؛ لأنها جمادات لا تسمع ولا تعي ، ولو سمعت الدعاء ـ فرضا ـ مااستجابت للدعاء ؛ لأنها لا تنطق ، وفي الآخرة حين ينطقها الله تتبرّأ من الذين ألّهوها وعبدوها ... ثم أكدت الآيات لمحمد ﷺ أنه لا يخبره أحد خبر اليقين إلا الله الخالق العليم .

- ثم خاطبت الآيات جميع البشر لتذكيرهم بنعم الله الجليلة عليهم ، فهم المحتاجون إليه تعالى في بقائهم وكل أحوالهم ، وهو جل وعلا الغني عن العالم على الإطلاق ، المحمود على نعمه التي لا تحصى ، ثم قررت استغناءه تعالى عن الخلق أجمعين ، وقدرته على إهلاكهم وإفنائهم والإتيان بقوم آخرين غيرهم لو شاء ، وليس ذلك بصعب على الله ... وقررت بعد ذلك حقيقة فردية التبعية والجزاء ، فكل فرد مَجْزِيٌّ بعمله ، لا

ينفعه أحد بشيء ، وإن تَدْعُ نفس مثقلة بالأوزار أحدًا ليحمل عنها بعض أوزارها لا يتحمل عنها ، ولو كان المدعوُّ قريبًا لها ، فلا مُغيثَ يومئذ لمن استغاث ... ثم تقول الآيات : إنما تنذر - يا محمد - بهذا القرآن الذين يخافون عقاب ربهم ، وأدَّوا الصلاة على الوجه الأكمل ، فضموا إلى طهارة نفوسهم طهارة أبدانهم بالصلاة المفروضة في أوقاتها المحددة ، وثمرة هذا التطهر عائدة على الإنسان نفسه ، وإلى الله وحده مرجع الخلائق يوم القيامة ؛ فيجازي كلاً بعمله ...

- ثم بينت الآيات الفارق الكبير بين المؤمن والكافر. فكما لا يتساوى الأعمى والبصير. والظلمات النور. والظل والحرور. والحي والميت. كذلك لا يتسلوى الإيمان والكفر والصدق والكذب. ثم زادت في الإيضاح وقالت: إن الله يُسمع من يشاء إسماعه دعوة الحق ، وما أنت يا محمد - بمسمع هؤلاء الكفار ؛ لأنهم أموات القلوب لا يدركون ولا يفقهون ، وما أنت إلاَّ رسول بشير للمؤمنين. ونذير للكافرين. بعثناك بالهدى ودين الحق... ولتسلية الرسول ﷺ ذكرت الآيات أنّه ما من أمة من الأمم الغابرة ، إلا وجاءها رسول ، وإن يكذبك - يا محمد - هؤلاء المشركون من قومك فقدكذّب الذين من قبلهم من الأمم السابقة رسلهم رغم المعجزات البيّنات التي جاءوا بها. ورغم الكتب المنيرة المنزلة عليهم ، فاصبر - يا محمد - كما صبروا. فبعد إمهال أولئك الكفار ، أخَذْتُهم بالهلاك والدمار ، فكيف كانت عقوبتي لهم وانكاري عليهم؟ ألم آخذهم أخذ عزيز مقتدر؟ ألم أبدل نعمتهم نقمة. وسعادتهم شقاوة. وعمارتهم خرابا؟ وهكذا أفعل بمن كذب رسلي...

- ثم عادت الآيات إلى تقرير وحدانية الله بالأدلة السماوية والأرضية ، فبدأت بآية إنزال الماء من السماء ، وإخراج الثمرات المختلفة الألوان ، ثم انتقلت إلى أصناف الجبال وتنوّعها وتعددها ، ثم ألوان الناس ، وهي لا تقف عند حد ، وكذلك ألوان عجائب صنعه تعالى ، وآثار قدرته ؛ ليؤدي ذلك إلى العلم بعظمة الله وجلاله ، ويؤدي العلم إلى خشيته ؛ ولذا قصرت الآيات في آخرها تلك الخشية في العلماء العارفين بقدرة الله ؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر ... ثم ذكّرت الآيات بغلبة الله على كل شيء ، وبمغفرته لمن تاب وأناب من عباده .

من أسرار الأسلوب القرآني:

- هذه الآيات من سورة فاطر، تمثل وحدة متماسكة متوالية الحلقات، متتالية الإيقاعات، فهي كلها موضوع واحد.

- والسمة البارزة الملحوظة في هذه الإيقاعات هي بيان أسباب وعلامات القدرة الإلهية المبدعة وإظهارها متمكنة ومتحكمة في جميع المخلوقات بلا معقب ولا شريك ولا ظهير. فالخلق والتكوين والنسل والأجل كلها بيد الله لا تندّ عنها، ويدُ الله المُبْدِعة هي التي تعمل في هذا الكون بطريقتها المُعلَمة، وتصبغ وتلون الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

- وفي الآيات كذلك عرض الأدلة على قدرة الله سبحانه وتعالى في صفحة الكون حيث لاخفاء فيها ولا غموض، فمن شاء أن يؤمن فهذه أدلة الإيمان، ومن شاء أن يضل فهو يضل عن بيّنة، وقد أخذته الحجة من كل جانب

- وقد غلب على الآيات الأسلوب الخبري، لأنه أنسب للمقام الذي يقتضي عرض الأدلة والشواهد التي تثبت وتقرر وحدانية اللّه وقدرته حتى تدفع بالقلوب إلى الخشوع والإذعان. تلك الأدلة التي يشملها الكتاب الكوني الجميل الصفحات، العجيب التكوين والتلوين، يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول: إن العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون اللّه. ومما ورد من الأساليب المؤكدة للتقرير الوارد في الآيات: قصر الصفة على الموصوف «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه مِنْ بَادِهِ الْعُلَمَاءُ».
كما أنه وردت بعض الأساليب الإنشائية مثل: الاستفهام التقريري المتضمن لمعنى التعجب: «ألم تر أن اللّه أنزل من السماء ماءً...».

- وقد تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع فمن البيات: **الاستعارة** التصريحية: «وما يستوي الأعمى والبصير...» شبه الكافر بالأعمى. والمؤمن بالبصير بجامع ظلام الطريق وعدم الاهتداء على الكافر. ووضوح الرؤية والاهتداء للمؤمن. ثم استعار المشبه به «الأعمى للكافر» واستعار «البصير للمؤمن» وفي الآيات استعارات أخرى جاءت على هذا النمط.

ومن **البديع** الوارد في الآيات: الطباق بين: «تحمل وتضع. يعمّر وينقص من عمره. يذهب ويأت. الأعمى والبصير...الخ».

– وتَوافُق الفواصل مما يزيد في جمال الكلام ورونقه ووقعه في النفس مثل : «وما يستوي الأعمى والبصير ، إلى الله المصير» «ولا الظلمات ولا النور» «ولا الظل ولا الحرور» ...الخ .

تمارين تطبيقية

1 – ورد في الآيات وصف لمشاهد الكون وإبداعه ، لماذا ؟
2 – أيها أحق بالعبادة : خالق هذا الكون أم الأوثان التي لا تملك نفع نفسها أو دفع الضرر عنها ؟ كيف ذلك ؟
3 – في هذه الحياة الدنيا يتضامن الأقارب ويتعاونون ، فهل يتيسر لهم ذلك في الآخرة ؟ ولماذا ؟
4 – لماذا ركزت الآيات على إبراز التضاد في المخلوقات ؟ وما مصير كل من المطيعين والعصاة ؟
5 – ماهي مهمة الرسول ﷺ تجاه قومه ؟
6 – ما موقفهم من رسالة الرسول ﷺ ؟ وكيف كانت عاقبة المكذبين برسلهم من الأمم السابقة ؟
7 – ختمت الآيات بذكر براهين تدل على قدرة الله ووحدانيته .
مَنْ مِنَ النَّاس يدرك تلك البراهين أكثر من غيرهم ؟ وما أثر ذلك في نفوسهم ؟
8 – شرحت لك استعارة تصريحية ، فارجع إلى الآيات واستخرج منها استعارتين أخريين ، واشرحهما وبيّن أثرهما في المعنى .
9 – احفظ الآيات كلها .

الحدثُ النبويُّ الشريف

أ ـ حديث السّفينة

تمهيد :

كان رسول الله ﷺ أصدَقَ الناس حديثا ، وأفصحَهم لسانا وأرْقَاهم بيانا ، وأبلغَهم حِكمَةً ، وكانت حياته كلها هداية ونورًا ، وجهادًا يستمد منها الخَلْق سَدادَهم ورشادهم في أُولاَهُم وأُخْرَاهم ، وكانت أحاديثه تَرِدُ بيانا للقرآن ، أو تفصيلا للإجمال أو تقريرًا للأحكام ، أو إرشادًا إلى الخير وتَنْفِيرًا من الشر ، أو حكمة ينتفع بها الناس في مَعَاشِهم وَمَعَادِهم .

ومن أحاديثه ﷺ في الترغيب في الخير ، والتحذير من الشر حديث السفينة ، واليكَ نَصَّه :

النـــص :

قال الرسول ﷺ : « إِنَّ قَوْمًا رَكِبُوا سَفِينَةً ، فَاقْتَسَمُوا ، فَصَارَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَوْضِعٌ ، فَنَقَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَوضِعَهُ بِالْفَأْسِ ، فَقَالُوا لَهُ :

– مَ تَصْنَعُ ؟ !

قَالَ :

– هُوَ مَكَانِي ، أَصْنَعُ فِيهِ مَاشِئْتُ .

فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدِهِ نَجَا وَنَجَوْا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ ، وَهَلَكُوا » .

(رَوَاهُ الْبُخَارِي)

شرح لغوي :

– **نقر:** حفر وثقب – **أخَذُوا على يَدِه:** منعوه عما يريد – **هلك:** مات .

تحليل وشرح :

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدعائم التي يقوم عليها المجتمع الصالح كما تَنْشُدُه الرسالات السماوية : وقد عُنِيَ الدينُ الإسلامي بهذه الدعامة عناية بالغة ، إذ تناول القرآن الكريم موضوعَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عدد من الآيات ، وجعل الالتزام به أمراً واجبا ، وشرطا لاستقرار المجتمعات البشرية ؛ يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ،وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

أما السنّة الشريفة ، فعالجته بشيء من التفصيل ؛ إذ اشتهرت عن النبيّ ﷺ عشرات الأحاديث ، تَحُثُّ كلها على الالتزام به ، وتحذر من عواقب التواني عنه .

وحديث السفينة يحدّد عاقبة الإحجام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فقد قال الرسول ﷺ : إن جماعة من الناس ركبوا سفينة حجز كل واحدٍ منهم فيها لنفسه موضعا يستقر ويضع فيه متاعه . فإذا بأحدهم يأخذ فأسا ، ويشرع في حفر موضعه به . ولما سُئل عما يفعل قال : هو مكاني أصنع فيه ماشئت . ثم يبين الرسول ﷺ أن نجاة أهل السفينة مرهون بمنع الرجل عما يريد .

فكذلك حال المجتمعات البشرية : إذا سكتت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ساءت أحوالها وهلكت ؛ أمّا إذا أخذت على أيدي المفسدين ومنعتهم عن الإفساد ، وطبقت مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صلحت أوضاعها الخاصة والعامة وسلمت من الآفات مجتمعاتها .

أسلوب الحديث :

هذا الحديث من عجائب تمثيل النبي ﷺ وروائع كلمه . شَبّه فيه المجتمع بقوم استقلوا سفينة ، إذا تناهى القوم فيها عن المنكر وأمر بعضُهم بعضا بالمعروف نجت من المَهْلكَات وبلغت بَرَّ الأمان ، أمّا إذا توانَوْا عن ذلك ، غرقت بهم في عرض البحر

(1) الآية 104 من سورة آل عمران .

وهلكوا . فكذلك حال المجتمعات ، إذا حرصت على محاربة المنكر ، وجعلت الأمر بالمعروف ديْدَنها بَرِئَتْ من السوء . وأما إذا أغفلت ذلك كان مآلها الهلاك .

ونلاحظ في هذا الحديث ـ كما هو الحال في كثير من الأحاديث ـ قدرة فائقة على الإيجاز والتشبيه والتمثيل وإجادة الحوار . وتلك ميزة الرُّسُل : لأن المرسَلين في مقام المعلمين ، وأنجع مايكون في التعليم طريقة التمثيل والمحاورة . فقد شبه الرسول ﷺ المجتمع أيّ مجتمع ـ بقوم استقلوا سفينة ، وبلاغة هذا التشبيه أنّه يُقَدِّم أفكاراً مجردة في شكل محسوس يضبطه الخيال وتستوعبه الحافظة . وأما المحاورة فقد تجلت في سؤال وجواب، غايتها لفت الانتباه إلى الذرائع الباطلة التي يستند إليها المفسدون في الأرض ، والتأكيد على أن حرية الفرد ـ داخل المجتمع ـ مقيدة غير مطلقة .

ولعل ماجعل هذا الحديث شديد التأثير وقوي الإقناع اعتماده على القصة والحوار ؛ وهو أسلوب تربوي يحقق المراد ويقرب الفائدة .

تمارين تطبيقية :

1 – كيف تفهم معنى الحرية من هذا الحديث ؟

2 – يعلمنا الحديث كيف نأخذ على أيدي المفسدين . وضح ذلك وبين عواقب التواني عن محاربة الفساد . كيف حدّد الحديث حرية الفرد؟ ولماذا؟ وما رأيك ؟

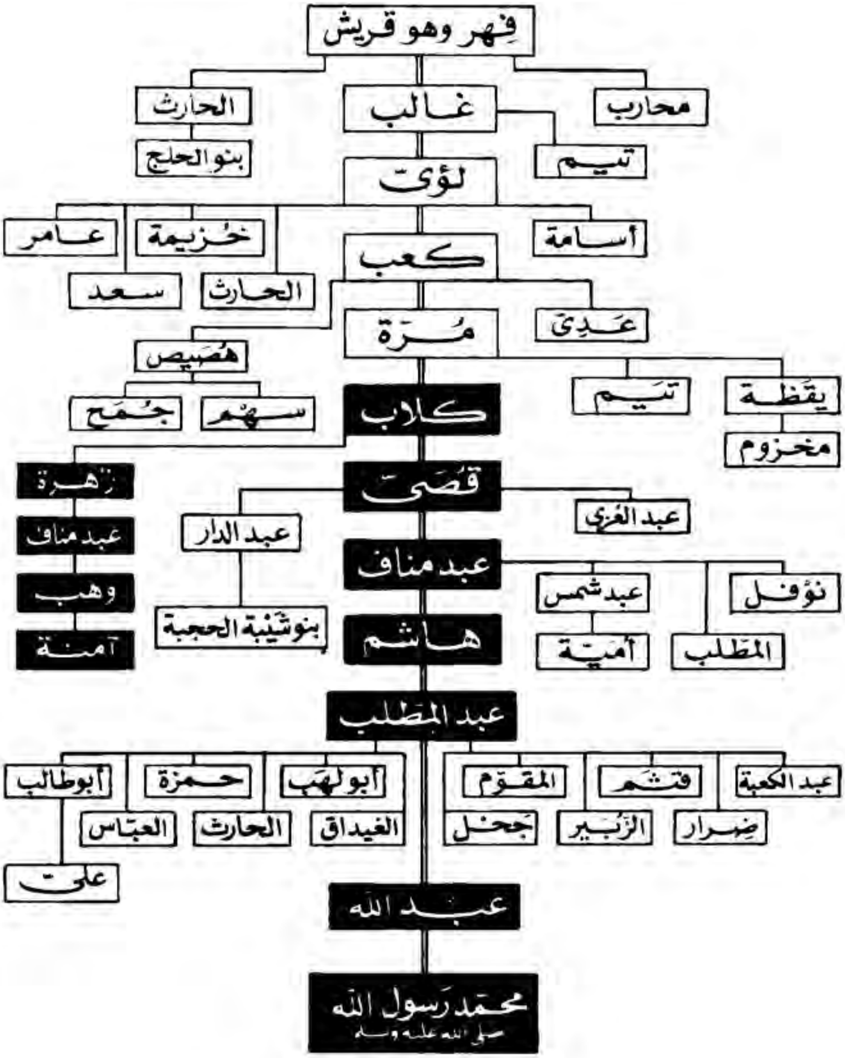
3 – في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. اذكر بعضها . وهل تقوم انت بهذه المهمة النبيلة ؟ وما هدفك ؟

4 – لعلك تحفظ حديث درجات النهي عن المنكر الذي رواه الإمام مسلم . اذكر نصّه .

5 – كثير من الأحاديث يعتمد على القصة الموجزة . ابحث في مراجعك عن حديث من هذا النوع .

6 هل من الحرية أن يسير المرء بسيارته كما يجب ؟ ولماذا ؟

نسب قريش



فهر وهو قريش
محارب
غالب
الحارث
تيم
بنو الحلج
لؤي
أسامة
خزيمة
عامر
كعب
الحارث
سعد
عدي
مرة
هصيص
يقظة
تيم
سهم
جمح
كلاب
مخزوم
زهرة
قصي
عبد العزى
عبد الدار
عبد مناف
عبد مناف
وهب
نوفل
عبد شمس
بنو شيبة الحجبة
هاشم
آمنة
أمية
المطلب
عبد المطلب
عبد الكعبة
قثم
المقوم
أبو لهب
حمزة
أبو طالب
ضرار
الزبير
جحل
الغيداق
الحارث
العباس
علي
عبد الله
محمد رسول الله

ب - مكانَةُ الْعِلم والعُلَمَاء

تمهيـــد :

ومن أحاديثه ﷺ حديث تمجيد العلم والحث على طلبه :

النــــص :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتِهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا صَنَعَ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ. وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ . وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» . **(رَوَاهُ أَبُو دَاود والتِّرْمِذِي)**

شرح لغوي :

- **يبتغي :** يَطلب - **تضع أجنحتها لطالب العلم :** أي تكف أجنحتها عن الطَّيَران ، وتنزل لاستماع العلم - **أخذ حظا وافراً :** أخذ نصيبا من الخير والفضل .

تحـليـل وشــرح :

يشتمل الحديث على بيان فضل طالب العلم النافع ، ومكانة العلماء عند الله

سبحانه وتعالى ؛ فالعلم نهج من أنهج الإيمان . وسبيل من سُبُل التقوى والتطور وطريق يُفْضِي بصاحبه إلى الجنة .

وطالب العلم يحظى بتوقير الملائكة ورضاهم ، وينال استغفار المخلوقات في السموات الفسيحة ، وفي الأرضين الواسعة ، حتى الأسماك في البحار والمحيطات .

وللعالم فضل يتجاوز فضلَ العابد قدراً ومنزلةً ، كما يتجاوز نور القمر الساطع على الأرض أنوارَ سائر الكواكب إشراقاً وقوّةً .

والعلماء يرثون عن الأنبياء العلم النافع ، ويتلقون منهم عبء توجيه عامة الناس وخاصتهم إلى سبل الفلاح في الدارين الأولى والآخرة : فمن أخذ عنهم العلم فقد نال خيرا عميا وفضلا جزيلا .

أُسلوب الحَديث :

في الحديث ترغيب شديد في طلب العلم وتبيين جلي لمنزلة العلماء . بَيْد أنَّ الإسلام لا يُرَغِّب إلاَّ في العلم النَّافع [1] . الذي يعود على صاحبه وعلى الناس كافة بالخير الوفير في الدنيا والآخرة . أما علم الدمار الكوني لإذلال البشرية فرفوض

وتمتاز أحاديث الرسول ﷺ بفصاحة القول ، وإشراق الديباجة ، وحسن التصوير والتمثيل ، والبعد عن التكلف والتعقيد . ولاعجب ، فقد أوتي الرسول ﷺ من الفصاحة والبلاغة ماجعل كلامه يحتل منزلة رفيعة تأتي بعد منزلة القرآن الكريم .

وفي حديث «مكانة العلم والعلماء» نلمس بعض هذه المميزات ، فلغته ملائمة للغة المخاطبين من جهة ، ولمقتضى الحال من جهة ثانية : فألفاظه سهلة مألوفة . وعباراته واضحة بعيدة عن التعقيد ، وصوره البيانية ميسورة التناول ، هيّنة المأخذ .

وقد اشتمل الحديث على صورتين بيانيتين في قوله ﷺ : «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم» وهي كناية عن تواضع الملائكة من ناحية ، وتعظيمها لطالب

---

(1) يقول الرسول ﷺ : «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستجاب لها» (رواه مسلم)

العلم من ناحية أخرى . وعبارة وضع الأجنحة نسق تعبيري معروف لدى العرب : قال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال شاعر :

خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحَيْ مَوَدَّةٍ . إِلَى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

والثانية في قوله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب» وهو تشبيه مُجْمَل[1] يُبْرز بوضوح سُمُوّ قدر العلماء ، وفي الوقت نفسه يبين أن المتفرغ للعبادة أقلُّ شأناً من العالم ؛ لأن نشاط الأول لا يتعدى نفسه ، أمّا نشاط الثاني فينفع غيره في دائرة واسعة تمتد عبر الزمان والمكان .

وفي الحديث بعض أساليب الإقناع مثل التوكيد بـ «إنّ» ولام التوكيد : «إن الملائكة لتضع» ، والقصر : «إنما ورثوا العلم» ؛ وهي أساليب تتعاون في تبليغ المعاني على أحسن وجه .

تمارين تطبيقية :

1 - عَظَّمَ الحديثُ طالبَ العلم . فيم يتجلّى ذلك ؟
2 - لماذا فَضَّل الحديثُ العالِمَ على العابد ؟
3 - هل حَصَرَ الحديث مفهوم العلم في مجال محدد . ماذا تستنتج من ذلك ؟
4 - يقول جَلَّ شأنه : ﴿إنَّما يَخْشَى اللهَ من عبادِه العلماءُ﴾ لماذا قصرت الآية خشية الله على العلماء ؟ وهل ترى في الحديث مايتصل بهذه الآية ؟
5 - احفظ الحديث .

نص للتحليل :

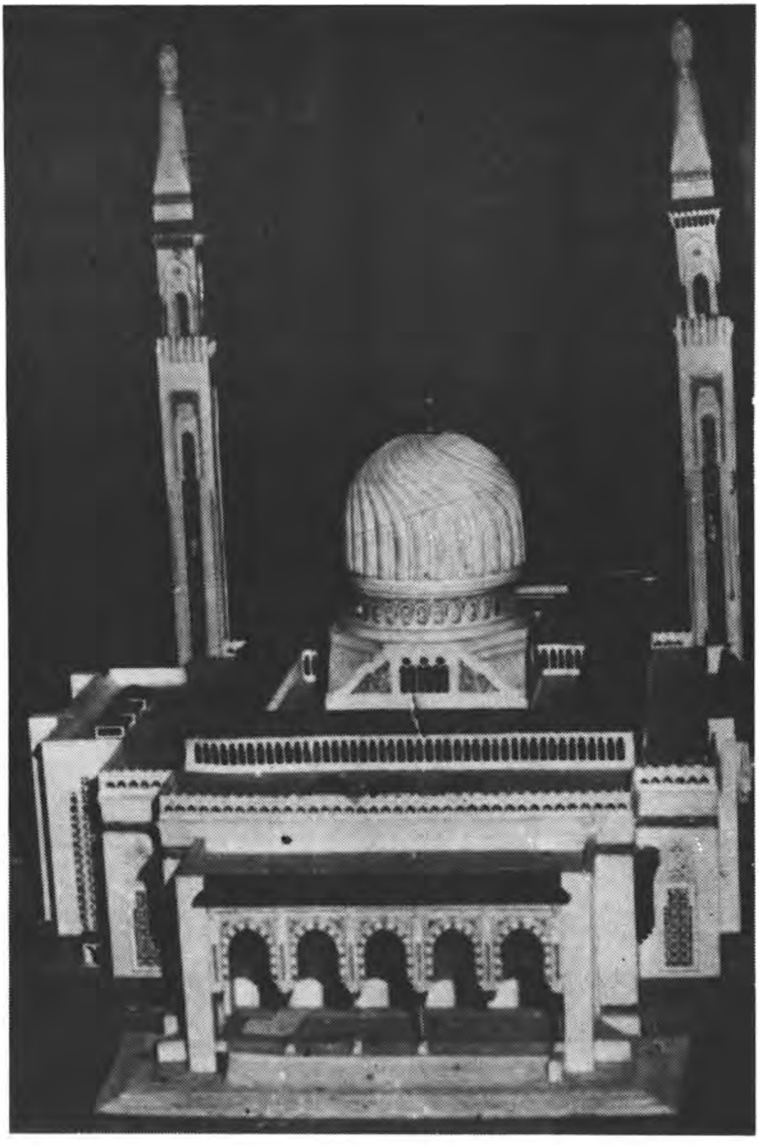
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ض) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ .

متفق عليه

(1) تشبيه حذف منه وجه الشبه .

المطلوب

حلل الحديث السابق تحليلا أدبيا على غرار تحليل الحديثين المدروسين .



صورة صازا؟

أثر القرآن الكريم والحديث الشريف
في اللغة والأدب

١ ـ إن القرآن أول كتاب دُوِنّ في اللغة العربية ، ولذا كانت دراسته ضرورية لتاريخ الأدب ؛ لأنك تلمح فيه مظهر الحياة العقلية ، والحياة الأدبية عند العرب ، وهو منبع المعاني والأساليب والمعارف التي شاعت في الأدب العربي .

وأسلوب القرآن أسلوب بديع لاعهد للآذان ولا للأذهان بمثله ؛ فلا هو موزون مقفى ، ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر ، ولا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع ولا تسجيع ، وإنما هو آيات مفصلة متزاوجة يسكت عندها الصوت ، ويسكن الذهن لاستقلالها بالمعنى ، وانسجامها مع روح القارئ ووجدانه ، وهذا مما حير العرب في أمره وأعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله .

وكان للقرآن الكريم أثر قوي في نقله النثر من تلك الجمل القصيرة المسجوعة المفككة إلى تلك الصورة الأنيقة التي تراها في خطب الرسول ـ ﷺ ـ وأحاديثه ، وخطب الصحابة والتابعين ورسائلهم : جمل متناسقة متطابقة متخيرة الألفاظ حسنة التأليف ، رائعة التصوير ، منطقية العرض تنفذ في العقل والقلب إلى الصميم .

كما أثّر القرآن في النثر بوضعه المَثَلَ لمعالجة القصص والوصف والجدل البناء والموعظة الحسنة ، وبتوسعه في دلالة الألفاظ بإخراجها من معنى إلى معنى ، بينه وبين المعنى الأول علاقة ، كالصلاة والصيام والزكاة والمؤمن والكافر والمنافق .... وله أثر آخر في إحداثه موضوعات لم يعرفها العرب من قبل كمسائل التشريع المختلفة ، وظلت آياته طوال القرون معينا للخطيب ، وزادا للأديب ، وحلية للمنشئ يُرصِّع بها كلامه ، ويزين بها قوله .

إن القرآن خير بيان ، وأجمل قول ، وأبلغ كلام ، هذب الطباع وصقل الذوق الأدبي لدى العرب ، وجعل الأدباء يؤثرون الأساليب الرقيقة العذبة ، والجمل الواضحة السهلة ، والحجج المقنعة ، وهناك فضل لا يمكن إغفاله في هذا المقام ، هو : أنه كتب الخلود للغة العربية والإسلام .

ب ـ الحديث يطلق على ذلك الجانب القولي من سنة الرسول ـ ﷺ ـ فهو ذلك القول الحكيم الذي ثبت عن النبي الكريم ليكون إيضاحا وتفصيلا لما جاء في القرآن من قواعد عامة للتشريع . وتنفيذا لقول اللّه تعالى : « وَأنزلْنا إليك الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم » .

والحديث النبوي يعتبر الأصل الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن . ولذا نجد فيه توضيحا لما أجمله القرآن ، وبيانا لأهدافه وتناولا لشؤون الدين والدنيا من عقائد وعبادات ومعاملات ، وتنظيم مجتمع ، وحسن علاقة بين الناس في الحياة .

وقد عُني المسلمون بالأحاديث النبوية في جميع العهود . فاهتموا بروايتها وحفظها ، ثم بكتابتها وتدوينها ، والبحث عنها للقضاء بها ، ثم بجمعها وتبويبها بطريقة علمية دقيقة .

وكان للحديث أكبرُ الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي . فقد أقبل الناس على تدارسه إقبالا عظيما ، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه ، وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرتهم العلمية مؤسسة على التفسير والحديث ، وكان الحديث أوسع دائرة بسبب رحلة العلماء ، وطوافهم في البلدان ، يأخذ بعضهم عن بعض . فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية ، ووقوف علماء كل عصر على ما عند الآخرين .

والحديث في فن القول يمتاز بفصاحة اللهجة ، وبلاغة الحجة ، وصدق القول . وإيجاز العبارة والصدور عن غير تصنع وتكلف ، وفيه مراعاة مقتضى الحال . ولذا تأتي درجته في موازين البيان تالية لدرجة القرآن الكريم .

اكتب في أحد البحثين الآتيين :

1 - تأثرت حياة العرب دينيا واجتماعيا وسياسيا بظهور الإسلام . كما تأثرت لغتهم وأدبهم بمصدريه الأساسيين القرآن الكريم والحديث الشريف .
بينً ذلك من خلال ما درست أو طالعت ، مستعينا بكتب تاريخ الأدب .

2 - للقرآن الكريم أثر بارز في مجال معالجة القصص . اقرأ سورة الكهف ، وضع ملخصا لما ورد فيها من قصص . وبين عناصرها الفنية ، واذكر العبرة في كل منها ، مستعينا ببعض تفاسير القرآن مثل : ابن كثير ، والقرطبي وكذلك كتاب القرآن لمحمد أحمد جاد المولى وغيرها .....



الفَصْل الثاني

النثر القصصي

1 – قصة مُعاذَة العنبَرِيَّة للجاحظ
2 – المقامة البَغدادية لبَدِيع الزَّمان الهَمَذَاني
3 – أمراء للبيع لمصطفى صادق الرافعي
4 – حمار الحكيم والزواج لأحمد رضا حوحو
5 – تطور النثر القصصي وخصائصه

النثر الفني

تمهـيد :

النثر هو الكلام الـذي لم يُنْظَم في أوزان وقـوافٍ ، وهو على نوعين : **الأول هو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب . وليس له قيمة أدبيـة ، إلاّ مـا يجري فيـه أحياناً من أمثال وحِكم . أمَّا النوع الثاني ، فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومَهَارَةٌ وبَلاَغَةٌ . وهذا النوع هو الذي يُعنى النقاد في اللغـات المختلفـة ببحثـه ودرسه وبيان تطوره وخصائصه ، وهو يتفرع إلى جَدْوَلين كبيرين هما الخطـابـة التي سبق لك دراستها ، والكتابـة الفنيـة التي تشمل القصص المختلفـة الأشكال ، والرسـائل المُحَبَّرَة ، والمقالات المنمقة .**

والنثر الفني بالإضافة إلى كونه كلامًا جميلاً بديعًا . فإنَّه يتناول كذلك قضايا تمس الإنسان في جوانبه الحياتية المختلفة .

النثر القصصي

تـعـريـف :

النثر القصصي فرع من فروع النثر الفني . يعتمـد على الحـوار وسرد الأحـداث ، ووصف الظروف والحالات ، بلغة راقية وأساليبَ أنيقةٍ . ينقسم إلى عدة ضروب مثل الحكاية[1] والنَّادرة[2] والأسطورة[3] والمقامة ، والأقصوصة[4] والرواية[5] . ومن هـذه الضروب ماهُوَ واقعِي وما هو خيالي قريب من الخرافة .

(1) الحكاية : سوْق واقعة حقيقية أو خيالية دون التزام أسلوب معين في القص .

(2) النادرة : هي الحكاية التي تُمْعِن حوادثها في الغرابة ويندر وقوعها .

(3) الأسطورة : حكاية خرافية ، يقوم بدور البطولة فيها كائن ذو قدرات خارقة .

(4) الأقصوصة : قصة قصيرة .

(5) قصة طويلة قد تستغرق عدة مجلدات .

قصـــة مُعَـاذَةَ العَنَبَرِيَّـــة

للجـاحـظ

تمهـيد :



الكاتب هـو أبـو عثمان عَمْرو بْنُ بحر بِنَ محبوب البَصْري الملقب بالجاحـظ لجُحُوظ عينيه وبروزهما ، كان أسود دميم الخَلْق قصيرا ، لكنـه كان قـوي البِنْيَـة نشيـط الجسم ، ولـد بـالبصرة سنـة 159 هـ 776 م ، وينسب إلى بني كِنَانة .

نشأ الجاحـظ يتيما فقيرا ميّـالا إلى العلم ، تعلّم على علماء وأدباء البصرة ، كما استفـاد كثيرا من مطـالعـاتـه الخـاصـة . رحل إلى بغداد سنـة 204 هـ ، واتصل بكبار علماء الدين واللغـة والأدب وأخـذ عنهم، وفيها بزغ نجمه وأقبلت عليه الدنيا، وعلا شـأنـه حين اتصل بوزراء الخليفتين: المعتصم والمتوكل، كان يقدم مؤلفاته إلى الولاة والأعيان فيجزلون له العطاء.

من صفاته أنه كان عصاميا عظيمَ الذكاء قوي الملاحظة بارعا في كثير من العلوم : فهو راوية محدث ، وكاتب مترسل ، وشاعر ، وعالم مصنِف ، واشتهر ـ إلى جـانب كل ذلك ـ بخفة الروح وحسن المعاشرة والفكاهة والتنكيت مما جعله محبوبا في مجتمعه .

وكُتُب الجاحظ كثيرة متنوعة الموضوعات ، بلغت مالا يقلّ عن (280) كتـابـا في معظم الفنون المعروفـة في أيـامـه : في علم الكلام[1] والسيـاسـة والتـاريخ والأخـلاق

(1) هو علم غايته الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية

والنبات والحيوان واللغة والأدب. أما أشهر كتبه وأعظمها أهمية فثلاثة: كتاب «الحيوان»، و«البيان والتبيين»، و«البخلاء» الذي جمع فيه أخبار البخلاء وكشف عن نفسياتهم، ومن هذا الكتاب الأخير أخذ النص التالي، وهو جزء من قصص أهل البصرة من المسجديين، وهؤلاء شيوخ يجتمعون في باحة المسجد يتحادثون حول شؤون الاقتصاد في الإنفاق، ويروي كل شيخ مايعرف في هذا الشأن، والجاحظ في هذا النص يصف نموذجا من البخلاء، وهي امرأة ضربت رقما قياسيا في الاقتصاد عند أمثالها، وضربت رقما قياسيا في البخل في نظر عامة الناس ولا سيما الكرماء منهم.

النــــص :

أ - قَالَ شَيْخٌ مِنَ الْبُخَلاَءِ : «لَمْ أَرَ فِي وَضْعِ الأُمُورِ مَوَاضِعَهَا ، وَفِي تَوْفِيَتِهَا غَايَةَ حُقُوقِهَا ، كَمُعَاذَةَ الْعَنْبَرِيَّةِ»قَالُوا : «وَمَاشَأْنُ مُعَاذَةَ هَذِهِ ؟» قَالَ : «أَهْدَى إِلَيْهَا ـ الْعَامَ ـ ابْنُ عَمٍّ لَهَا أُضْحِيَّةً فَرَأَيْتُهَا كَئِيبَةً حَزِينَةً مُفَكِّرَةً مُطْرِقَةً ، فَقُلْتُ لَهَا : «مَابِكِ يَامُعَاذَةُ ؟»

ب - قَالَتْ : «أَنَا امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ ، وَلَيْسَ لِي قَيِّمٌ ، وَلاَ عَهْدَ لِي بِتَدْبِيرِ لَحْمِ الأَضَاحِي ، وَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يُدَبِّرُونَهُ وَيَقُومُونَ بِحَقِّهِ ، وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَضِيعَ بَعْضُ هَذِهِ الشَّاةِ ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ وَضْعَ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا فِي أَمَاكِنِهَا ، وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ فِيهَا وَلاَ فِي غَيْرِهَا شَيْئاً لاَ مَنْفَعَةَ فِيهِ ، وَلَكِنَّ الْمَرْءَ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَةَ ، وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ تَضْيِيعِ الْقَلِيلِ ، إلاَّ أَنَّهُ يَجُرُّ تَضْيِيعَ الْكَثِيرِ .

جـ - أَمَّا الْقَرْنُ فَالْوَجْهُ فِيهِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ أَنْ يُسَمَّرَ فِي جِذْعٍ مِنْ جُذُوعِ السَّقْفِ فَيُعَلَّقَ عَلَيْهِ الزُّبُلُ وَكُلُّ مَاخِيفَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَأْرِ وَالنَّمْلِ وَالسَّنَانِيرِ وَبَنَاتِ وَرْدَانَ . وَأَمَّا الْمُصْرَانُ فَإِنَّهُ لِأَوْتَارِ الْمِنْدَفَةِ ، وَبِنَا إِلَى ذَلِكَ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ . وَأَمَّا قِحْفُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَانِ وَسَائِرُ الْعِظَامِ فَسَبِيلُهُ أَنْ يُكَسَّرَ بَعْدَ أَنْ يُعْرَقَ ، ثُمَّ يُطْبَخَ ، فَمَا ارْتَفَعَ مِنَ الدَّسَمِ كَانَ لِلْمِصْبَاحِ ،

ثُمَّ تُؤْخَذُ تِلْكَ الْعِظَامُ فَيُوقَدُ بِهَا ؛ فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَقُوداً - قَطُّ - أَصْفَى وَلاَ أَحْسَنَ لَهَبَاً مِنْهَا . وأَمَّا الإِهَابُ فَالْجِلْدُ نَفْسُهُ جِرَابٌ ، وَلِلصُّوفِ وُجُوهٌ لاَ تُدْفَعُ . وَأَمَّا الْفَرْثُ وَالْبَعْرُ فَحَطَبٌ - إِذَا جُفِّفَ - عَجِيبٌ» ثُمَّ قَالَتْ : «بَقِيَ عَلَيْنَا الانْتِفَاعُ بِالدَّمِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحَرِّمْ مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ إِلاَّ أَكْلَهُ وَشُرْبَهُ ، وأَنَّ لَهُ مَوَاضِعَ يَجُوزُ فِيهَا وَلاَ يَمْنَعُ مِنْهَا ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَقَعْ عَلَى عِلْمِ ذَلِكَ حَتَّى يُوضَعَ مَوْضِعَ الانْتِفَاعِ بِهِ صَارَ كَيَّةً فِي قَلْبِي ، وَقَذَىً فِي عَيْنِي ، وَهَمَّاً لاَ يَزَالُ يَعُودُنِي» ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ رَأَيْتُهَا قَدْ طَلَّقَتْ وَتَبَسَّمَتْ ، فَقُلْتُ : «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدِ انْفَتَحَ لَكِ بَابُ الرَّأْيِ فِي الدَّمِ» . قَالَتْ : «أَجَلْ ، ذَكَرْتُ أَنَّ عِنْدِي قُدُوراً شَآمِيَّةً جُدُداً . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْبَغَ ، وَلاَ أَزْيَدَ فِي قُوَّتِهَا ، مِنَ التَّلْطِيخِ بِالدَّمِ الْحَارِّ الدَّسِمِ . وَقَدِ اسْتَرَحْتُ الآنَ ؛ إِذْ وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْقِعَهُ» .

د - قَالَ : «ثُمَّ لَقِيتُهَا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَقُلْتُ لَهَا : كَيْفَ كَانَ قَدِيدُ تِلْكَ ؟» قَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ ! لَمْ يَجِىءْ وَقْتُ الْقَدِيدِ بَعْدُ . لَنَا فِي الشَّحْمِ وَالأَلْيَةِ وَالْجُنُوبِ وَالْعَظْمِ الْمُعَرَّقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَاشٌ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ إِبَّانٌ» .

تحليل وشرح :

النص صورة حية ناطقة بنفسية امرأة بخيلة ، تعتقد أنها في منتهى التدبير والاقتصاد ، لكن اعتقادها هذا في نظر المجتمع في منتهى البخل والتقتير ، والجاحظ في تصويره لهذه المرأة تجرّد من ذاتيته ، وجعل الحوار يجري بين الشيخ البخيل ومعاذة العنبرية ، دون أن يتدخل برأي أو حكم ، والقصة تشتمل على أربعة عناصر أساسية هي :

أ - مقدمة مشوقة عن «معاذة» .
ب - خوفها من تضييع بعض أضحيتها .
جـ - اطمئنانها بعد وضع كل شيء موضعه .
د - دليل عن تقتيرها الشديد .

أ – [**أضحية** : شاة تذبح يوم عيد الأضحى ـ **مطرقة** : منكسة رأسها لحيرتها]

يشوقنا الجاحظ إلى قصة معاذة بمدح الشيخ الراوي لها : أنه لم يَرَ أفْضَل منها في وضع الأمور مكانها اللائق بها ، وإعطائها حقها ، فاشتاق السامعون لمعرفة خبرها ، فسألوه عن شأنها ، فأجابهم حاكيا عنها : إن ابن عم لها أهدى لها شاة بمناسبة عيد الأضحى ، فظهر عليها الحزن وأطرقت مفكرة .

ب – [**أرملة** : امرأة مات عنها زوجها ـ **قـيِّم** : مدبّر]

ثم يُجري الشيخ الحوار معها فيسألها : ماأصابك يامعَاذة ؟ فتنطلق في الإجابة مُعرّفة بحالها : تشكو من أنها بقيت وحيدة بعد موت زوجها ، وليس لها من يقوم على شؤونها ، وهذه الشاة المهداة لها لم يسبق لها تدبير مثلها وتقسيمها ، وتخوُّفها ليس من شيء إلا من عدم معرفتها وضع أجزاء الشاة في محلها ، مع علمها أن الله لم يخلق فيها شيئا إلا وفيه فائدة للإنسان ، ولكنها تدّعي العجز عن الاستفادة من كل شيء فيها ، وهي لا تخاف أن يضيع القليل من أجزاء الأضحية ، إلا أنها ترى بمنطقها : أن تضييع القليل يؤدي إلى تضييع الكثير .

جـ – [**الجذع** : عارضة السقف ـ **الزُّبُل** : جمع زبيل ، القفة أو الوعاء ـ **السنانير** : جمع سِنَّور : القط ـ **بنات وردان** : الصراصير ـ **المندفة** : خشبة يُطرق بها الصوف ليُرقق ـ **قِحف الرأس** : عظم فوق الدماغ ـ **اللَّحْيَان** : مُثَنَّى لحي ، عظم الفك ـ **يُعْرَق** : يُجرَّد من اللحم ـ **الإهاب** : الجلد ـ **جِراب** : جمعه أجربة ، وعاء من جلد] .

وفي القسم الثالث تنطلق معاذة في تفصيل المنافع من كل جزء تافه في الشاة مما يُرمى أغلبه عادة ، فيدل ذلك في الظاهر على حسن التدبير والاقتصاد ، ويدل في الباطن على بخل متمكّن في نفسها ، فتبين فائدة كل جزء من الأجزاء التي ذكرتْها ، وأخيرا تتوقف حائرة أمام استعمال الدم الذي حرّمه الله ، وتقول : إني إنْ لم أتوصل لما يُنتفع به حزنت كثيرا وأصابني غمّ وهمّ ، ثم لا تلبث أن تُلهَم الصواب في ذلك ، فتبتسم بعد عبوس ، وتتذكر أنه صالح للدبغ وتقوية القدور الجدُد إنْ لُطِّخت بالدم الحار الدسم ، فتشعر براحة نفسية ؛ إذ وُضع كل شيء مما تخاف ضياعَهُ مكانه ولم يذهب هدرا ، وإذا كان حرصُها على هذه الأجزاء التافهة شَديداً ، فحرصها على غيرها أشد وأعظم .

د – [القَديد : اللَّحْم المجفف ـ بأبي أنت : فداك أبي ـ الألْية : العَجيزة] .

وفي القسم الأخير يلتقي الشيخ بمعاذة بعد ستة أشهر من عيد الأضحى ، فيسألها عن قديد تلك الشاة ، فتجيب : أنه لم يَحِنْ وقت أُكله بَعْدُ ، فلها معاش في الشحم والألية والحواشي والأطراف ، وحسب هذا فالشاة تكفيها عاما كاملا أو أكثر .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ – الأفكـــار :

النص من النثر القصصي الاجتماعي ، الذي صال الجاحظ فيه وجال في كتاب البخلاء ؛ فهو عاش مع فئات اجتماعية مختلفة المشارب ، وله معرفة دقيقة بطباع الناس ، فكشف عما في نفوس البخلاء من طبع حب المال والبخل به حرصا عليه ، وخوفا من الفقر ، فهم مرضى النفوس . والجاحظ في وصفه لهم يفضح مساوئهم قصد علاجهم ، وهو يروي عنهم ويتحدث بلسانهم متجردا من ذاتيته ، ولا يذكر المغزى من قصصهم وإنما يترك ذلك للقارئ .

أفكار الكاتب في هذا النص مترابطة مرتبة ترتيبا منطقيًا : إذ يُشوّق إلى معرفة (معاذة) . ثم يعرف بها ، وبعد ذلك يعدد منافع الأجزاء التافهة التي تخاف تضييعها من الشاة ، وأخيرا يتحدث عن القديد بعد ستة أشهر من العيد ، وأنه لم يحن بعدُ وقت أكله ، وكل ذلك على لسان (معاذة) والشيخ الراوي . والأفكار ـ كما ترى ـ وافرة مستقصية لجميع جزئيات الموضوع ، وفيها بعض التعمق : لأن كلام (معاذة) ينبئ عن نفسيتها الشحيحة . وفي منطقها أن تضييع القليل يجرُّ إلى تضييع الكثير ، وعدم حاجتها إلى القديد بعد نصف عام من ذبح الشاة ينبئ عن تقتيرها ، فهي معقدة نفسيا ، تخاف من الحاجة وذل السؤال .

وهذا النص يعدّ إرهاصا للقصة القصيرة ، لأن الجانب الفني ـ حسبما هو موجود في العصر الحديث ـ ناقص من حيث عدم توفّر عناصر القصة من وحدة الحدث وعقدة وحل ، فهي حكاية .

ب - العاطفة :

رغم أن الجاحظ لم يتحدث بلسان المتكلم في نصه هذا ، ولكننا نلمح فيه عاطفة السخرية والإشفاق على هذه الفئة من الناس التي اتخذت البخل مذهبا تؤيده عن عقيدة أو عن تمويه .

جـ - الأسلوب :

أسلوب الجاحظ في هذه القصة سهل جار على السليقة ؛ لأن طبيعة القصص عامة تصل إلى نفس القارئ من غير تزيين أو تنميق ، وعباراته موجزة قصيرة متعادلة غالبا ، نلمس وراءها الملاحظة الدقيقة ، والنظرة الثاقبة ، والروح الخفيفة ، والنفس المرحة ، والسخرية الخفية .

وألفاظ النص فصيحة مباشرة في أداء المعنى ، بعيدة عن الخشونة والغرابة ، وبعضها موح بما في نفس معاذة من معاني التألم أو الراحة النفسية مثل : «كية ، قذى ، تبسمت» .

ويغلب الأسلوب الخبري على النص ، لأنه الأنسب للسرد والتقرير ، أما الأسلوب الإنشائي القليل فيتمثل في الحوار بين الشيخ ومعاذة .

وجاء الأسلوب مباشرا ، يكاد يخلو من الألوان البيانية إلا ما ورد من تشبيه في قوله : «لم أر ... كمعاذة» وفي : «وإن أنا لم أقع ... صاركيّة في قلبي ...» فالأخير تشبيه بليغ ، يشخص حالتها النفسية ، كأنما ابتُليت بأعظم المآسي ، حتى إذا اتضح سبب تلك الكيّة ، وذلك القذى بدا لنا تافها صغيرا ، ووردت استعارة مكنية في قوله : «انفتح لك باب الرأي» فجعل باب الرأي ينفتح كما ينفتح باب البيت . فحذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه (انفتح) ، وكلا الصورتين فيهما سخرية خفية من (معاذة) . ولم يلتفت الجاحظ للمحسنات البديعية إلا ما جاء من طباق في قوله : (القليل ، الكثير) .

د - الأحكام والقيم :

قصة (معاذة) صورة جزئية لفئة من المجتمع في بيئة الجاحظ وذلك يبين سلطان

المال على بعض الناس ومرض نفوسهم بالشح والبخل خوفا من الفقر وذلة السؤال ، وظنوا أن ذلك من الحكمة في تصريف المال والاقتصاد فيه .

وملامح شخصية الكاتب تبدو لنا من خلال النص : فهو ذكي دقيق الملاحظة ، خفيف الروح ، ظريف في سخريته الخفية .

وللنص قيمة فنية تبرز في هذا اللون القصصي المؤدّى بطريقة واقعية وبأسلوب نابض بالحياة ، وللجاحظ طريقة متميّزة في الكتابة : فهو يحلل المعنى ويستقصي الفكرة ، وهو ذو أسلوب جزل قوي واضح ، وجمله قصيرة متعادلة غالبا ، ويحلّي كتابته بالسجع غير المتكلف ، كما يميل إلى الاستطراد ، ويكثر من الترادف ، ويقتبس من التراث الديني والأدبي ، ذاكرا ماله صلة بموضوعه من أخبار طريفة ونوادر ، وتعتبر طريقته امتدادا وتطويراً لطريقة ابن المقفع[1].

تمارين تطبيقة :

1 – ماذا تفهم من إسناد الكلام إلى الراوي (الشيخ) وإلى معاذة ؟

2 – عما ذا ينمّ إطناب وتفصيل الكلام عن فوائد الأجزاء التافهة من الشاة ؟

3 – بعد نصف عام من عيد الأضحى قالت معاذة : «لم يجىء وقت القديد بعدُ » ؟ علام يدل كلامها هذا ؟

4 – ماذا يعني قول الشيخ : «انفتح لك باب الاجتهاد» ؟

5 – سخرية الجاحظ في هذا النص ظاهرة أم خفية ؟ كيف ؟ مثّل .

6 – الاستفهامات في الحوار أسلوب إنشائي ولا شك . أكان غرضها حقيقيا أم وراءها أغراض أخرى ؟ وضح .

7 – أترى في عدم اعتماد الجاحظ على الألوان البلاغية إخلالا بجمال الأسلوب والتصوير أم لا ؟ علل .

8 – استنتج من النص ودراسته ما يمتاز به أسلوب الجاحظ .

---

(1) كاتب عاش في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية (106-142هـ)

بحـــث أدبـــي :

«يعد الجاحظ زهرة العصر العباسي لعبقريته العلمية والأدبية» .
تحدث عن حياته وعن العوامل التي كونت شخصيته وخصائص أسلوبه .

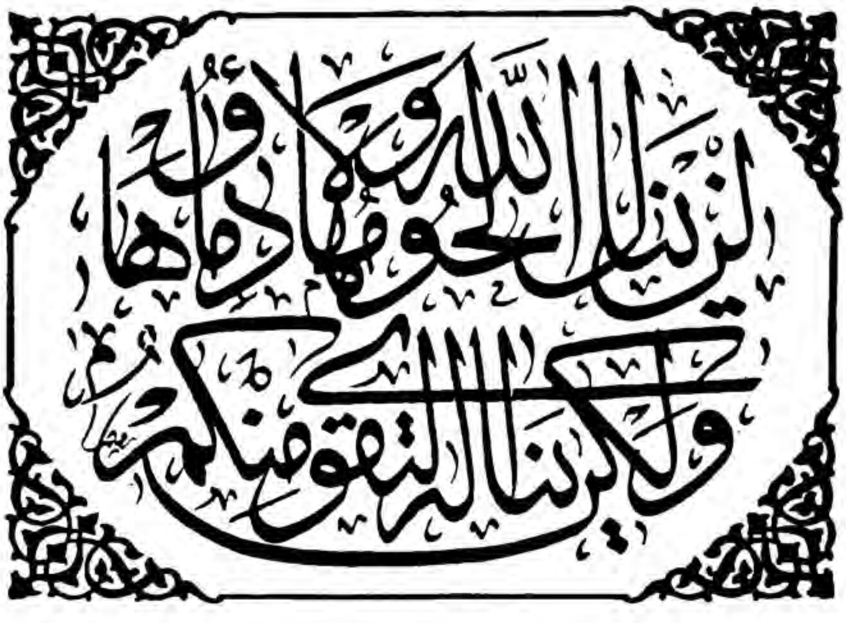
المـــراجـــع :

كتاب البخلاء للجاحظ . تحقيق وتعليق : طه الحاجري .

من حديث الشعر والنثر : لطه حسين .

الروائع . لفؤاد إفرام البستاني عدد (18–19) .

تاريخ الأدب العربي . لحنا الفاخوري .



المقامة البغدادية

لبديع الزمان الهمذاني

تمهيد :

صاحب المقامة البغدادية هو أبو الفضل أحمد بن الحسين المشهور ببديع الزمان ، ولد في همذان سنة 358 هـ ونشأ فيها ، وقد أخذ اللغة عن ابن فارس العالم اللغوي الشهير ، ثم تجول في خراسان وجرجان وأفغانستان وفي نيسابور ،.واستطاع بدهائه وذكائه أن يتفوق على أبي بكر الخوارزمي بعد مناظرة جرت بينهما ، فذاع صيته وطارت شهرته .

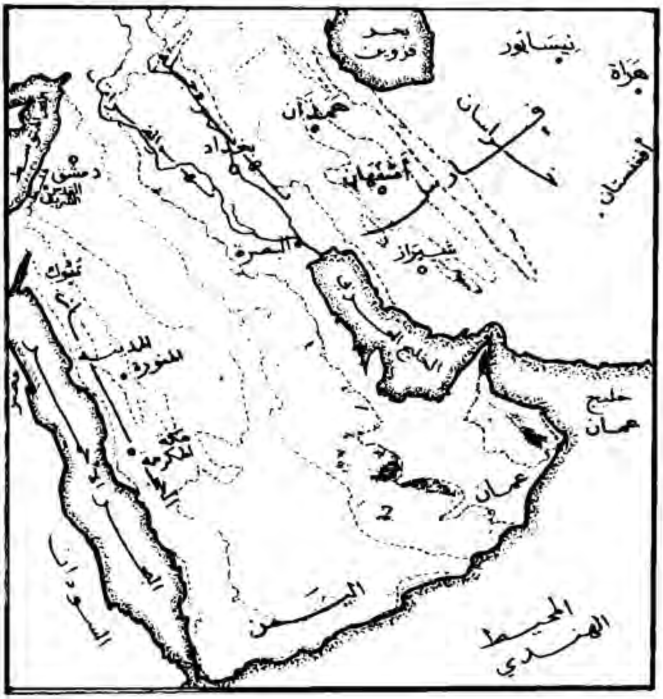

بديع الزمان الهمذاني

وقد عاش في أواخر حياته في هراة ، واستقرت حاله هناك ، واقتنى ضياعا ، وكثر ماله بفضل صهره أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي الذي ساعده في ذلك ، وتوفي سنة 398 هـ .

والمقامات فن من فنون الأدب العربي ، يتصل بحياة الناس ، ويصور مايجري فيها ، شأنه في ذلك شأن أغلب الفنون الأدبية الأخرى ، غير أن المقامة تميزت بأنها قصة خيالية قصيرة ، تدور حول مواضيع شتى ، منها الكدية «الشحاذة» وأساليب الاحتيال التي يلجأ إليها أفراد بائسون لكسب الرزق والحصول على لقمة العيش .

وهذا النص الذي بين يديك إحدى مقامات بديع الزمان التي تعتبر نموذجاً لفن الكتابة الأدبية المعروفة باسم «المقامات» [1] وبطل مقامات بديع الزمان هو «أبو الفتح الإسكندري» ، وراويته هو عيسى بن هشام ، ولكنه في هذه المقامة جعل بديع الزمان الراوية عيسى بن هشام بطلا في القصة .

(1) المقامة : اسم للمجلس أو الجماعة من الناس ، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة لأنها تذكر في مجلس واحد .



النـــص :

أ - «حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ ، وَأَنَا بِبَغْدَاذَ ، وَلَيْسَ مَعِي عَقْدٌ عَلَى نَقْدٍ ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الْكَرْخَ ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالْجَهْدِ حِمَارَهُ ، وَيُطَرِّفُ بِالْعُقَدِ إِزَارَهُ ، فَقُلْتُ : ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ ؟ وهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ : لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ . فَقُلتُ : نَعَمْ ، لَعَنَ الله الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النِّسْيَانَ ، أنسانِيكَ طُولُ العَهْدِ ، واتِّصَالُ البُعْدِ ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌّ كَعَهْدِي ، أَمْ شَابَ بَعْدِي ؟ قَالَ : قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، فَقُلْتُ ؟ « إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ إِلَى الصِّدَارِ أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمْعِهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لاَ مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً، والسُّوقَ

أَقْرَبَ ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ الْقَرَمِ ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ ، وَطَمِعَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ .

ب – ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا ، وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقًا ، فَقُلْتُ : أَفْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَاءِ ، وَاخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْبَاقِ ، وَانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ ، وَرُشَّ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا ، فَانْحَنَى الشَّوَّاءُ بِسَاطُورِهِ ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ ، فَجَعَلَهَا كَالْكُحْلِ سَحْقًا ، وَكَالطَّحْنِ دَقًّا ، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ ، وَلاَ نَبَسَ وَلاَ نَبَسْتُ . حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ ، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الْحَلْوَى : زِنْ لأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللَّوْزِينَجِ رِطْلَيْنِ . فَهُوَ أَجْرَى فِي الْحُلُوقِ ، وَأَمْضَى فِي الْعُرُوقِ ، وَلْيَكُنْ لَيْلِيَّ الْعُمْرِ ، يَومِيَّ النَّشْرِ ، رَقِيقَ الْقِشْرِ ، كَثِيفَ الْحَشْوِ ، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ ، قَبْلَ الْمَضْغِ ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا ، قَالَ : فَوَزَنَهُ ، ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَاأَبَا زَيْدٍ مَاأَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ ، وَيَفْثَأَ هَذِهِ اللُّقَمَ الْحَارَّةَ ؛ اجْلِسْ يَاأَبَا زَيْدٍ حَتَّى آتِيَكَ بِسَقَّاءٍ ، يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ مَاءٍ .

جـ – ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلاَ يَرَانِي ، أَنْظُرُ مَايَصْنَعُ ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوَادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ ، وَقَالَ : أَيْنَ ثَمَنُ مَا أَكَلْتَ ؟ فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَكَلْتُهُ ضَيْفًا ، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً ، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ : هَاكَ ! وَمَتَى دَعَوْنَاكَ ؟ زِنْ يَا أَخَا الْقِحَةِ عِشْرِينَ ! فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ : كَمْ قُلْتُ لِذَلِكَ الْقُرَيْدِ : أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ ، وَهُوَ يَقُولُ أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ .

فَأَنْشَدْتُ :

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَهْ لاَ تَقْعُدَنَّ بِذُلِّ حَالَهْ
وَانْهَضْ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ

تحليل وشرح :

حكى عيسى بن هشام في هذه المقامة قصة قصيرة هو بطلها . رواها في ثلاثة مشاهد هي :

أ - حيلة عيسى بن هشام ونجاحه في نصب فخه .

ب - عيسى بن هشام وضيفه عند الشواء .

جـ - عاقبة غفلة السوادي .

أ - [**الأزاذ :** نوع من التمر ، وهنا الطعام . **الكرخ :** حي في بغداد . **سوادي :** ريفي . **يطرف بالعقد إزاره :** تكثر في طرف ثوبه عُقد ربطها على نقوده . **الدمنة :** آثار الدار المهجورة ويريد بها القبر . **البدار :** المبادرة أي السرعة . **الصدار :** قميص قصير بلا كُمّين . **بجُمعه :** بقبضته . **نشدتك الله :** سألتك بالله . **حمة القرم :** الحمة : إبرة العقرب ، وهنا : الشدة ، والقرم : الميل والشهوة إلى أكل اللحم خاصة . **اللقم :** السرعة في الأكل] .

في الفقرة الأولى يمهد الكاتب لمقامته بمشهد عيسى بن هشام وهو يسير في شوارع بغداد متسكعا خاوي الجيب ، فارغ البطن ، يجدّ في البحث عن وسيلة يسد بها رمقه ، وبينما هو كذلك ، إذ رأى قرويا قادما إلى المدينة يسوق حماره ، وفي أطراف إزاره عُقد مربوطة على نقوده ، فهرع إليه سائلا إياه أسئلة متتابعة ، يستفسر عن وقت وصوله ومكان نزوله ، ثم يدعوه إلى بيته ملاحقا له بالسؤال والجواب حتى عرف اسمه ووفاة أبيه ، فتظاهر بالحزن والأسى حتى همّ بتمزيق ثوبه ، ثم بدأ ينفذ حيلته من أجل اصطياد هذا القروي الساذج ، فكرر دعوته إلى الغداء معه في داره ، ولما وجد منه استجابة وتلبية للدعوة خيّره بين الذهاب إلى البيت أو إلى السوق ، ولكنه فضّل السوق لقربه ولذيذ طعامه .

ب - [**جوذاباته :** جمع جوذابة ، كلمة فارسية معرَّبة معناها : رغيف يخبز ثم يوضع تحت اللحم يتلقى الدهن السائل . **انضد :** رُصّ . **السماق :** ماء السماق ، قيل إنه نقيع تمر ، وقيل إنه حَب أحمر حامض . **ساطور :** سكين عريض يقطع به اللحم . **زبدة تنُّوره :** أفضل ما يُشوى على موقده . **مانبس :** ما نطق بكلمة .

اللوزينـج : نـوع من الحلـوى يُحشى بـالجـوز ، ويُسقى بـدهن اللـوز . **يشعشـع بالثلج :** يخلط به . **الصارة :** العطش . **يفثأ :** يخفف من حدة الحرارة] .

وفي الفقرة الثـانيـة يعرض المشهـد الثـاني حين دخل عيسى وضيفـه أحـد مطـاعم بغداد ، وجلسا لتناول الطعام : السوادي يجلس جلسة الضيف ، والبغدادي يأخذ سمة المضيف ، وطلب الشّواء ، فقَدّم لهما ، فـأقبلا عليـه في صمت ، والتهماه في سرعـة ، ثم طلب عيسى رطلين من الحلوى الطازجة ، وبعد أن تناولاهـا استـأذن عيسى القرويَّ ليحضر سقّاء يأتيهما بماء مثلج يخفف من حرارة هذا الطعـام ، وانصرف وترك القروي في المطعم .

جـ - **[هـاك :** اسم فعل أمر بمعنى : خـذ . **القحـة :** من الوقـاحـة بمعنى سـوء الأدب . **القريد :** تصغير لكلمة قرد] .

وفي الفقرة الثالثة يختم المقامة بمشهد اختفاء عيسى بن هشام وبقاء السـوادي وحـده مع الشّوّاء ، وظل ينتظر طويلا ، ولمـا استبطـأه قـام لينصرف ، فتقـدم إليـه الشـوّاء يطلب ثمن الطعـام والحلوى ، فـذكر لـه القروي أنـه كان ضيفـا ، ولكن الشوّاء ظنـه يحتال بهذا القول ، فلكمـه ، ثم لطمـه وشتمـه ، وطلب منـه دفع الثمن ، فجعل القروي يبكي ، ويحل عقده بأسنانه مخرجا النقود لدفع الثمن ، وأدرك أنه كان ضحيـة وصيـداً لمحتال . أما عيسى فبعد أن نـال بغيتـه وملأ معدتـه هرب من القروي ، واختبـأ غير بعيـد ليراقب مـايحـدث بين القروي والشـوّاء ، وكان مسرورا بنجـاح حيلتـه ، وأخـذ يردد بيتين من الشعر يدعوان إلى استعمال كل حيلة للحصول على الرزق .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

هذا لون أدبي جديدٌ ابتدعه الأدباء في القرن الرابع الهجري ، وطوّره ورقّاه بـديع الزمان الهمذاني ، وهو أشبه بقصة أو تمثيلية قصيرة .

وأفكار المقامة متسلسلة يكمل بعضها بعضا . وتنمو منذ بدايتها كما لو كانت ابتدئت بتمهيد يصور حيلة عيسى في إحكام شَرَكه ليقع فيـه السـوادي فريسـة دون أن يشعر ، ثم عُرضت الأحـداث وَنمت في تـأزُّم إلى أن تصل إلى العقـدة التي بلغت قمتهـا

بخروج عيسى بن هشـام وبقـاء السوادي مع الشوّاء منتظرًا قلقـا ، ثم يـأتي الحل حين يريـد السوادي الخروج ، فيتعلق بـه الشوّاء طـالبـا ثمن مـاأكل ، وبعـد توبيـخ ولطم يكتشف أنه كان ضحية كيد واحتيال .

وتلك هي عناصر المقامة التي جـاءت متماسكـة مترابطـة ، تنمو في تسلسل منطقي يقبله العقل والمنطق ، مشتملة على عناصر القصة من عرض لأحداث توصل إلى عقـدة يأتي بعدها الحل . وسمات كل شخصية من شخصيات المقامة واضحة ، وُفق في إبرازها الكاتب ، فجعل لهجة كلٍ منها مسايرة للدور الذي تؤديه في الموضوع .

وإن كان النقاد لا يعدون المقامة قصة فنية لما فيهـا من قِصر ، وقصـد إلى إظهـار البراعة اللفظية ، إلا أنهم يعترفون بأنها كانت محاولة طيبة في سبيل القصة الفنية .

ب - العـاطـفـة

في النص عاطفة بارزة هي عاطفة المرح والسخرية الهادفـة إلى تقويم سلوك بعض المنحرفين الذين كثيرا مايلجأون إلىالحيلة والكيد لكسب أرزاقهم ، وجـاءت بـأسلوب الفكاهـة ، رغبـة من الكاتب في تطهير المجتمع من هـذا الصنف الـذي عمـل على نشر الاحتيال والسلب والنهب ، وكسب القوت بطرق غير مشروعة .

جـ - الأسـلـوب :

على الرغم من أن أسلوب المقامة يكون عادةً مصنوعا ، إلا أن أسلوب هذه المقامـة جـاء غير ضعيف ، وغير مسرف في التكلف والصنعـة ، وذلـك راجـع إلى أن المقـامـة كانت لا تزال في بداية أمرها ، والأدب كان لا يزال ناهضـا راقيـا ، هـذا إلى جـانب بلاغة بديع الزمان وتمكّنه من ناصية القول .

وألفاظ المقامة تبدو كما لو كانت غايـة لا وسيلـة ؛ فقـد نـالت من الكاتب اهتمامـا بالغا ، وحظيت منه بعناية كبيرة ، ففيها الألفاظ الغريبة التي لا تتناولهـا الألسنـة ، ولا تتداو لها التعابير كثيرا من مثل : الأزاذ ـ القرم ـ السماق ـ الصارّة .

ويُلاحـظ أن أسلـوب هـذه المقـامـة قـد تنـوّع بين الخبر الـذي هـو أليـق وأنسب مايكون في مواقف السرد وحكاية الأحـداث ، والإنشـاء الـذي يـأتي في موقف الحوار

والسؤال مثل قوله : (من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ وكيف حال أبيك ؟ أين ثمن ماأكلت؟). وكقوله في الطلب : (هلمّ إلى البيت ، أفرز لأبي زيد من هذا الشّواء ، زن له من تلك الحلوى ، أعمل لرزقك كل آلة ...) .

كما نرى البيان قد أدى دورا في إثارة الشوق، وتوضيح الأفكار، وكان من ذلك التشبيه في مثل: «جعلها كالكحل سحقا ـ لؤلؤي الدهن ـ يذوب كالصمغ» والاستعارة في مثل: (استفزته حمة القرم ـ يقمع هذه الصارة) فالأولى تصريحية بجعل اشتداد الشهوة إلى اللحم كوخز إبرة العقرب، والثانية مكنية بجعل العطش كشيء يقمع ويصرف. والكناية في: (نبت الربيع على دمنته) فهذا التعبير كناية عن الموت منذ زمن بعيد.

ومن المحسنات البديعية السجع الذي يكاد يكون ملتزما في المقامة كلها ، وقد جاء في بعض التعابير مقصودا متكلّفا ، كقوله : (اشتهيت الأزاذ ، وأنا ببغداذ ـ طمع ، ولم يعلم أنه وقع) ، كما جاء في بعضها الآخر سهلا مقبولا كقوله : (السوق أقرب ، وطعامه أطيب) ، واشتمل النص على الجناس في ألفاظ غير قليلة مثل : (عقد على نقد ، البدار ـ الصدار) والطباق في : (أراه ولا يراني) ، والمقابلة في : (رقيق القشر ، كثيف الحشو) وهذه الأنواع من المحسنات ساعدت على وضوح المعنى وطلاوة الأسلوب وحسن الوقع في السمع .

وأخيرا فإن الشعر الذي أنهى به بديع الزمان مقامته على لسان عيسى بن هشام يدعو إلى الكد والسعي والجد في طلب الرزق من أبوابه المشروعة وطرقه الشريفة ، لكن السياق الذي أورد فيه البيتين يتضمن عكس مافيهما من معنى ، فكأنه يقول فيهما : المهم كسب القوت من أي طريق ولو كان غير مشروع .

د - الأحكام والقيم :

هذه المقامة تصور بديع الزمان بما عرف عنه من فرط الإحساس ونفاذ الإدراك ، ومعرفة واسعة باللغة وحسن التصرف فيها ، وبفنون البلاغة وحسن استعمالها ، فألبس فن المقامة ثوبا موشّى جميلا جعلها محط إعجاب رجال الفكر والأدب في عصره وبعد عصره .

كما أن بديع الزمان عرف مجتمعه ، وسبر أغواره ، دون أن ينسى حلته البيانية ، فصوز فئة من الناس انتشرت حيلها في ذلك العصر ، يلجأون إلى الخديعة والمكر في سبيل الحصول على الرزق ، وماجاء في وصفه لألوان الطعام الشهية اللذيذة ينبيء عما في بيئته من بذخ وترف ومعرفة بفنون الطبخ .

وتظهر قيمة النص الفنية في الإسلوب المنّق الذي شاع في عصر الكاتب ، ويعد أسلوب المقامة امتداداً لطريقة «ابن العميد» في الكتابة الفنية ، لكن كتّاب المقامة التزموا السجع وأسرفوا في استخدام المحسنات ، وحشدوا الغريب من ألفاظ اللغة ويبدو فيها التصنع والتكلف .

تمارين تطبيقية :

1 - كم مشهداً تضمّنته هذه المقامة ؟
2 - لمن رمز الكاتب بشخصية عيسى بن هشام في هذا النص ؟
3 - بماذا تستدل على الترابط والتسلسل بين عناصر المقامة ؟
4 - هل يمكن اعتبار المقامة قصة فنية ؟ لماذا ؟
5 - أدى الخيال دوره في هذه المقامة . استخرج من النص مثالا عن كلٍ من التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، واشرحه .
6 - ختمت المقامة ببيتين من الشعر . اشرحها ، وبين غرض الكاتب من إيرادهما في هذا المجال . وهل توافقه؟ ولماذا؟
7 - المقامة بصورتها المعروضة دليل على ثقافة الكاتب ومقدرته الأدبية . اشرح ذلك .
8 - علام تدل هذه المقامة من حياة المجتمع في العصر الذي قيلت فيه ؟
9 - ماأبرز الخصائص الفنية في كتابة هذه المقامة ؟
10 - ينتمي أسلوب المقامة إلى مدرسة «ابن العميد» وينتمي نص الجاحظ المدروس إلى مدرسة «ابن المقفع» بعد تطوّرها على يد الجاحظ . اذكر خصائص كل من المدرستين .

أمـــــراء للبيـــــع
للرافعي

تمهـــيد :



مُصطفى صَادق الرافعي

صاحب النص هو مصطفى صادق الرافعي المولود بقرية «بَهْتيم» بمصر سنة 1880 م ، حفظ القرآن على يد والده الذي كان موظَّفا بالمحاكم الشرعية ، ثم تابع دراسته في إحدى المدارس الابتدائية بمسقط رأسه ، وبعدها أصيب بمرض أفقده سمعه .

نشأ الرافعي فقيرا ، لكنه رغم صممه وفقره أقبل على المطالعة بشغف وبإرادة حديدية ، فكان مثالا للعصامي المعتمد على نفسه في بناء شخصيته الثقافية والأدبية ، وانكب على دراسة العلوم العربية والإسلامية حتى نضج فكره ، وأصبح كاتبا كبيرا . دافع عن الإسلام والعروبة ، وواصل رسالته الفكرية بأمانة وصدق حتى وافاه الأجل سنة 1937 م .

وللرافعي آثار في الشعر والنثر ، من أشهرها : إعجاز القرآن ، والبلاغة النبوية ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد ، ووحي القلم في ثلاثة أجزاء ، وهو مجموعة من المقالات الأدبية والنقدية وبعض القصص القصيرة ، نشرت في المجلات والصحف ومن هذا الكتاب اخترنا لك هذا النص .

وقد عايش الرافعي أحداث عصره الذي كان فيه المستعمرون والحكام يضيّقون الخناق باستبدادهم على أبناء الوطن العربي الإسلامي ، فتصدى ـ كغيره من كتاب وشعراء النهضة ـ لهذا الاستبداد والطغيان بقلمه السيال ، يثير الهمم ، ويحرك العزائم لمحاربته ، وفي هذا النص يعطي مثالا عن استبداد أغلب المماليك ، ووقوف أحد العلماء المخلصين في وجوههم .

النــــص :

أ - قَالَ أَحَدُ تَلاَمِيذِ الإمَامِ عِزِّالدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلاَمِ[1] : وَطَغَى الأُمَرَاءُ مِنَ الْمَمَالِيكِ وَثَقُلَتْ وَطْأَتُهُمْ عَلَى النَّاسِ ، وَحَيْثُمَا وُجِدَتِ الْقُوَّةُ الْمُسَلَّطَةُ الْمُسْتَبِدَّةُ جَعَلَتْ طُغْيَانَهَا وَاسْتِبْدَادَهَا أَدَبًا وَشَرِيعَةً . وَمَا مَعْنَى الإمَارَةِ وَالأُمَرَاءِ ؟ وَإِنَّمَا قُوَّةُ الْكُلِّ الْكَبِيرِ هِيَ عِمَادُ الْفَرْدِ الْكَبِيرِ ، فَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْكُلِّ حَقُّهُ وَعَمَلُهُ ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الإمَارَةُ أَعْمَالاً نَافِعَةً قَدْ كَبُرَتْ وَعَظُمَتْ ، فَاسْتَحَقَّتْ هَذَا اللَّقَبَ بِطَبِيعَةٍ فِيهَا كَطَبِيعَةِ : أَنَّ الْعَشَرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَاحِدِ ، لاَ أَهْوَاءً وَشَهَوَاتٍ وَرَذَائِلَ وَمَفَاسِدَ تَتَّخِذُ لَقَبَهَا فِي الضُّعَفَاءِ بِطَبِيعَةٍ كَطَبِيعَةِ : أَنَّ الْوَحْشَ مُفْتَرِسٌ .

ب - وَفَكَّرَ الشَّيْخُ الإمَامُ فَهَدَاهُ تَفْكِيرُهُ إِلَى أَنَّ هَؤُلاَءِ الأُمَرَاءَ مَمَالِيكُ ، فَحُكْمُ الرِّقِّ مُسْتَصْحَبٌ عَلَيْهِمْ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَيَجِبُ ـ شَرْعًا ـ بَيْعُهُمْ كَمَا يُبَاعُ الرَّقِيقُ !

بَلَغَهُمْ ذَلِكَ فَجَزِعُوا لَهُ ، وَعَظُمَ فِيهِ الْخَطْبُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ احْتَدَمَ الأَمْرُ ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ بِإِزَاءِ الشَّرْعِ لاَ بِإِزَاءِ الْقَاضِي ابْنِ عَبْدِ السَّلاَمِ .

وَاسْتَشْنَعَ السُّلْطَانُ فِعْلَهُ ، وَحَنِقَ عَلَيْهِ ، وَأَنْكَرَ مِنْهُ دُخُولَهُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ ، وَقَبَّحَ عَمَلَهُ وَسِيَاسَتَهُ وَمَا تَطَاوَلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ إِلاَّ

(1) هو الإمام شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد السلام ، توفي سنة (660 هـ) .

نَفْسَهُ ، وَمَا تَكَادُ تَصِل يَدُهُ إِلَى مَا يُقِيمُهُ ، وَهُمْ وَافِرُونَ وَفِي أَيْـدِيهِمُ الْقُوَّةُ وَلَهُمُ الأَمْرُ والنَّهْيُ .

وَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الشَّيْخِ الإِمَامِ فَغَضِبَ ، وَلَمْ يُبَالِ بِالسُّلْطَانِ ، وَلاَ كَبُرَ عَلَيْهِ إِعْرَاضُهُ ، وَأَزْمَعَ الْهِجْرَةَ مِنْ مِصْرَ إِلى الشَّامِ ، فَلَمْ يَبْعُدْ إلاَّ قَلِيلاً حَتَّى طَارَ الْخَبَرُ فِي الْقَاهِرَةِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ وَتَبِعُوه ، فَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ : إِنْ ذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ ذَهَبَ مُلْكُكَ .

فَارْتَاعَ السُّلْطَانُ ، فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَلَحِقَ بِالشَّيْخِ يَتَرَضَّاهُ ، وَيَسْتَـدْفِعُ بِـهِ غَضَبَ الأُمَّةِ ، وَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّهُ لَيْسَ رَجُلَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْعَيْشِ وَالْجَاهِ .

وَرَجَـعَ الإِمَـامُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُعْقَـدَ الْمَجْلِسُ ، وَيُجْمَـعَ الأُمَرَاءُ ، ويُنَـادَى عَلَيْهِمْ لِلْمُسَـاوَمَـةِ فِي بَيْعِهِمْ ، وَضَرَبَ لِذَلِـكَ أَجَلاً بَعْـدَ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ قَـدْ تَعَالَمَهُ كُلُّ الْقَاهِرَةِ لِيَتَهَيَّأَ مَنْ يَتَهَيَّأُ لِلشِّرَاءِ وَالسَّوْمِ فِي هَذَا الرَّقِيقِ الْغَالِي !

وَكَانَ مِنَ الأُمَرَاءِ الْمَمَالِيكِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ ، فَبَعَثَ إِلَى الشَّيْخِ يُلاَطِفُـهُ وَيَسْتَرْضِيهِ ، فَلَمْ يَعْبَإِ الشَّيْخُ بِهِ ، فَهَاجَ هَائِجُهُ ، وَقَالَ : كَيْفَ يَبِيعُنَـا هَـذَا الشَّيْخُ وَيُنَادِي عَلَيْنَـا وَيُنْزِلُنَـا مَنْزِلَـةَ الْعَبِيـدِ ؟ أَمَـا وَاللهِ لأَضْرِبَنَّـهُ بِسَيْفِي هَذَا ، فَمَا يَمُوتُ رَأْيُهُ وَهُوَ حَيٌّ .

جـ - ثُمَّ رَكِبَ النَّائِبُ فِي عَسْكَرِهِ وَجَاءَ إِلَى دَارِ الشَّيْخِ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ ، وَطَرَقَ الْبَابَ ، فَخَرَجَ ابْنُهُ عَبْـدُ اللَّطِيفِ وَرَأَى مَـارَأَى ، فَـانْقَلَبَ إِلَى أَبِيـهِ وَقَالَ لَهُ : انْجُ بِنَفْسِكَ . إِنَّهُ الْمَوْتُ ، وَإِنَّهُ .... وَإِنَّـهُ . فَمَـا اكْتَرَثَ الشَّيْخُ لِـذَلِـكَ وَ لاَ جَزِعَ وَلاَ تَغَيَّرَ ، بَلْ قَـالَ لَـهُ : يَـاوَلَـدِي ! أَبُوكَ أَقَـلُّ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ !

وَخَرَجَ لاَ يَعْرِفُ الْحَيَاةَ وَلاَ الْمَوْتَ ، فَلَيْسَ فِيهِ الإِنْسَـانِيُّ بَلِ الإِلَهِيُّ ، وَنَظَرَ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَـةِ وَفِي يَـدِهِ السَّيْفُ ، فَـانْطَلَقَتْ أَشِعَّـةُ عَيْنَيْـهِ فِي أَعْصَابِ هَذِهِ الْيَدِ فَيَبِسَتْ ، وَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْهَا .

د - وَتَنَاوَلَهُ الشَّيْخُ بِرُوحِهِ الْقَوِيَّةِ، فَاضْطَرَبَ الرَّجُلُ وَتَزَلْزَلَ وَكَأَنَّمَا تَكَسَّرَ مِنْ أَعْصَابِهِ ، فَهُوَ يَرْعَدُ وَلاَ يَسْتَقِرُّ وَلاَ يَهْدَأُ .

وَأَخَذَ النَّائِبُ يَبْكِي وَيَسْأَلُ الشَّيْخَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ : يَاسَيِّدِي مَاتَصْنَعُ بِنَا ؟ قَالَ الشَّيْخُ : أُنَادِي عَلَيْكُمْ وَأَبِيعُكُمْ .

- وَفِيمَ تَصْرِفُ ثَمَنَنَا ؟

فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ .

- وَمَنْ يَقْبِضُهُ ؟

أَنَـــا .

وَكَانَ الشَّرْعُ هُوَ الَّذِي يَقُول : «أَنَا» فَتَمَّ لِلشَّيْخِ مَا أَرَادَ ، وَنَادَى عَلَى الأُمَرَاءِ وَاحِداً وَاحِداً ، وَاشْتَطَّ فِي ثَمَنِهِمْ ، وَلاَ يَبِيعُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الثَّمَنُ آخِرَ مَايَبْلُغُ ، وَكَانَ كُلُّ أَمِيرٍ قَدْ أَعَدَّ مِنْ شِيعَتِهِ جَمَاعَةً يَسْتَامُونَهُ لِيَشْتَرُوهُ .

وَدَمِغَ الظُّلْمُ وَالنِّفَاقُ وَالطُّغْيَانُ وَالتَّكَبُّرُ وَالاسْتِطَالَةُ عَلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَعْلَنَهَا الشَّرْعُ : أُمَرَاءُ لِلْبَيْعِ ...! أُمَرَاءُ لِلْبَيْعِ .

تحليل وشـــرح :

1 - ماهي الفكرة العامة التي يعالجها المقال ؟

2 - قَسِّم المقال - كما رأيت - إلى أربعة أقسام . اجعل عنوانا مناسبا لكل قسم .

3 - استعن بالقاموس لشرح الألفاظ التالية : وطأتهم ، احتدم ، استشنع ، حنق ، اشتط ، الاستطالة .

4 - يذكر تلميذ «ابن عبد السلام» أن المسؤول الكبير يجب أن يستمد قوته من الجماهير لا من الأهواء والمفاسد . فما نتيجة كلٍّ من الطريقتين ؟

5 - كان رأي الشيخ «ابن عبد السلام» أن يُعرِّف الأمراء بقيمتهم الأصلية : «أنهم عبيد» لعلهم يرتدعون عن طغيانهم . فماذا كان رد فعل السلطان ؟

6 - غضب الشيخ من موقف السلطان ، فعزّم على الهجرة . فماذا كان موقف الجماهير ؟ وعلام يدل ؟

7 - لماذا رضخ السلطان لأمر الشيخ ؟ وماذا قرر هذا الأخير ؟

8 - نائب السلطنة بعث إلى الشيخ مَن يسترضيه ليرجع عن قراره في بيعهم ، لكن الشيخ لم يعبأ به . فماذا كان رد فعل النائب ؟

9 - نفّذ نائب السلطنة تهديده بذهابه إلى الشيخ لقتله . فكيف كانت النتيجة ؟

10 - بعد الحوار الذي وقع بين الشيخ ونائب السلطنة نفذ الشيخ ماأراد من بيع الأمراء المماليك . فما هو الهدف الذي تحقق من ذلك ؟

11 - من اين استمدّ الشيخ قوّته؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكـار :

1 - تناول الكاتب قضية الطغيان والاستبداد وتصدّي أحد العلماء لذلك . فبأي لون أدبي عالج الموضوع ؟ أترى النص اجتماعيا أم سياسيا ؟ علل .

2 - أمعالجة قضية الاستبداد قديمة أم جديدة ؟ وضح .

3 - اعتمد الكاتب في موضوعه على التاريخ . فما غرضه من وراء هذه القصة ؟ وما ظروف مصر والوطن العربي حين كتابته لها ؟

4 - اذكر الشخصيات التي أُسند إليها الكلام في الموضوع ، واذكر ملامح كلٍّ منها .

5 - الموضوع جاء في شكل مقال قصصي . فهل توجد فيه عناصر القصة من مقدمة وحوادث وعقدة وحل ؟ وإن وُجدت حدد مكانها في النص .

6 - هل ترى في أفكار النص ترابطا وترتيبا . علل ماتقول .

7 - كيف ترى أفكار الرافعي من حيث العمق أو السطحية ؟ بين ذلك .

8 - الكاتب خصب المعاني غزيرها . اشرح ذلك .

ب - العـاطفـة :

يبدو أن الكاتب متفاعل نفسيا مع موضوعه . أتجد في الموضوع عاطفة واحدة أم

عدة عواطف . بيّنها ، وتحدث عن مدى صدقها وقوتها معتمدا على مدى تأثير أفكاره في نفسك ، وعلى الظروف التي كُتب فيها النص ، ولهجة الكاتب في التعبير .

جـ - الأسلوب :

يتميز أسلوب الرافعي بتوضيح المعنى ، لا عن طريق تكرار العبارة أو الكلمة ، وإنما باشتقاق معنى جديد - بأسلوب مغاير - من المعنى السابق ، وإن كان لا ينتقل إلى معنى آخر أو فكرة جديدة ، لكنه يُعمّق المعنى الأول ، ويزيده تفسيرا كما نرى ذلك في قوله : «واستشنع السلطان فعله ، وحنق عليه ، وأنكر منه دخوله فيما لا يعنيه ، وقبّح عمله وسياسته وما تطاول إليه» .

ومن خصائص أسلوب النص : قوة الأداء اللغوي ، فعباراته قوية النسج ، محكمة التعبير ، رصينة البناء ، وألفاظه منتقاة تدل على تمكّن الكاتب وسيطرته التامة على أداة تعبيره اللغوي ، وتطويعها لفكره ، فيستعمل ألفاظا وعبارات تنسجم وتتلاءم مع طبيعة الموضوع أيّما انسجام وتلاؤم مثل : (الأمراء ، القوة المسلطة ، أدبا وشريعة) .

وقد غلبت على النص الأساليب الخبرية لملاءمتها الهدف الذي ينشده الكاتب ، وهو تقرير الحقيقة وتوضيحها عن طريق السرد والحكاية ، من ذلك : «وحيثما وجدت القوة المسلطة المستبدة جعلت طغيانها واستبدادها أدبا وشريعة» .

ومن الأساليب الإنشائية الواردة في النص : الاستفهام التعجبي في قوله : (مامعنى الإمارة والأمراء ؟) الغاية منه إنكار الجبروت وإثبات التكامل والمساواة ، وكذلك الاستفهام الإنكاري من صاحب السلطنة الذي ينكر على الشيخ موقفه الذي يراه تعسّفا في حق الأمراء ، فكيف يسوّي بينهم - وهم الأمراء - وبين غيرهم من العبيد الذين يشملهم البيع والشراء ، وذلك في قوله : «كيف يبيعنا هذا الشيخ ، وينادي علينا وينزلنا منزلة العبيد ؟» وغيرها من الاستفهامات الاستفسارية مثل : ماتصنع بنا ؟ وفيم تصرف ثمننا ؟ ومن يقبضه ؟ وكذلك الأمر الذي يفيد التحذير والتنبيه في قوله : (انج بنفسك ...) .

وقد استعان الكاتب بالبيان لتوضيح معانيه وتجميل أسلوبه ، من ذلك التشبيه

في قوله : (أن تكون هذه الإمارة أعمالا نافعة ... بطبيعة كطبيعة : أن العشرة أكثر من الواحد) (لا أهواء وشهوات ... بطبيعة كطبيعة : أن الوحش مفترس) ففي الصورة الأولى شبه طبيعة الإمارة في كونها نافعة بطبيعة العشرة في أنها أكبر من الواحد ، وفي الثانية شبه الرذائل والمفاسد وطبيعتها في الفتك بالضعفاء بطبيعة الوحش المفترس ، والغرض من التشبيه في الصورتين التحبيب في الإمارة النافعة العادلة في الأولى ، والتنفير من الأعمال الدنيئة والمظالم في الثانية .

ومن الصور ماورد في قوله : (ودمغ الظلم) فهي استعارة مكنية ، شبه فيها الظلم بإنسان له دماغ فضُرب وشُجّ حتى بلغت الشجة دماغه ، وفي الوقت نفسه هي كناية عن القضاء على الظلم والظالمين ، وفي قوله : (وثقلت وطأتهم على الناس) كناية عن بلوغ الظلم والاستبداد أقصى المدى .

وألوان البديع قليلة في النص ، منها ماوردَ من طباق في : (الكل والفرد ، الأمر والنهي) وهذا يزيد الأسلوب جمالا والمعنى قوة ووضوحا .

ومما ذكر في دراسة الأسلوب يبدو لنا أن الرافعي متأثر بأسلوب كتّاب العهد العباسي أمثال ابن المقفع والجاحظ وغيرهما .

د - الأحكام والقيم :

إذا نظرنا في النص وتأملنا أسلوبه وجدنا الكاتب يميل إلى أسلوب العصر العباسي ؛ ففيه إشراق البيان العربي الصادر من الخبير بالأدب الرفيع ، ومعانيه عالية تدل على اقتدار قائلها ، وبذلك جاء قوله متينا ، مستقيم الأداء ، صادق الحكم في قالب قصصي جميل .

وشخصية الرافعي المحبة للحق والعدل ، المشجعة عليها ، المناوئة للظلم والظالمين - بادية من خلال هذا النص ، ويتمثل ذلك في اختياره الموضوع ، وطريقة عرضه ؛ إذ صوّر شخصية «عز الدين بن عبد السلام» في صورة تجعل جميع من يقرأ هذا الموضوع يُعجَب به ، ويحبه ، ويتمنى أن يَكثُر أمثاله ، وصوّر الأمراء في صورة ظالمين مستبدين ينبغي إيقافهم عند حدهم ، وهذا يدل على أن الرافعي معجب بشخصية «عز الدين» متأثر بمواقفه الشجاعة ، فهو لا يخاف في الله لومة لائم .

من مظاهر البيئة التي يصورها الكاتب : انتشار **الظلم والاستبداد** ، واضطهاد الأمراء المماليك لرعيتهم ، مما جعل الأئمة الغيورين على دينهم الرافضين للظلم يجاهدون ضد هذا الاستبداد ، ومكانة العلماء عند الرعية ظاهرة ؛ فهي معهم في السراء والضراء ؛ لكونها رأت فيهم منقذين لها مما هي فيه ، وفي ذلك تحريض العلماء على أن يناهضوا الظالمين المستبدين .

وفي النص قيمة تاريخية وهي : أن المجتمعات الإسلامية عانت الكثير من الظلم والاضطهاد في عصر الضعف ، غير أن الإسلام ينجب من أبنائه رجالا «صدقوا ماعاهدوا الله عليه» يقولون كلمة الحق عند السلطان الجائر .

مقـال أدبـي :

قيل «لا يستقيم أمر المجتمع إلا على ثلاث دعائم : العدل ، وقوة السلطان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ناقش هذا القول مستعينا بما ورد في هذا النص .



حمار الحكيم والزواج
لأحمد رضا حوحو
(1330 ـ 1376 هـ) (1911 ـ 1956 م)



أحمد رضا حوحو

تمهيد :

أحمد رِضا حُوحُو كاتب جزائري اشتغل بالتدريس والكِتَابة والمسرح والصَّحَافة ، ولد ببلدة «سيدي عُقْبَة» حيث حفظ القرآن وأتْقَن اللغتين العربية والفرنسية . واصل تَعَلُّمه في مدينة سَكيكدة ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة سنة 1934 ، فنهل من نَبْعِها العربي الأصيل ، ونال الشهادة العليا عام 1938 من مدرسة العلوم الشرعية[1] . عاد إلى الجزائر عام 1946 ، وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2] ، فأصدر جريدة «الشُّعْلَة» وأسس جَمْعِيَّةَ المُزْهِر القَسنطينية للمسرح .

وظل الكاتب يمارس نشاطه الأدبي والفني والإصلاحي ، من أجل نهضة بلاده حتى اسْتُشْهِد عامَ 1956 م .

أهم آثاره «غَادَة أم القُرَى» و«نماذج بشرية» و«صاحبة الوحي» و«مع حمار الحكيم» .

وفيما يلي مقتطفات من الأثر الأخير ، تتناول ظاهرة التزوج بالأجنبيات ، وهي ظاهرة اجتماعية عرفتها بعض الحواضر العربية :

(1) اشتغل بعد تخرجه أستاذا فيها .

(2) عمل أمينا عاما لإدارة معهد ابن باديس عند فتحه سنة 1947 .

النـــص :

جاءَني حمارُ الحكيم مُبَكِّراً هذا الصَّباحَ عَلى خلافَ عادَتِه كُلَّ يومٍ ، فتعجّبتُ من ذلك ، لأني أعرفُه دقيقَ المحافظة على النظام والمواقيتِ . وما كاد يجلس حتى ابْتَدَرْتُهُ :

ـ خيراً إن شاءَ الله ، هذه الزيارة المبكرة ؟

قال : جئت أستشيرك في أمر مهمّ ... مارأيك في الزواج ؟

قلت : رَأْيِي في الزَّواج هو رأيُ «برْنَارَد شَوْ»[1] فهو كالجمعية السرية ؛ الخارج عنها يجهل عنْها كل شيء ، والْمُنْخَرِطُ فيها لاَ يستطيعُ أن يقول عنها شيئًا .

قال : لم أعْنِ هذا ، وإنما أقصدُ زواجي ، مارأيك في زواجي أنا ؟ فقد خطر ببالي أنْ لا أبْقَى عَازِباً ؟ فإن ذلك يَجُرُّ عليَّ الشُّبُهَاتِ ... ثم لابُدّ من خَلَفٍ صالح يخْلُفُني !

قلت : هل وقع اختيارك على صاحبة الحَسَب والنَّسَب ؟

قال : إنك تعرفني أَجْنَبِيًّا في هذه الديار ، لا أعرف فيها حمارًا ولا أَتَانًا .

قلت : خُذْ لك أَيَّةَ أَتَان تَعْثُرُ عليها والسلام .

قال : لاَ تَنْسَ أنّي لست كبقية الحمير ، فأنا أَتَمَتَّعُ ببعض الثقافة !

قلت : فاسْلُكْ إذَنْ مَسْلَكَ المثقفين .

قال : ماذا تعني ؟

قلت : أعني أن تتزوج بأتان أجنبية !

قال : ماهذا الهَذَيَان ؟ أَأُصِبْتَ في عقلك ؟

قلت : أبدًا ، فَإنَّ الشَّائِعَ في هذهِ الأيام هو زواج المثقفين بأجنبياتٍ ، وأيُّ مانع في أن يتزوج حمَارُنا المُثَقَّفُ بأتان أجنبية تليق بمقامه المحترم ؟!

---

(1) ديب إنجليزي (1856 - 1950 م) نال جائزة نوبل للآداب عام 1925 .

قال : إنَّك لا تَعِي ما تقول !
قلت : لماذا ؟
قال : أمَا يكفي هـذا الانْحِلاَلُ الاجتماعيّ والخُلُقيّ الـذي جَرَّهُ زواجُ بعضِ رِجَالِكم من الأجنبيـات حَتَّى أُضِيفَ إلَيْـهِ انحـلالاً آخَرَ في فَصِيلَـةِ الحمير ؟
قلت : كيف ذلك ؟
قال : زواجي من أتان أجنبية تُخَالِفُنِي في الجِنْس والعادات والتَّفْكِير ، فيه خُطُورَةٌ كبيرَةٌ على أَخْلاَقِي وعاداتي وتَفْكِيرِي .
قلت : يَبْدُولِي أنك تُهَوِّلُ الأمر ... ولا تَنْسَ أنك أنت الـذي ستتزوجهـا ؟ وعليه ، فأنت الَّذِي سَتَفْرِضُ عليهـا عـادَاتـك وأخلاقَـكَ وتَصُبُّهـا في قَالَبِك .
قال : إنِّي لم أرَحَتَّى الآن حماراً شَرْقِيًّا تزوج بـأتـان غربيـة ، ولكِنِي أعْرِفُ كَثِيراً من الرجـال الشَّرْقِيِّين تَـزَوّجُـوا من نســاء أجنبيــات ، ولَمْ أرَ بَيْنَهُم من استطاع أن يُعَرِّب زَوْجَتَهُ الغربيـة ، وقليلون جـدًّا الـذين لم تُفَرْنِجْهُم أزْوَاجُهم !

فكَّرت مَلِيًّـا ثم قلت : ولكن مَـاهِيَ الأسبـاب ، يـاتُرَى ، حَتَّى أُعْطِيَ رَأْيِي السَّدِيدَ في زواج حِمَارٍ من أتان ؟!
قال : هُنَـاك أسبـابٌ تتعلق بـأخلاق المرأةِ من حيث هِيَ امْرَأةٌ ، وأسبـاب خَاصَّةٌ تُضَافُ إلى أخلاقِ المرأة الأجنبية .
قلت : إنكَ سَتَتَوَرَّطُ فِي فَلْسَفَةٍ عَقِيمَةٍ !
قال : الأمْرُ بَسِيطٌ جِدًّا ، وَإلَيْكَ بَيَانَه ...
قلت : هــات .
قـال : إنّ المرأة مع أنَـانِيَّتِهَـا تشعر بضُعْفٍ طَبِيعي غريزي فيهـا ، فهي من الناحية النَّفْسَانِية ترتاح إلى الرجل القوي الذي يَبْسُط عليها سلطانَه

العارِمَ،ويَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا فَتَسْتَكِينُ إليه،لأنها تشعر بحمايته ورعايته : فهي تريدُه ضَعِيفًا وتَبْغُضُ ضُعْفَه ، فهي تجدُ مُتْعَةً في التَّغَلُّبِ عليه ، لكنها تَجد حَسْرَةً في اسْتِسْلاَمِه إليها ، لأنه بهذا الاستسلام ينهار في قلبها ذلك الحِصْن الَّذِي كانت تتمتع بحمايته وترتاح إلى قوته وجَبَرُوتِه .

قلت : ثم ماذا ؟

قال : هذه الأسباب العامة ، وهي تتعلق بأخلاق المرأةِ مِنْ حَيْثُ هي ، ويُضَافُ إليها بالنسبة للأجنبية أنَّها تَرَى نفْسَهَا ابْنَةَ حَاكِمٍ وهو ابن مَحْكُومٍ ، سيدةً وهو مَسُود ، ترى في زواجها منه تنازلاً منها لطبقته ، فهي إذن تَمُنّ وتَتَدَلَّلُ ، وماعليه إلاّ أنْ يرضى ويَتَذَلَّل ، وإلاَّ حدث الخلاف ، وساد الشقاق ، وكان بعد الزواج الطَّلاق .

قلت : إن كلامَك حقٌّ ، لكني لا أتحمل مسؤوليته .

قال : دعنا من هذا ، وَلْنَعُدْ للموضوع !

قلت : نصيحتي لك أن تصرفَ فكرَكَ عن الزواج ، فأنت حمار وَدِيعٌ ، وإنّي أخشى عليك من تَسَلُّطِ الأنثى وسيطرتها عليك فيخسرك المُجْتَمع الذي أخذ يُعْجَبُ بك وبآرائك السّديدة ...

تحليل وشرح :

1 – عين فكرة النص العامة ؟

2 – قسم النص إلى أفكاره الأساسية ، وضع لكل منها عنواناً مناسباً .

3 – ابحث في القاموس عن معاني الكلمات الآتية : الشبهات ، الهذيان ، قالَب ، تتدلل .

4 – ماهي الأسباب التي دفعت الكاتب إلى مهاجمة الزواج بالأجنبيات ؟

5 – كيف فلسف الكاتب تناقض المرأة ؟ ومارأيك فيه ؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكـــار :

1 - ماهي أهداف الكاتب من خلال هذا النص ؟
2 - في النص عُنْصُرَا الفُكَاهة والتَّهَكُّم . فما قيمتها في استمالة القارىء والتأثير فيه ؟
3 - نلمح في النص تحليلا عميقا لطبيعة المرأة . مارأيك فيه ؟ ومن أين استفاده الكاتب في نظرك ؟

ب - العاطفة :

1 - في النص نلمس بعض العواطف . مانوعها ؟ وكيف تُسَوِّغ وجودها ؟

جـ - الأسلوب :

1 - ألفاظ رضا حوحو سهلة ميسورة ، وردت في غير تكلف . استدل على ذلك .
2 - لِلُّغَةِ الواحدة مستويات متعددة ، أعلاها لغةُ كبار الأدباء ، وأدناها لغةُ الصحافة .فما هو مستوى لغة النص في نظرك ؟
3 - فيما يلي عبارتان ، أيُّهُمَا أصَحُّ : (تَزَوّج من ... - تزوّج بـ ...) . وماذا تستنتج من ذلك ؟
4 - استعمل الكاتب عبارة (فصلية الحمير) فهل توجد فصيلة بهذا الاسم ؟ وماذا تستنتج من ذلك ؟
5 - لاحظ الجملتين الآتيتين : أيها تفضل ولماذا ؟
- ترى في زواجها منه تنازلا منها لطبقته .
- ترى في زواجها به تنازلا منها عن طبقتها .

د - الأحكام والقيم :

1 - للنص غايات إصلاحية وأهداف تربوية . فما هي ؟
2 - في النص قيم وطنية واجتماعية . عَيِّنْها .

نَصّ للتَّحليل

بم أدركت العلم؟

للهمذاني

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْغُرْبَةِ مُجْتَازاً ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لآخَرَ : بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ قَالَ :

طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ ، لاَ يُصْطَادُ بِالسِّهَامِ ، وَلاَ يُقْسَمُ بِالأَزْلاَمِ ، وَلاَ يُرَى فِي الْمَنَامِ ، وَلاَ يُضْبَطُ بِاللِّجَامِ ، وَلاَ يُورَثُ عَنِ الأَعْمَامِ ، وَلاَ يُسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ الْمَدَرِ ، وَاسْتِنَادِ الْحَجَرِ ، وَرَدِّ الضَّجَرِ ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ ، وَإِدْمَانِ السَّهَرِ ، وَاصْطِحَابِ السَّفَرِ ، وَكَثْرَةِ النَّظَرِ ، وَإِعْمَالِ الْفِكَرِ ، فَوَجَدْتُهُ شَيْئاً لاَ يَصْلُحُ إِلاَّ لِلْغَرْسِ ، وَلاَ يُغْرَسُ إِلاَّ فِي النَّفْسِ ، وَصَيْداً لاَ يَقَعُ إِلاَّ فِي النَّدْرِ ، وَلاَ يَنْشَبُ إِلاَّ فِي الصَّدْرِ ، وَطَائِراً لاَ يَخْدَعُهُ إِلاَّ قَنَصُ اللَّفْظِ ، وَلاَ يَعْلَقُهُ إِلاَّ شَرَكُ الْحِفْظِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ ، وَحَبَسْتُهُ عَلَى الْعَيْنِ ، وَأَنْفَقْتُ مِنَ الْعَيْشِ ، وَخَزَنْتُ فِي الْقَلْبِ ، وَحَرَّرْتُ بِالدَّرْسِ ، وَاسْتَرَحْتُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى التَّحْقِيقِ ، وَمِنَ التَّحْقِيقِ إِلَى التَّعْلِيقِ ، وَاسْتَعَنْتُ فِي ذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ .

فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَافَتَقَ السَّمْعَ ، وَوَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ ، وَتَغَلْغَلَ فِي الصَّدْرِ ، فَقُلْتُ : يَافَتَى ! وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذِهِ الشَّمْسِ ؟

فَجَعَلَ يَقُولُ :

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي ... لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي ... وَبِالْعِرَاقِ نَهَارِي

شــرح لـغــوي :

المرام : المطلب من رام يروم .

الأزلام : جمع زَلَم ، سهم لا ريش عليــه ، كان الجــاهليـون يستقـمـون بهــا ؛ فيكتبون عليها «الأمر أو النهي» وتوضع في وعاء ، ثم يُستخرج واحد منها بوضع اليـد داخل الوعاء ، فإن خرج «الأمر» مضى الشخص لقصده ، وإنْ خرج «النهي» كفّ .

المدر : طين لا يخالطه رمل ، يصنع منه اللِّبن للبناء .

الندرِ : النادر القليل الوجود .

ينشب : من نشِب نشوبا ونُشبة : يعلَق ويتعلق .

فتق : يفتق فتقا : شقّ .

المطــلــوب

حلل المقامة تحليلا أدبيا متبعا الطريقة التي حُلّلت بها المقامة المدروسة .

تطـــور النثر القصصي

– لقد استخدم العرب ـ في العصر الجاهلي ـ الكتـابـة لأغراض سيـاسيـة وتجـاريـة ، ولكن لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تُتيح لنا أن نَزْعُم أنه وُجد عنـدهم لون من ألوان الكتابة الفنية[1]

– وفي عصر بني أمية ، ظهر فريق من الوعـاظ ، كانوا يمزجـون وعْظَهُم بـالقَصَص الـديني المستمـد من الـذكر الحكيم ، وأحـاديث الرسول الكريم ﷺ وأقـوال الصحـابـة الميامين رضوان الله عليهم[2]

– وأما في العصر العباسي الأول فقد ازدهرت فنون نثرية مختلفة بسبب اتســاع دائرة الثقـافـة العربيـة ، وازدهـار الحيـاة المـدنيـة ، ونقل عشرات المؤلفـات في شتى العلـوم والفنون من اليونانية والفارسية والهنـديـة والكلـدانيـة إلى اللغـة العربيـة . وكان وراء ازدهار الحركة العلمية والأدبية الخلفاءُ العبـاسيون ، بفضل مـاأبـدوا من عنـايـة بـالعلم والعلماء ، وما أظهروا من اهتمام بالأدب والأدباء .

وهكذا ، نقل ابن المقفع إلى العربية قصص «كَلِيلَة ودِمْنَة» وألّف الجـاحـظ كتـاب «البُخَلاَء» ، وصَنَّفَ سَهْل بن هارون مجموعة قصص على منوال كليلة ودمنة سماها «النمر والثعلب» . وتتميز هـذه المـؤلفـات كلهـا بمتـانـة الأسلـوب ، ودقـة التعبير ، وفصـاحـة اللغة .

– وفي العصر العباسي الثـاني (334–656 هـ) ظهر فَنُّ المقـامـة ، وهُوَ فن قصصي جديد يُعْنَى بتعليم اللغة والتعريف بأساليبها . لذلك نجد فيـه مغـالاة في الصنـاعـة ، ومبالغة في حشد الغريب . وتـدور موضوعـات المقـامـة حول بطل من أبطـال الحيل والمكر ، أو حول فارس من فرسان البلاغة والعلم . وتشتمل على شتى المعلومـات ؛ مثل الأمثال والألغاز والأحاجي والحكم .

---

(1) و(2) الفن ومذاهبه في النثر العربي – شوقي ضيف – ص 19 .

وقد استمرت الكتابة في هذا الفن إلى العصر الحديث ، واشتهر من كتاب المقامات بديع الزمان الهمذاني وأبو القاسم الحريري (1054–1122 هـ) وناصيف اليازجي (1800–1871 م) ومحمد المويلحي (1868–1930 م) .

وابتداء من أواخر العصر العباسي الثاني ، وخلال عصر الضعف ، ظهرت صنوف شتى من القصص الطويلة : وإليك بيان ذلك :

أ – **القصص الخيالي :** مثل قصة «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري ، وتتناول موضوع البَعْث والحساب ، وتعتمد على متانة اللغة ، واستعمال الغريب ، وتشتمل في طياتها على كثير من نقد الأدب والشعر .

ب – **القصص الفلسفي :** مثل قصة «حي بن يقظان» لابن طُفَيْل (1100 – 1185 م) وتتناول قضية فلسفية لها صلة وثيقة بالدين .

حـ – **القِصص التاريخي :** مثل قصة «سيف بن ذي يَزَن» ، وسيرة عنترة : شخصياتها تاريخية ، غير أن أحداثها خيالية مُخْتَلَقَة . تتناول البطولات ، ومواقف الحماسة . وقد ظهر هذا النوع من القصص لإثارة الحمية،ولشحذ الهمم يَوْمَ كانت ثُغُور «دار الإسلام» تتعرض لحملات صليبية حاقدة . وكان بعض هذه القصص يمتاز بمتانة البناء الفني ، في حين كان البعض الآخر يفتقر إلى الحبكة والصياغة الجيدة .

وفي العصر الحديث : حاول بعض الكتاب بعث المقامة من جديد ،وقد اتسمت هذه المحاولات بالجدة ، وتناولت الواقع بنظرات ناقدة نافذة ، إلاَّ أنها لَمْ تلب حاجات العصر .

كما تأثر البعض الآخر بالرواية الغربية تأثراً واضِحاً . وقد مَرَّت الرواية العربية بأطوار متعددة تتجلى فيما يلي :

1 – **الرواية المترجمة :** في المرحلة الأولى لم يتقيد المترجمون بالأصل وأباحوا لأنفسهم أن يتناولوا أحْدَاث القصة بالتبديل أو التلخيص أو الحذف مثل ترجمة حافظ إبراهيم لبؤساء «فكتور هيجو» .

وفي المرحلة الثانية : أخذت الترجمة تتميز بالدقة ، والتزام النص الأصلي ، مع مراعاة سلامة اللغة وإشراقها .

2 - **الرواية التاريخية :** وهي تستوحي أحداثها وتستمد شخصياتها من التاريخ ، وتقدم صوراً تاريخية لفترة ما ، نابضة بطبيعة العصر وعَاداته .

3 - **الرواية الاجتماعية :** تعالج قضايا المجتمع ، وماتزدحم به حياته من متناقضات ، وما تزخر به نفوس البشر من نوازع وعواطف . وتعد رواية «زينب» التي ألفها محمد حسين هيكل الأولى في هذا الاتجاه . وقد اشتهر من الكتاب في هذا البَابِ توفيق الحكيم،ونجيب محفوظ،ويوسف السباعي،ويوسف إدريس وغيرهم .

4 - **الأقصوصة :** ظهرت الأقصوصة بشكلها الفني المحدد خلال القرن 19 ومن روادها في أمريكا إدجار ألان بو (1809 - 1849 م) ، وفي فرنسا **جي دي موباسان** (1850 - 1893 م) ، وفي روسيا **أنطوان تشيكوف** (1860 - 1940 م) . وبدأت الأقصوصة في الأدب العربي الحديث محتذية خطى المقامات من حيث احتفاؤها بالسجع والبديع واستعمال الغريب . ثم جاءت قصص **الْمَنْفَلُوطِي** (1876 - 1924 م) . وكانت بمثابة مرحلة انتقال من طور المقامة إلى القصة القصيرة . ثم مالبثت أن خَطت نحو النضج خطوات واسعة على أيدي لفيف من الأدباء يتقدمهم الأَخَوَان محمد ومحمود تَيْمُور .

خصائص النثر القصصي

يأتي النثر القصصي على أشكال مختلفة ، تتفاوت أساليبها من حيث المتانة ، واختيار العبارات ، والاحتفال بصنوف الزخرفة :

1 - **الحكايات والنوادر القديمة :** بعضُها مَوْضُوع على ألسنة الحيوانَات مثل حكايات «كليلة ودمنة» التي نقلها ابن المقفع إلى العربية . وبعضها الآخر يعتمد على وصف أحْدَاثٍ وأشخاص لغرض التسلية والفكاهة مثل نوادر الجاحظ . وفي هذا النوع من النثر عناية بالغة بأستنباط المعنى وتنميق المبنى .

2 - **المقامة :** قصة قصيرة تتصل مَوْضوعاتها بشتى مناحي الحياة ، وتهدف إلى تعليم اللغة والتعريف بألفاظها وأساليبها . ولهذا تتميز بأهتمام بالغ بحشد الغريب من الألفاظ ، وانتقاء أكبر قدر من الصور البيانية ، كما تتميز بالتزام السجع وشتى أنواع المحسنات البديعية ، وقد تُحَلَّى أحياناً بمأثور الشعر والحكمة . وتعتمد على سرد

الأحداث والمشاهد ، وعلى الحوار الذي يدور بين شخصياتها .

3 - **الأُقْصُوصة والقِّصة والرواية** : فنون قصصية ازدهرت في العصر الحديث بفضل احتكاك العرب بالأوربيين واطّلاعهم على آدابهم.

وأبرز خصائص النثر القصصي عمومًا :

1 - الاهتمام بالفكرة الأساسية دون التطرق إلى التفصيلات الثانوية ، وتجنب التصريح في عرض الموضوع ، وأن يكون للقصة مغزى رئيسي يفهم من السياق .

3 - رسم الشخصيات رسما صحيحا بحيث تتضح سماتها وملامحها ، وظهورها طبيعية تصدر في أقوالها وأفعالها عن منطق الحياة ، وبعث الحركة فيها حتى يحس القارىء من أعمالها حرارة هذه الحياة .

4 - تنوع الأشخاص والحوادث وترتيبها ترتيباً منطقيا بحيث يرتبط كل فعل منها بسابقه ولاحقه .

5 - سِيَادة عُنصر التشويق والمفاجأة الذي يدفع القارىء إلى متابعة القراءة بحرارة وأنتباه ، وتنوع أسلوبها بين سرد الحوادث ووصف تحليلي ، وحوار شيق متنوع .

6 - سهولة العبارة ووضوحها ، وتنوّعها بين الرقة والقوة على حسب المواقف والشخصيات ؛ فلغة النساء غير لغة الرجال ، ومواقف العِتاب غير مواقف الوعيد ...

7 - قدرة لغتها على تصوير العواطف والأفكار والمناظر أصدق تصوير لتجعل القارىء كالمشاهد ، وخلوها من الزخرف والبديع ، وتخير الألفاظ الموسيقية وتجنب الكلمات الشائعة ، ومراعاة مايقتضيه المقام من إيجاز وإطناب .

الفَصل الثالث

الرسَالة

1 - محاسبة الولاة   لعمر بن الخطاب
2 - رسالة شوق ووداع   لعبد الحميد الكاتب
3 - تهديد ووعيد   لعمرو بن مسعدة
4 - صداقة وشوق   لابن العميد
5 - تطور الرسالة وخصائصها

الرّسَـــــالـــة

تـعـريـــف :

الرسالة وسيلة من وسائل التبليغ تنقسم إلى نوعين اثنين : الرسائل التي تصدر عن دواوين الدولة وإداراتها ، فتلك هي الرسائل الديوانية ، والرسائل التي يتبادلها الأصدقاء والإخوان وتلك هي الرسائل الإخوانية .

والدراسات الأدبية **لا** تهتم إلاّ بالرسائل الفنية التي تأنّق فيها أصحابها واتخذوها مَوْضوعا للعناية الفنية سواء كانت عامّة أم خاصّة .

محاسبة الولاة

لعمر بن الخطاب (ض)

تمهيد :



صاحب هذه الرسالة هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى، ينتهي نسبه إلى كعب بن لُؤيّ، لقَّبه الرسول ﷺ «بالفاروق»، ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

ويعد ابن الخطاب رضي الله عنه من أشراف قريش وشجعانها . حتى إن رسول اللَّه ﷺ دعا الله أن يعز الإسلام بأحد العمرين : عمرو بن هشام . أو عمر بن الخطاب . أسلم في السنة السادسة النبوة . ففرح المسلمون بإسلامه . وهو أحد العشيرة المشهود لهم بالجنة . وثاني الخلفاء الراشدين ، ومن كبار علماء الصحابة وزهّادهم . توفي رضي اللَّه عنه شهيدًا بطعنة من المجوسي أبي لؤلؤة في آخر سنة (23) هجرية :

دامت خلافته عشر سنين ، قام فيها بأعمال جليلة لتأسيس الدولة الإسلامية ، وهو المشهور بالعدل والحزم والورع والصلابة في الحق . ومن أعماله العظيمة في خلافته : تجنيد الجيوش وفتح الأمصار وإقامة الدواوين وإنشاء المدن ، فأسس بذلك أركان أعظم إمبراطورية إسلامية لم يسمع التاريخ بمثلها نظاما وعدلا وأمنا في القديم والحديث .

كان عمر رضي الله عنه . مثالا حيًا للعدل ، فهو يحاسب نفسه كما يحسب ولاته . من نظامه في معاملة الولاة إحصاء أموالهم قبل الولاية وبعدها . فما زاد أثناء ولايتهم صادره كله أو نصفه لبيت مال المسلمين . ومن تعلل منهم بالتجارة قال له : إنا بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارًا . وهذا النص نموذج من محاسبة عمر رضي الله عنه لأحد ولاته . وهو عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر . ورسالته هذه من الرسائل الديوانية التي ظهرت عند توسع رقعة الدولة الإسلامية . وقامت الاتصالات بين ولاة الأقاليم والحكومة المركزية .

النـــص :

أ - كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِوبْن الْعَاصِ وهُوَ يَـوْمَئِـذٍ وَالِي مِصْرَ :

مِنْ عَبْـدِ الله عُمَرَ أَمِيرِ الْمُـؤمِنِينَ إلَى عَمْرِوبْنِ الْعَـاصِ ، سَـلاَمُ الله عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ بَلَغنِي أَنَّـهُ فَشَتْ لَـكَ فَـاشِيَـةٌ مِنْ خَيْلٍ وَإِبلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ وَعَبِيـدٍ ، وَعَهْدِي بِكَ قَبْلَ ذَلِكَ أَن لاَّ مَالَ لَكَ ، فَأَنَّى لَكَ هَذَا؟

وَلَقَـدْ كَـانَ عِنْـدِي مِنَ الْمُهَـاجِرِينَ الأَوَّلِينَ مَنْ هُـوَ خَيْرٌ مِنْـكَ ، وَلَكِنِّي قَلَّـدْتُـكَ رَجَـاءَ غَنَـائِـكَ ، فَـاكْتُبْ إِلَيَّ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟ وَعَجِّلْ .

ب - فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرو : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانِي كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ يَذْكُرُ فِيهِ فَاشِيَةَ مَالٍ فَشَا لِي ، وَأَنَّهُ يَعْرِفُنِي قَبْلَ ذَلكَ وَلاَمَالَ لِي ، وَإِنِّي أُعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ أَنِّي بِبَلَـدٍ السِّعْرُ فِيـهِ رَخِيصٌ ، وَأَنِّي أُعَـالِجُ مِنَ الْحِرْفَـةِ وَالزِّرَاعَـةِ مَـايُعَـالِجُ أَهْلُـهُ ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ سَعَـةٌ ، واللهِ لَوْ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ حَلاَلاً مَا خُنْتُكَ .

جـ - وَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ تَسْطِيرِكَ الْكِتَـابَ ،

وَتَشْقِيقِــــكَ الْكَــلاَمَ فِي شَيْءٍ ، وَلَكِنَّكُمْ - مَعْشَرَ الأُمَرَاء - قَعَـــدْتُمْ عَلَى عُيُــونِ الْمَــالِ ، وَلَنْ تَعْـدَمُـوا عُـذْراً ، وَإِنَّمَـا تَـأْكُلُـونَ النَّـارَ ، وَتَتَعَجَّلُونَ الْعَـارَ ، وَقَـدْ وَجَّهْتُ إِلَيْـكَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَـةَ فَسَلِّمْ إِلَيْـهِ شَطْرَ مَالِكَ .

تحـليـل وشـرح :

هذه ثلاث رسـائل ديوانيـة بين أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب (ض) وواليـه عمرو ابن العاص (ض) ، تعالج مبدأ إسلاميا يضمن للمجتمع سلامتـه ، ويقوّي الصلـة والثقـة بين المسؤولين والرعية ، وهذا المبدأ هو محـاربـة استغلال النفوذ ، وفي نفس الوقت هو الفكرة العـامـة التي يـدور حولهـا الحـديث ، وتنـدرج تحت هـذه الفكرة ثلاث أفكار أساسية هي :

أ - طلب الخليفة تبيين مصادر ثروة الوالي .

ب - تبيين الوالي تلك المصادر .

جـ - عدم اقتناع الخليفة بكلامَ الوالي .

أ - [**فشت لك فاشية** : كثر مالك وانتشر . **عهدي بك** : معرفتي بـك . **أنّى لك هذا ؟** من أين لك هذا ؟ **قلّدتك** : ولّيتك . **رجاء غنائـك** : أملا في نفعـك للأمة] .

بدأ الخليفة عمر (ض) رسالته في القسم الأول . بالتحية . ثم أخبر واليه عمرو بن العاص (ض) بما بلغه عن كثرة ماله . مع أنه كان فقيرا قبل ولايته ، وبيّن له أن اختياره له مبني على أمل انتفاع الأمة بمقدرته وخبرته . فكان جديرًا به وحقيقا أن يحرص على هذه الثقة . وألا يطمع في مال الأمة . ثم طلب إليه الإسراع بالرد توضيحا للأمر وتبيينا لمصادر تلك الثروة .

ب - [**أعالج** : أزاول وأباشر . **رزق** : هنا العطاء والمرتب] .

وفي رد عمرو بن العـاص (ض) تنـاول إقراره بصحـة مـاعلمـه الخليفـة من كثرة أمواله بعد الولاية وفقره قبلها ، وبعدها تحـدث عن بيـان مصـادر ثروتـه قـائلا : إني

ببلد خيرها عميم ، والأسعار فيها رخيصة ، وأنا أقوم بما يقوم به أهلها من الحرف والأعمال ، وعطاء أمير المؤمنين كثير : مما يساعد على الادخار والثراء ، وينهي الرسالة بالقسم على أنه لا يمكن أن يخون أمير المؤمنين ، حتى ولو كانت الخيانة حلالا .

جـ - [**تسطيرك** : تأليفك . **تشقيقك** : تزيينك وتحسينك . **لست من تسطيرك في شيء** : لاأنخدع بجمال أسلوبك وبراعتك في الدفاع عن نفسك . **قعدتم على عيون المال** : استوليتم على أغلى الأشياء . **لن تَعْذَمُوا** : لن تعجزوا عن التبرير وإيجاد الأعذار . **تأكلون النار** : تأكلون الحرام المؤدي بكم إلى عذاب النار . **محمد بن مسلمة** : وكيل عمر رضي الله عنه في محاسبة الولاة . **شطر مالك** : نصفه] .

وفي الرسالة الأخيرة رد عليه الخليفة بقوله : إني لا أتحمل وِزْرَ مايخفيه كلامك المنّق المجمّل : ولكنك كغيرك من الولاة . قد استوليتم على نفائس المال . وتعتذرون لذلك بشتى المعاذير . وأنتم بذلك تعملون مايجلب لكم العار . ويدخلكم النار . ثم يصدر حكمه ويخبره أنه أرسل إليه رسولا ليسلّمه نصف ماله .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكــار :

هذه الرسائل نموذج للكتابة الديوانية في ذلك العهد . تتميز معانيها بالوضوح ، وأفكارها بالترابط والتناسق ، إذ بُدئت بذكر اسم المرسِل والمُرسَل إليه وتحيته ، ثم فُصل بين المقدمة الوجيزة والموضوع بـ (أما بعد) ، وعُرض موضوع الرسالة الأولى بإيجاز ، ثم ختمت بخاتمة هي لوم وطلب إيضاح . وتلاحظ مثل ذلك في الرسالة الثانية والثالثة ، وإن كانت المقدمة محذوفة في كلٍّ منها .

والرسائل لون جديد في ذلك العهد : إذ أن العرب في الجاهلية لم تكن لهم دواوين وإدارة ، وإن كان هذا اللون من الرسائل جديدا . فالأفكار في هذه الرسائل تعد جديدة كذلك : فالمبدأ الذي درت حوله تلك الرسائل جديد . وطريقة التعامل البسيطة - التي ليس فيها تفخيم بين الخليفة والولاة - جديدة .

ب - العـاطـفـة :

تبدو عاطفة الإخلاص للدين والأمة جلية ظاهرة ، وصدقها لا شـك فيـه ؛ فكل مؤمن متشبع بمبـادىء الإسلام يتجـاوب ويتفـاعـل معهـا ، وتـؤثر فيـه ؛ فعمر (ض) الخليفة العادل يحـاسب نفســه وأهلـه قبل أن يحـاسب غيره ، وهو الورع التقي الـذي شهد له الرسول ﷺ بالعدل فسمّاه «الفاروق» .

جـ - الأسلـــوب :

ألفاظ وعبارات الرسائل سهلة واضحـة لا تـأنّق فيهـا ولا تكلف ، بعيـدة عن الغرابة قريبة التناول ، هـدفهـا التعبير عن المعنى من أقرب طريق دون حـاجـة إلى تنميق أو تزويق .

ويغلب على الرسـائل الأسلـوب الخبري ومنـه : «لقـد كان عنـدي من المهـاجرين الأولين ... غنائـك» وغرضـه البلاغي اللوم والعتـاب ، وفي : «قعـدتم على عيون المـال ولن تعـدموا عـذرا» أسلوب خبري آخر،غرضـه التوبيخ والتقريع ، وفي «إنما تـأكلـون النـار وتتعجلون العـار» أسلوب خبري غرضـه التخويف . ومن الأسـاليب الإنشـائيـة الاستفهام في : «أنّى لك هذا ؟» وغرضـه البلاغي التعجب ، و«من أين لـك هـذا ؟» استفهام حقيقي ، ومن الإنشـائي كـذلـك الأمر في : «فـاكتب ، وعجّل ، سلّم» وهي أوامر حقيقية تفيد التكليف والإلزام ، لأنها صادرة من الخليفة للوالي .

وأسلوب الرسـائل جـاء مبـاشرا في أكثره ، لقلـة الحـاجـة إلى الصـور البيـانيـة في الرسائل العامة ، التي تُعنى بالحقائق أكثر من عنايتها بـالتـأثير العـاطفي ، ومع ذلـك فقد جاءت بعض الصور الجميلة ؛ ففي رسـالـة عمر (ض) الأولى ورد قولـه : «قلّدتـك» وهي استعارة مكنية تصور الولاية قلادة في عنق الوالي ، وفيها تجسيم وإبراز للمعنوي في صورة محـسوسـة ، وفي رسـالتـه الأخيرة ورد قولـه : «تسطيرك الكتـاب وتشقيقـك الكلام» وهي كناية عن البراعة في التنميق للتأثير في النفس ، وفي «قعـدتم على عيون المال» كناية عن السيطرة عليه والاستئثار بـه ، وفي «تـأكلون النـار» مجـاز مرسل عن المال الحرام علاقته المُسببية ؛ لأن العذاب في النار مسبَّب عن أكله .

أمـا المحسنـات البـديعيـة فلا تكاد تُـذكر ، ولا يظهر منهـا في النص جليـا سـوى

السجع الذى ورد في الرسالة الأخيرة : «وإنما تـأكلون النـار ، وتتعجلون العـار» وقـد أحدث موسيقى في العبارة ترتاح إليها الأذن ، وتأنس لها النفس .

د - الأحكام والقيم :

- في النص يظهر أثر الإسلام الحضاري جليا في طريقة معاملة الخليفة للولاة ، كما يظهر أن الإسلام يسوي بين جميع الناس في الحقوق والواجبات .

- اختيار الوالي قائم على مقدرته وكفاءته على أمل الانتفاع بمواهبه التي لا تتوافر فيمن هو خير منه في نواح أخرى . وليس الحكم تشريفا لصاحبه يرفعه فوق القانون أو يجعله يستغل القانون لشخصه ومصالحه وانما هو تكليف لمصلحة الأمة .

- يشير النص إلى سبق الإسلام للحضارات الحديثة في تطبيق مبدإ : «من أين لك هذا؟» على جميع رجال الدولة . (ض) في ذلك مقتدٍ بالرسول ﷺ الذي حاسب أحد جُباة الزكاة عندما رجع من عمله فقال : «هذا لكم . وهذا أُهدي لي» فقال النبي ﷺ : «ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولاّنا اللّه فيقول : هذا لكم وهذا أهدي إلي ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر : أيُهدى له أم لا؟» .

- يدل النص على النظرة الحكيمة في تقدير رواتب الولاة من طرف عمر (ض) حتى لا تمتد أيديهم إلى مال الدولة ، وحتى يظهروا بالمظهر اللائق لحفظ هيبتهم . مع أنه كان زاهدًا يقنع بالقليل ليكون قدوة لغيره .

- في الرسائل ملامح عن شخصية الخليفة وشخصية الوالي ؛ فعمر (ض) حاكم عادل صريح واضح قوي في الحق ، يعالج الأمور بحزم ، يقِظ يعرف شؤون الدولة ويحاسب الولاة حساب الخبير بصنوف الرجال ، ولا ينخدع بدهائهم وحججهم . يقتدي بالرسول ﷺ وينفذ مبادىء الدين .

- أما عمرو بن العاص (ض) فهو خبير واسع الذكاء في استثمار ماله بطرق مشروعة . منمق الأسلوب ، واختلاف الطبائع البشرية التي فطَر اللّه الناس عليها . يقتضي أن يوجَد في المجتمع رجل مثل الفاروق ، ورجل مثل عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما .

تمارين تطبيقية :

1 - لِمَ بعث عمر بن الخطاب برسالته إلى عمرو بن العاص ؟ ومامضمونها ؟
2 - ماذا طلب عمر من واليه في ختام الرسالة ؟ وعلام يدل ذلك ؟
3 - رد عمرو بن العاص يدل على ذكاء وفطنة ، وضح ذلك مبينا الحجج التي دافع بها عن نفسه ، وما موقفك إذا كنت واليًا مكان عمرو؟ ولماذا؟
4 - لم يقتنع الخليفة بردّ الوالي . فلماذا ؟ ومارأيك في حكمه ؟
5 - كان عمر (ض) مقتديا بالرسول ﷺ في اتباع مبدأ «من أين لك هذا ؟» وضح ذلك ، مبينا أثر العمل بهذا المبدأ في الدولة العصرية .
6 - يكشف النص عن ملامح شخصية كلٍّ من عُمَر وَعَمْرو (ض).وضح .
7 - استخرج من رسالة عمرو بن العاص (ض) أسلوبا خبريا وأسلوبا إنشائيا وبين غرضهما الأدبي .
8 - لكتابة الرسائل الديوانية في ذلك العصر سمات فنية . وضّحها في ضوء دراستك لهذه الرسائل .
9 - تُحفَظ الرسالة الأولى والثانية بأداء جيد .



13 - الحجرات

رســـالة شـــــوق ووداع

لعبد الحميد الكاتب (؟ - 132 هـ)

تمـهـيـد :



عبد الحميد الكاتب

عبد الحميد بن يحيى ، انحدر من أصل فـارسي ، وكان ولاؤه في بني عـامر ، ومنشـؤه الأنبـار . لاتُعرِّفنـا المراجـع بتاريـخ مـولـده ولا بـأحـداث حيـاتـه المبكرة ، وأول مـانعرفـه عنـه أنـه قـد احترف التَّعليم في مـدينـة الكوفـة وكانت حاضرةً حافلة بالعلم والعلماء .

اتصل بالخليفة هشام بن عبد الملك وكتب له ، وكان سبب اتصاله بـه صهر له يُدعى سالِمٌ وهو أحد أعلام الكتـابـة وقْتَئِذٍ ، وكاتِمُ سِرّ الخليفة .

استكتبه مروان بن محمد لما كان وَالِياً على أرْمِينيـة[1] ، وتعلق بـه بعد توليـه الخلافة،واستبقاه لنفسه إلى أن قُتلاَ في مصر عام 132 هـ .

لم تبلغنا من آثاره إلا طائفة من الرسائل ، منها هـذه الرسـالـة التي بعث بها إلى أهله لَمَّا كان هَائِماً على وجهه مع مروان بن محمد هارِباً من سيوف بني العبَّاس الـذين افتكوا السلطة من أيدي الأمويين .

---

(1) منطقة تقع جنوب القفقاس« القوقاز» في روسيا وشرق أنقرة .

النـــص :

أ – أمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِالْمَكَـارِهِ والشُّرُورِ ، فَمَنْ سَاعَدَهُ الْحَظُّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا ، وَمَنْ عَضَّتْهُ بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا ، وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا . وقد كَانَتْ أَذَاقَتْنَا أَفَاوِيقَ اسْتَحْلَيْنَاهَـا ، ثُمَّ جَمَحَتْ بِنَـا نَـافِرَةً وَرَمَحَتْنَـا مُوَلِّيَـةً ، فَمَلُحَ عَـذْبُهَـا وَخَشُنَ لَيِّنُهَـا ، فَـأَبْعَـدَتْنَـا عَنِ الأَوْطَانِ ، وفَرَّقَتْنَا عَنِ الإِخْوَانِ ، فَالدَّارُ نَازِحَةٌ ، والطَّيْرُ بَارِحَةٌ .

ب – وَقَدْ كَتَبْتُ وَالأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْداً ، وَإِلَيْكُمْ وَجْداً ، فَـإِنْ تَتِمَّ الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مُـدَّتِهَـا ، يَكُنْ آخِرَ الْعَهْـدِ بِكُمْ وَبِنَـا ، وَإِنْ يَلْحَقْنَـا ظُفُرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ ، نَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الإِسَارِ ، والذُّلُّ شَرُّ جَارٍ .

جـ – نَسْأَلُ اللهَ الَّـذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَـاءُ وَيُـذِلُّ مَنْ يَشَـاءُ ، أَنْ يَهَبَ لَنَـا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارٍ آمِنَةٍ ، تَجْمَعُ سَلاَمَةَ الأَبْدَانِ وَالأَدْيَانِ ، فَـإِنَّـهُ رَبُّ العَالَمِينَ ، أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

تحليل وشرح :

هذه رسالة وجدانية خطَّها عبد الحميد الكاتب على عَجَلٍ ، وهو هـارب مع مروان ابن محمد تتقـاذفهما الـدُّرُوبُ وتلاحقهما سيـوف العبـاسيين ، الـذين تمَّ لهم الأمرُ بعـد هزيمة الجيش الأموي في معركة الزَّاب سنة 132 هـ . تناولت فكرة عامـة هي إشعـار الأهْل بالخطر الدَّاهم عليه وتوديعهم ، اندرجت تحتها ثلاث أفكار أساسية هي :

أ – تقلبات الدنيا .

ب – شوق ويأس .

جـ – دعاء وابتهال إلى الله .

أ – [محفوفة : اسم مفعول من حَفَّ يَحُفّ : مُحَـاطَـة . **أفـاويق :** مـايجتمع في ضَرع الدابة من لبن بين حلبتين ، والمراد : السعادة . **جمحت الدابة :** استعصت على

السير وصعب قيادُها . **رمحتنا :** رفستنا وانصرفت عنّا . **نازحة :** بعيدة . **الطّير بارحة :** طارت يَسَارَ الرجل ، وكان العرب يتشاءمون من ذلك] .

أبدى الكاتب في الفقرة الأولى رأيه في الدنيا ، التي لا تثبت على حال . فقال : إن الله جعلها مزيجا من الخير والشر يتداولان على الناس . والناس فيها فريقان : فريق أسعده الحظ ، فهو رَاضٍ بوضعه سعيد بنصيبه . وفريق جانبه الحظ ، فهو ساخط غاضب على الدنيا لا يَفْتَأُ يذمها ويشكو حرمانها له ، ولا يبرح يسألها خيراتها ومتاعَهَا .

ثم يخص الكاتب نفسه بالحديث ، فيقول : إنّ الدّنيا منحت له خيراتها العميمةَ ، فسَعِد بذلك ، وعاش عِيشَةَ دَعَة واطمئنان ، لكن لم تستقر له على ذلك الحال ، فنفرت منه ، وأدبرت عنه مثل الدابة الجامحة ، فَمَلُحَ منها ماكان عَذْباً ، وخشن ماكان ناعما ؛ فقد اضطرته الدنيا إلى الهُيَام على وجهه في الأودية والشعاب بعيداً عن الديار والإخوان ؛ فالدار التي كانت تؤويه أصبحت عنه نائية بعيدة ، وليس في الأمر إلاّ مايَدْعُو إلى الطيرة والتشاؤم .

ب - **[وجد :** شدة الشوق . **البَلِيّةُ :** المِحْنة . **إن يلحقنا ظفر جارح :** إن قبض علينا الْعَدُوُّ وأَسَرَنا . **مَنْ يَلِيكم :** من يتولّى أمركم ، أي بنو العباس] .

أمّا في الفقرة الثانية فقد أفصح الكاتب لأهله عن شعوره بالخطر المحدق به وبمن معه ؛ فهو هارب تزيده الأيام إلى أهله شوقاً وعنهم بعداً . ولا يدري أيُقتل مع من معه ، وهو أقصى مايمكن أن تكون عليه المصيبة ، أو يُؤسر فيُقتاد مذلولاً ؟

جـ - **[دار آمنة :** بلد آمن] .

وفي الفقرة الأخيرة يتضرع الكاتب إلى الله سبحانه ، ويسأله أن يغشاه وذويه برحمته الغامرة وبِرّه الفائض ، وأن يجمع الشّمل مرة أُخْرَى في بلادٍ يشعُرُ فيها بالأمان ، وتتحقق فيها سلامة الأبدان والأديان .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

كتب عبد الحميد الكاتب هذه الرسالة وهو يمر بظرف عصيب ، يخبر

فيهـا أهلـه بمـا آل إليـه أمره ، ومـا يتـوقعـه من سـوء العـاقبـة . وتشتمـل على ثـلاث أفكار أسـاسيـة جـاءت مُرَتَّبـة ومترابطـة ، نقـل في الأولى رأيَـه في الـدنيـا وعـدم استقرارهـا على حـال . وفي الثـانيـة عبر عن شعـوره بـالشـوق إلى أهلـه ، وأفصـح عن يـأسـه من النجـاة من قبضـة الخصـوم . وقـد مهّـد بـالأولى للثـانيـة لتهيئـة نفـوس أهلـه لتَقَبُّـل أسـوإ مـايمكن أن يـؤول إليـه أمره . وفي الفكرة الأخيرة يتـوجـه إلى الله سبحـانـه ويـسـألـه أن يجمعـه وذويـه بـأرض فيهـا أمن واستقرار ، ودَعَـة وأمـان . وبهـذا التسلسـل المنطقي المقصـود ، وفـق الكاتب في إخبـار أهلـه بـالخطر المحـدق بـه ، بشكل هـادىء يبعث في النفس بعض الأمـل وبعض الرجاء .

ب - العـاطفـة :

تنوعت عواطف الكاتب في هذه الرسالة بين الحزن والشوق وبين اليأس والرجاء : فقد كانت نفسه مفعمة بالحزن والألم : حزن لما صار إليه أمره ، وتألم لما حُرم من أفاويق استحلاها ، واشتدّ شوقه إلى أهله ، وبلغ به اليأس من النجاة أقصاه ، غير أن رجاءه في الله واسع وأمله فيه عظيم . وهي كلها عواطف قوية نلمس آثارها في طيات الرسالة .

جـ - الأسـلـوب :

إذا أمعنا النظر في الرسالة فإننا نجد الكاتب قد اختار ألفاظا مناسبة لمقام الرسالة وموضوعها ، مواتية لِلُغة أهل ذلك العصر . ومع ذلك ، فمعظمها مألوف لدينـا الآن ، متداول عندنا ، نفهمه ونستعمله في غير مشقة . وليس في الرسـالـة إلاّ لفظـة غريبـة واحـدة تستـدعي البحثَ في القـامـوس للوقـوف على مـدلـولهـا وهي : «أفـاويـق» . وماعداها فـسهل مألوف .

ونستطيع أنْ نحكم على تعـابير الرسـالـة بـالسهولـة أيضـاً ، ومـا استغلق منهـا على القـارىء ، فمرجعـه إلى أحـد أمرين : جهلـه بمعـاني المفردات أو عجزه عن فهم الصور البيانية والاستعمال المجازي فيها .

وقد اعتمد الكاتب على الأسلوب الخبري ، لأن مقام تبليغ الأخبار ، ووصف المشاعر يقتضي ذلك . واستعان بعددٍ من الصور البيانية لنقل إحساسه مثل الاستعارة في قوله : (جمحت بنا نافرة - رمحتنا مولية) وهما استعارتان فيهما تشبيه الدنيا بدابة شاردة عاصية ، حذف المشبه به وأشير إليه بما يدل عليه وهو : جمحت - رمحت ... ومثل الكناية في قوله (ظفر جارح) وهي كناية عن موصوف وهم عسكر بني العباس .

وتتجلى لنا بعض خَصائص الكاتب الفنية من استعمال الجمل القصيرة ، وتوكيد الجملةِ بجملة تُمَاثِلُهَا في المعنى : «أبعدتنا عن الأوطان - فرقتنا عن الإخوان» ، والمزج بين الترسل والسَّجْع ، والاقتباس من القرآن الكريم : «يُعِزّ مَنْ يشاء ويذل من يشاء» وتضمين الحكمة والمثل ، وهذه الخصائص كلها جعلت عبد الحميد يُمَثِّلُ مدرسةً قائمةً بذاتها في النثر العربي .

وقد تخللت الرسالة بعض أساليب السجع ذات الجرس الموسيقي مثل قوله : (فأبعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان) . والطباق في قوله : (ملح - عذبها ، خشن - لينها ، يعز - يذل) . والجناس الناقص في قوله : (نازحة - بارحة ، الأبدان - الأديان) . وقد كست هذه المحسنات البديعية العفوية الأسلوب جمالاً ، وزادت المعنى جلاء .

د- الأحكام والقيم :

يشتمل النص على بعض مظاهر الحياة العقلية ، من أمثلة ذلك قول الكاتب (الطير بارحة) وهي عبارة تشير إلى اعتقاد كان سائداً عند العرب ، وهو التَّطيّر من طَيَرَان الطير عَلَى يَسار الرجل ، والتَّيَمّن بطيرانه على يمينه ، يقول الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :

الْخَائِضُ الْغَمْرَةَ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ الله يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ

وللرسالة قيمة تاريخية ثابتة ، فهي شهادة إلى حدٍّ ما على الملاحقة التي تعرّض لها بنو أمية على أيْدِي عساكر أبي العباس السَّفّاح .

وقيمة دينية تتمثل في تسليم الكاتب لقضاء الله وقدره ، وفي رجائه في أن تشمله رحمته سبحانه وتعالى .

ولها أيضا قيمة فنية : فهي تعطينا صورة واضحة عن العناية التي كان يوليها الكتّاب لتنميق الرسائل معنًى ومبْنًى . ومن ثَمّ نُدرك أن فن كتابة الرسائل بلغ مرتبة عالية في عهد بني أُمية .

تمارين تطبيقية :

1 – ماهي الوظيفة التي شغلها عبد الحميد الكاتب ؟
2 – ماهي الظروف التي حرر فيها رسالته هذه ؟
3 – كيف واجه المحنة التي نزلت عليه ؟
4 – للكاتب قدرة على توقع الأحداث . ماذا تستنبط من ذلك ؟
5 – حملت الرسالة خبراً مُؤلِمًا . هل وفق الكاتب في طريقة سوْق الخبر ؟ كيف ؟
6 – تنوعت عواطف عبد الحميد في هذا الرسالة . أيّةُ عاطفة تراها أكثر قوة ؟ علل إجابتك .
7 – هات من النص صورة بيانية واشرحها .
8 – استخرج محسناً بديعيا وعلّق عليه .
9 – في الرسالة اقتباس من القرآن الكريم . دُلّ عليه .
10 – اذكر بعض خصائص الكاتب الفنية .
11 – احفظ النص كله .

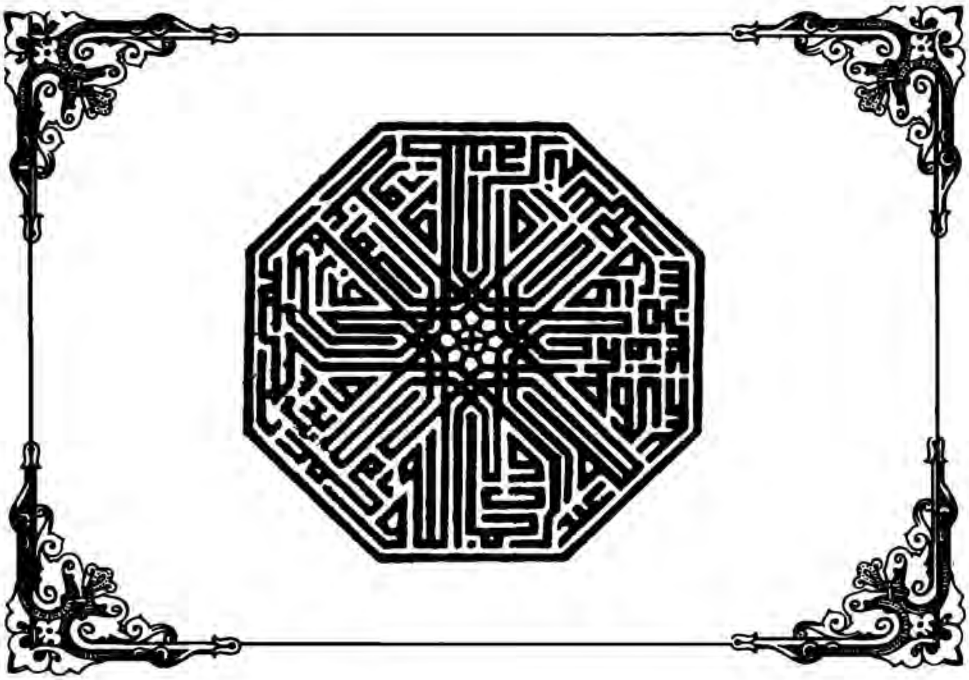
بحث أدبي :

يعد عبد الحميد الكاتب مؤسس مدرسة النثر الفني التفصيلي وشيخ صناعة الكتابة .

تحدث عن شخصيته ومصادر ثقافته وخصائص فنه .

المــراجــع :

- النثر الفني ومذاهبه في الأدب العربي ..... شوقي ضيف.
- من حديث الشعر والنثر ..... طه حسين.
- تاريخ الأدب العربي ..... حنا الفاخوري .
- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ..... تأليف : أحمد الإسكندري ومصطفى عناني .



تَهَديد وَوَعيـــد

لعَمْرو بن مَسْعَدَة

تـمـهـيـد :



عمرو بن مسعدة

الكاتب هـو أبـو الفضـل عَمْرو بْن مَسْعَدَة بن سعيـد بن صول[1] نشـأ في بغداد ، ولزم العلماء والأدباء يأخذ عنهم حتى أصبح ذائع الصيت طائر الشهرة . تـولى الكتـابة بين يـدي جعفر بن يحيى البرمكي[2] ، ثم أصبـح كاتب المـأمـون ووزيره .

كان من كبار الكتـاب وأقـدرهم على الإيجاز ، كما كان فارسـا شجـاعـاً وقـائـداً مُحَنَّكًا ، وقـد مـات في إحـدى الغزوات ببلاد الروم سنة 217 هـ .

لم يُـؤثَر عن عمرو أنـه ألف في مـوضـوع خـاص ، فقـد شغلتـه مهـام الـدولـة عن التصنيف والتأليف . ولم يبلغنا من آثاره إلاّ بعض الرسائل ، منها هـذه الرسـالـة التي كتبها إلى نصر بن شبث والي الأمين على إقليم حلب ، يهدده ويتوعده فيها ، بعـد أن أعلن استقلاله بالإقليم ، وامتنع عن البَيْعَة للمأمون .

(1) صُول أحد أجداد عمرو ، تركي من أشراف جُرْجان .

(2) قال عمرو بن مسعدة : «كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي . فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم . فرمى بها إليّ وقال : أجبْ عنها . فكتبت : قليلٌ دائم خيرٌ من كثير منقطع . فضرب بيده على ظهري : وقال : أي وزير في جلدك» وقد صدقت فيه الأيام ظن جعفر .

النـــص :

أ - أَمَّا بَعْدُ : فإنَّكَ يَانَصْرُ بْنَ شَبَثٍ ، قَدْ عَرَفْتَ الطَّاعَةَ وَعِزَّهَا وَبَرْدَ ظِلِّهَا ، وَطِيبَ مَرْتَعِهَا ، وَمَا فِي خِلاَفِهَا مِنَ النَّدَمِ وَالْخَسَارَةِ ، وَإِنْ طَالَتْ مُدَّةُ اللهِ بِكَ فَإِنَّهُ يُمْلِي لِمَنْ يَلْتَمِسُ مُظَاهَرَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، لِتَقَعَ غِيَرُهُ بِأَهْلِهَا ، عَلَى قَدْرِ إِصْرَارِهِمْ وَاسْتِحْقَاقِهِمْ .

وَقَدْ رَأَيْتُ إِذْكَارَكَ وَتَبْصِيرَكَ ، لِمَا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ لِمَا أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكَ مَوْقِعٌ مِنْكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ صِدْقٌ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ، وَإِنَّمَا القَوْلُ بِمَخَارِجِهِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يُعْنَوْنَ بِهِ ، وَلَمْ يُعَامِلْكَ مِنْ عُمَّالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدٌ أَنْفَعُ لَكَ مِنِّي فِي مَالِكَ وَدِينِكَ وَنَفْسِكَ ، وَلاَ أَحْرَصُ عَلَى اسْتِنْقَاذِكَ مِنْ خَطَئِكَ مِنِّي .

ب - فَبِأَيِّ أَوَّلٍ أَوْ آخِرٍ ، أَوْسِطَةٍ ، أَوْ إِمْرَةٍ ، إِقْدَامُكَ يَانَصْرُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : تَأْخُذُ أَمْوَالَهُ ، وَتَتَوَلَّى دُونَهُ مَاوَلاَّهُ اللهُ ، وَتُرِيدُ أَنْ تَبِيتَ آمِناً ، أَوْ وَادِعاً سَاكِناً ، أَوْ هَادِئًا ؟

فَوَعَالِمِ السِّرِّ وَ الْجَهْرِ لَئِنْ لَمْ تَكُنْ لِلطَّاعَةِ مُرَاجِعاً ، وَبِهَا خَانِعاً لَتَسْتَوْبِلَنَّ وَخْمَ الْعَاقِبَةِ ، ثُمَّ لأَبْدَأَنَّ بِكَ قَبْلَ كُلِّ عَمَلٍ ، فَإِنَّ قُرُونَ الشَّيْطَانِ إِذَا لَمْ تُقْطَعْ كَانَتْ فِتْنَةً فِي الأَرْضِ وَفَسَاداً كَبِيراً ، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ وَالسَّلاَمُ .

تحـليـل وشــرح :

هذا النص رسالة لعمرو بن مسعدة وجهها إلى أحد الوُلاَة المتردين مهددا ومتوعدا ، فكرتها العامة هي : **فوائد الطاعة وعَوَاقب الْمَعْصِيَة** ، تضم فكرتين أساسيتين : أ - تعريف بنعيم الطاعة وشقاء المعصية . ب - تهديد ووعيد .

أ - **[طيب مرتعها** : خصبها الطيب . **يملي** : يمهل . **لتقع غيره** : الغِيَر : الأحوال والأحداث ، والمعنى لينزل عقابه . **استنقاذك** : إنقاذك وتخليصك**]** .

في الفقرة الأولى يخاطب الكاتب نصْرَ بنَ شبث قائلاً : إنك قد عرفت الطاعة وماتُثْمِرُهُ من عزٍّ وسعادةٍ وغِنًى ، والعصيان ما ينتج عنه من نَدَمٍ وخَسارة ، وإذا كنت ممن أطال الله أعمارهم ستعلم أن المُعانِدَ في العصيان يلْقَى جزاءه ، ويتحمل عقابا يكون من جنس أعماله . وإننا نأمل أن يقع النصح منك موقع القبول ، وإننا نكتب إليك هذه الرسالة راجين أن يكون لها عندك اعتبار ، واعلم أن الصدق فضيلة والباطل رذيلة ، وإنما الكلام بما يحمله من معانٍ ، ومدى عناية الناطقين به ، هذا ، وإنه ليس من عمال أمير المؤمنين من هو أخلص لك وأنفع مني في مالك ودينك ونفسك ، ولاَ أحرص على إنقاذك وخلاصك من أخطائك .

ب - [**سِطَة** : من وسط يسط : شرفٌ وحسبٌ . **خانعاً** : ذليلا . **لتستوبلن** : لتستنزلن . **وخم العاقبة** : ثقلها وشدتها] .

وفي الفقرة الثانية ينتقل إلى التهديد والوعيد مستنكراً على نصر بن شبث تمرده على الخليفة وتَجَرُّأَهُ على أكل أمواله والاستيلاء على السلطة، وجُحُود حقه قائلاً: فبأي حق تعمل هذا؟ هل تملك قوة؟ أو تصورت نفسك أميراً تأخذ ماتشاء، وتحكم كما تشاء؟ وبعد كل هذا تريد أن تبيت آمنا على نفسك، ساكنا هادئا؟ ثم أقسم له قائلاً: إذا لم ترجع إلى الطاعة خاضعا مستسلماً لأمر الخليفة راضيا بحكمه نزل بك مكروه، وتحملت مالا تحمد عقباه، وإن امتثالك لأمير المؤمنين واجب، وإذا لَمْ تَنْصَعْ له فَلْتَعْلَمْ أن قرون الشيطان إذا لم تقطع كانت سببا في الفساد وانتشار الفتنة، فهذا إنذار ليس بعده عذر، فإما أن ترتدع، وإمّا أن تنتظر عاقبة سَيِّئة. والسلام.

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

هذا النص رسالة ديوانية من النوع الذي يتبادله الأمراء والولاة في شؤون الدولة والسياسة ، وقد ضمنها ابن مسعدة فكرتين أساسيتين تتضمنان معاني جزئية .

والرسالة على هذا النحو جاءت معانيها متسلسلة مترابطة ، بدأ الكاتب فيها بتذكير الوالي بما عرفه في وقت طاعته من راحة وسعادة ، وثنّى بإبداء حبه ونصحه له ، وأخيراً توعده وهدده إذا لم يذعن ولم يُطِع ، وهي تعبر في وضوح عن غرضها الذي هو الحث على ضرورة الطاعة لأمير المؤمنين والوفاء له والإخلاص في خدمته .

ويتجلى فيها عنصر القوة النابعة من مركز السلطة في صيغة التهديد والوعيد ، ومن ثَمَّ على الوالي أن يطيع أو يتحمل عاقبة العصيان .

ب - العَاطِفَة :

نلمس في نصّ الرسالة عاطفة السُّخْط والغضب المتجلية في النبرة القوية الْمُعَبِّرة عن التهديد والوعيد النابعَيْن من مركز القوة .

جـ - الأسلوب :

1 - الرسالة تتضمن معاني التهديد والوعيد ، بين العبارات الدالة على ذلك .

2 - قيل : إن عمرو بن مسعدة كان يتخير الألفاظ السهلة الدقيقة الأداء عن المعاني ، ماهي الألفاظ التي تستدل بها على ذلك من النص ؟

3 - يغلب على النص الأسلوب الخبري، لماذا؟ اذكر أمثلة عنه وبين غرضها الأدبي.

4 - ماهو الغرض من الاستفهام الوارد في الفقرة الثانية ؟

5 - وردت في النص كنايات: اختر منها اثنتين، اشرحها وبين أثرهما في المعنى.

6 - من البديع الوارد في النص الطباق والجناس . استخرج مثالاً لكل منهما . وبين أثر استعمالهما في اللفظ والمعنى .

7 - في النص إكثار من التوكيد . عين الأدوات التي استعملها الكاتب في ذلك .

د - الأحكام والقِيَم :

1 - كيف تبدو لك شخصية عمرو بن مسعدة من خلال هذه الرّسالة ؟ من حيث ثقافته وأسلوبه ومركزه السياسي ؟

2 - قيل : إن ابن مسعدة ينتمي إلى مدرسة عبد الحميد الذي تعرفت عليه سابقا ، بماذا تستدل على ذلك ؟

تمرين كتابي :

وازن بين رسالة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ورسالة ابن مسعدة ، مبينا أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما في المضمون والشكل .

صـــداقـة وشـــوق

لابن العميد

تمهـيد :



ابن العميـد

صاحب النص هو أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد ، الوزير الكاتب ، الملقب بالأستاذ الرئيس ، فارسيّ الأصل ، ولد بمدينة (قُمّ) في أوائل القرن الرابع الهجري ، اشتهر بالعلم والأدب ، وكان وزيراً لركن الدولة بن بُوَيْه ، ثم لابنه عضُد الدولة ، فساعد في تأسيس الدولة البُوَيْهيّة التي حكمت فارس والعراق (321 – 447 هـ) ، عُرِف بحُسْن الرّأي والتدبير ، يقدّر الأدباء ويقدّرونه ، ويُعد آخرَ الأدباء المجيدين في العصر العباسي حتى قيل : «بُدئت الكتابة بعبد الحميد ، وخُتمت بابن العميد» . وتوفي سنة (360 هـ) .



من آثاره مجموعة من الرسائل في النصح والعتاب ، وما إليهما ، كما أن له بعض الشعر الرقيق ، ومن رسائله هذه التي يصور فيها عاطفته نحو صديقه «أبي عبد الله الطبري» رداً على رسالة كان قد تلقاها منه .

النـــص :

أ - كِتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا بِحَالٍ لَوْ لَمْ يُنَغِّصْهَا الشَّوْقُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ يُرَنِّقْ صَفْوَهَا النُّزُوعُ نَحْوَكَ ، لَعَدَدْتُهَا مِنَ الأَحْوَالِ الْجَمِيلَةِ ، وَأَعْدَدْتُ حَظِّي مِنْهَا فِي النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ . فَقَدْ جَمَعْتُ فِيهَا بَيْنَ سَلاَمَةٍ عَامَّةٍ ، وَنِعْمَةٍ تَامَّةٍ ، وَحَظِيتُ مِنْهَا فِي جِسْمِي بِصَلاحٍ ، وَفِي سَعْيِي بِنَجَاحٍ . وَلَكِنْ مَا بَقِيَ أَنْ يَصْفُوَ لِي عَيْشٌ مَعَ بُعْدِي عَنْكَ ، وَيَخْلُوَ ذَرْعِي مَعَ خُلُوِّي مِنْكَ ، وَيَسُوغَ لِي مَطْعَمٌ وَ مَشْرَبٌ مَع انْفِرَادِي دُونَكَ ، وَكَيْفَ أَطْمَعُ فِي ذَلِكَ وَ أَنْتَ جُزْءٌ مِنْ نَفْسِي ، وَنَاظِمٌ لِشَمْلِ أُنْسِي ؟ وَقَدْ حُرِمْتُ رُؤْيَتَكَ ، وَعَدِمْتُ مُشَاهَدَتَكَ ، وَهَلْ تَسْكُنُ نَفْسٌ مُتَشَعِّبَةٌ ذَاتُ انْقِسَامٍ ؟ وَيَنْفَعُ أُنْسُ بَيْتٍ بِلاَ نظام ؟

ب - وَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ - جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ - فَامْتَلأْتُ سُرُوراً بِمُلاَحَظَةِ خَطِّكَ ، وَتَأَمُّلِ تَصَرُّفِكَ فِي لَفْظِكَ ، وَمَا أُقَرِّظُهُمَا ؛ فَكُلُّ خِصَالِكَ مُقَرَّظٌ عِنْدِي ، وَمَا أَمْدَحُهُمَا ؛ فَكُلُّ أَمْرِكَ مَمْدُوحٌ فِي ضَمِيرِي وَعَقْدِي ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةُ أَمْرِكَ مُوَافِقَةً لِتَقْدِيرِي فِيكَ ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَإِلاَّ «فَقَدْ غَطَّى هَوَاكَ ، وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي» .

تحـليـل وشــرح :

1 - فكرة النص العامة هي : تصوير شوق الكاتب إلى لقاء صديقه . استخرج الفكرتين الأساسيتين .

2 - ارْجع إلى القاموس واشرح الكلمات التالية : - يخلو - ذَرعي - أقرّظهما - ينغّصها - يرنّق - يسوغ .

3 - يتلهف ابن العميد للقاء صديقه . فماذا ذكر عن ذلك ؟

4 - ما سبب نغص حياة الكاتب ؟

5 - صور ابن العميد شعوره عندما قرأ رسالة صديقه . فماذا قال ؟

6 – لم يتوقف إعجاب الكاتب بجمال الخط والأسلوب في رسالة صديقه . فماذا أعجب به فوق ذلك ؟

7 – يرجو الكاتب أخيرا أن تكون حقيقة صديقه موافقة لما يظنّه فيه من خير . فلماذا عقّب على هذا الكلام بقوله : وإلاّ «فقد غطّى هواك وماألقى على بصري» .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ – الأفكـــار :

1 – إلى أي لون أدبي ينتمي هذا النص ؟أهو قديم أم جديد ؟
2 – كيف ترى أفكار الكاتب من حيث الوضوح والعمق ؟ علل .
3 – أفكار الرسالة مرتبة ترتيبا منطقيا . بيّن ذلك .

ب – العاطفـــة :

– ما نوع العاطفة في النص ؟ وهل تراها قوية صادقة ؟ وعلام تدل ؟
– نسّق بين إجاباتك لتحصل على تحليل النص ونقد أفكاره وعاطفته .

جـ – الأسلـــوب :

الموضوع تصوير لشوق الكاتب الشديد إلى لقاء صديقه . وقد ظهر ذلك في اختيار الألفاظ والعبارات الموحية به مثل : «الشوق إليك . النزوع نحوك ، امتلأت سرورا ، ومابقي أن يصفو لي عيش مع بُعدي عنك» . فهي توحي بما يعانيه ابن العميد من تلهّف إلى صديقه ، ومن غم وضيق لبعده عنه .

وأسلوب الرسالة في أغلبه خبري يفيد الشكوى من بُعد الصديق ، وإعجابه به ، وأمله في لقائه ، ومن الأساليب الإنشائية : «كيف أطمع في ذلك ؟» فهو استفهام غرضه الأدبي الاستبعاد والاستحالة ، وفي : «هل تسكن نفس ؟» استفهام آخر غرضه النفي .

وابن العميد ذو خيال واسع يبدو في إكثاره من الصور البيانية ، وأغلبها

استعارات مكنية ، منها : «ينغّصها الشوق» ؛ إذ تخيل الشوق شيئا ينغّص ، فحذف المشبه به ، وهي صورة توحي بما يعانيه من عذاب لبعد صديقه عنه ، وفي قوله : «يرنّق صفوها» شبه حالته بما فيها من كدر لشدة شوقه إلى صديقه بمثل مورد ماء صاف تكدّر ، فحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو «يرنّق»،وهي صورة تبرز المعنوي في صورة حسية ، فتزيد الأسلوب قوة وتأثيرا ، وفي «هل تسكن نفس متشعّبة ؟» استعارة أخرى مكنية ، شبه فيها النفس بشيء مادي يتشعب وينقسم ، ومن الصور كذلك التشبيه البليغ في : «أنت جزء من نفسي» وهو يوحي بالصلة الوثيقة بينهما ، ومنها المجاز المرسل في «أنس بيت» لأن المراد «أنس أهل بيت» علاقته المحلّيّة ، وفي «غطى هواك وما ألقى على بصري» كناية عن عدم إدراك عيب صديقه ، وفيها تجسيم وإيحاء بما قد يخفيه حبه من عيوب الأصدقاء .

أما المحسنات البديعية فهي كثيرة ، وأولها السجع الملتزم بين أغلب فقرات الرسالة مثل : «من الأحوال الجميلة ، والنعم الجليلة ، بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ....» وثانيها الازدواج بين : «لو لم ينغصها الشوق إليك ، ولم يرنق صفوها النزوع نحوك ...» وهما يمنحان الأسلوب جرسا موسيقيا جميلاً .

ومن المحسنات كذلك الجناس الناقص بين : (الجميلة والجليلة ، وعامة وتامة ، ونفسي وأنسي ، وعندي وعقدي) وفي ذلك نغمة موسيقية وحركة ذهنية تثير الانتباه ، والطباق بين (يرنق ، صفوها) وهو يوضح المعنى ويقوّيه بذكر الشيء وضده ، وفي النص اقتباس من الشعر فقوله : «غطى هواكَ وماألقى على بصري» مأخوذ من قول الشاعر (عروة بن أُذَيْنَةَ)[1] ، وفي ذلك تدعيم لقوله وتجميل لأسلوبه :

قَالَتْ وَأَبْثَثْتُهَا شَجْوِي وَبُحْتُ بِهِ ... قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: ... غَطَّى هَوَاكِ وَمَاأَلْقَى عَلَى بَصَرِي

وقد اعتنى ابن العميد - كما رأيت - باللفظ والأسلوب عناية بالغة ، ظهر ذلك في اهتمامه الشديد بالمحسنات البديعية والصور البيانية وازدحامها في الرسالة .

(1) شاعر غزل من شعراء المدينة ، وهو معدود في الفقهاء والمحدّثين ، روى عنه الإمام مالك بن أنس .

د - الأحكـام والقيـم :

تبدو ملامح شخصية ابن العميد بارزة في النص : فهو مترف ، منعم ، عاش في أحضان (بني بُوَيْه) والحضارة الراقية ، فانعكس ذلك على اهتمامه بالزخرف اللفظي والأناقة في التعبير .

ومن القيم الظاهرة في النص الترابط الوثيق بين الأصدقاء الذين تفرّق بينهم ظروف الحياة ، فيلجأون إلى التعبير عن شعور الوفاء للصداقة في صورة هذه الرسائل الإخوانية .

عرف ابن العميد بطريقة خاصة في الكتابة ظلت قوية ، وسار على نهجها كثير من الكتاب ، فنسجوا على منوالها ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الصابي[1] والصاحب بن عباد[2] ، وبديع الزمان الهمذاني ، وغيرهم ، وظلت طريقة مقبولة لطيفة لأكثر من قرن من الزمان ، فلما جاء كتّابٌ بعدهم ، وحاولوا محاكاة «الطريقة» ، تكلّفوا ما لم يستطيعوه وفسدت الكتابة ، وطغى التكلّف اللفظي على المعاني ، وظهرت بوادر ذلك في كتابة «القاضي الفاضل» [3] ، ثم عمّ الفساد والركود في عصر الضعف .

وأهم مميزات مدرسة ابن العميد كما تبدو لك من خلال النص مايلي :

1 - الاهتمام باللفظ مع الاهتمام بالمعنى ، والتزام السجع ، والعناية الشديدة بالمحسنات البديعية .

2 - الميل إلى إثارة الوجدان بالعبارة المؤثرة والصور البيانية .

3 - الإطناب ، وذلك بذكر الجمل والألفاظ المترادفة لتحقيق الإيقاع الموسيقي .

مقـال أدبـي :

اكتب رسالة إلى صديق لك طال غيابه عنك ، واشتد شوقك إليه ، معاتباً له على إبطائه بالرد عن رسالة سابقة .

---

(1) توفي سنة (384 هـ) . (2) توفي سنة (385 هـ) .

(3) هو وزير صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة (596 هـ) . التزم نهج ابن العميد في الكتابة لكنه بالغ في استخدام السجع والمحسنات البديعية وأهمل في سبيلها المعنى .

نص للتحليل
توجيهات إلى الكتّاب

لعبد الحميد الكاتب

بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلاَفَةِ مَحَاسِنُهَا ، وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللهُ لِلْخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ ، وَتَعْمُرُ بُلْدَانُهُمْ ، لاَ يَسْتَغْنِي الْمُلْكُ عَنْكُمْ ، وَلاَ يُوجَدُ كَافٍ إلاَّ مِنْكُمْ ، فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ .

فَتَنَافَسُوا يَامَعْشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الآدَابِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا ثِقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ ؛ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ ، وَارْوُوا الأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا ، وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا وَسِيَرَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَاتَسْمُو بِهِ هِمَمُكُمْ ،.وَارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيِّهَا وَدَنِيِّهَا ؛ فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرِّقَابِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْكُتَّابِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ وَالسُّخْفَ وَالْعَظَمَةَ ؛ فَإِنَّهَا عَدَاوَةٌ مُجْتَلَبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ، وَتَحَابُّوا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ ، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالذِي هُوَ أَلْيَقُ لأَهْلِ الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ وَالْعَدْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ .

شـرح لـغـوي :

- **كاف**: قادر على الأمر. - **تفقهوا في الدين** : تعلموا أحكامه الشرعية بتعميق.
- **الفرائض**: علم الم واريث

- **ثقاف ألسنتكم :** الثقاف في الأصل آلة تُسوَّى بها الرمّاح ، وهنا ماتُقَوَّم به ألسنتكم . - **سنيّها :** رفيعها . - **دنيها :** حقيرها . - **السخف :** ضعف العقل .
- **من غير إحنة :** من غير عداوة سابقة .

المطلـــوب :

حلل النص تحليلا أدبيا معتمدا على العناصر التالية :

1 - تحليل وشرح .

2 - نقد الأفكار والعاطفة .

3 - نقد الأسلوب .

4 - استنباط الأحكام والقيم .



تَطوُّر الرسَـــالــة

أ – عرف العرب في الجاهلية الكتابة واستخدموها لأغراض سياسية وتجارية ، واشتهر من الكتاب في هذا العصر لَقيطُ بن يعمر الإيادي ، وعديّ بن زيد العَبّادي .

ب – أما في عصر صدر الإسلام ، فقد ظهرت حاجات جديدة دعت إلى الاهتمام بالكتابة . وقد كان للنبي ﷺ جماعة من الصحابة تخصصوا بكتابة الوحي ، وكان على رأس هذه الجماعة عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وأُبَيّ بن كَعْب ، وزيد بن ثابت . وقد حضّ الإسلام على اتخاذ الكتابة في المعاملات يقول جلّ شأنه : ﴿**يَا أيُّهاالَّذينَ آمنُوا إذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلَى أجَلٍ مُسمًى فاكْتُبُوهُ. ولْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالْعَدْلِ . وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ**[1] ﴾ .

وقد نشط فن الترسُّل ليؤديَ وظيفة ضرورية ، دعا إليها التطور الطارئ على المجتمع العربي المكلف بتبليغ الدين الجديد . وكان شأنه شأن كل فن يبدأ وليداً ، ثم يتطور ويتكامل إلى أن يبلغ ذروته . وبدَتِ الرسائل المحررة في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ثم في ردح من العصر الأموي ، في غاية من الإيجاز وقرب المأخذ : قلما تجاوزت الرسالة أسطرا معدودات ، وكانت تُحَلَّى بآي القرآن أو المأثور من الشعر والمثل ، مع جزالة اللفظ وفصاحته ، وتجنب التكلف والتصنع ، ومطابقة لغتها لمقتضى حال المخاطبين ، وإليك نموذجا من الرسائل التي كُتِبَت بإملاء النبي ﷺ :

«من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد : سَلاَمٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّهُوَ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ ، يُخْبِرُنِي أن بَنِي الحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ ، وَأَجَابُوا إِلَى مَادَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الإِسْلاَمِ ، وَشَهِدُوا

(1) من الآية 282 من سورة البقرة .

أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللهُ بِهُدَاهُ ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ وَأَقْبِلْ ، وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ . وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» .

جـ - ولما ولي الخلافةَ الوليدُ بن عبد الملك أَمَرَ بتجويد القراطيس وتفخيم الخطاب ، وألاّ يُخَاطب بمثل ما يخاطب به السّوقة . ولما جاء عبد الحميد الكاتب أَسْهَبَ في الرسائل ونمقها ورَقَّقَها وأطال التحميدات في أولها . وتبعه في ذلك سائر الكتاب . وعُدّت طريقته مدرسة في الكتابة قائمة بذاتها .

د - وفي أوائل حكم بني العبّاس ظلت كتابة الرسائل جارية على نظام كِتَابَتِهَا في أواخر عهد بني أمية ، سالكة الطريق التي سلكها عبد الحميد وابن المقفع وغيرهما من العناية بإتقانها . وجعل عباراتها جزلة بليغة متناسقة المعاني والأسلوب... وبقيت كذلك ، بل زادت حُسْنا وجمالا ومراعاة لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع الهجري . ثم أخذت الصناعة اللّفظية تغلب عليها تدريجيًا بتضاؤل مَلَكَة البَلاغة في الكُتّاب وتَقَاصُر هِمَمِهِم عن استيفاء أدائها لتغلب الأعاجم من الدَّيْلَم والبويهيين[1] . والترك والسلجوقيين على سلطان الخلفاء في الشرق . وتغلب الأمازيغ على شمال إفريقيا والأندلس في الغَرب .

ومن أهم مظاهر تطور الرسالة في هذا العهد :

1 - دقة المعاني واستقصاء جميع جزئياتها وترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا .

2 - الغُلُوّ والمبالغة في طَرَفي الإطْنَاب والإيجاز بحسب مقتضيات الأحوال . وقد بلغ في بعض الحالات غُلُوُّ الكُتّاب في الإيجاز حَدَّ الإشارة والرمز ، ومن ذلك التوقيعات ، مثل قول الخليفة المأمون لأحد ولاته : «قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ ، وَقَلَّ شَاكِرُوكَ ، فَإِمَّا اعْتَدَلْتَ ، وَإِمَّا اعْتَزَلْتَ» .

3 - شيوع السجع القصير الفقرات غالبا ، والولوع بالمحسنات البديعية ، وتضمين الأحاديث النَّبَوية وغيرها .

4 - زيادة أنواع البدء والختام في الرسائل مثل : أ - الصلاة والسلام على

---

(1) أسرة فارسية حكمت من 932 - 1055 م ، استولت على بغداد سنة 945 ، ففدا الخليفة ألعوبة بين أيديهم إلى أن غلبهم طغرل بك السلطان السلجوقي عام 1055 م . والديلم : قوم من شمال بلاد قزوين

الرسول ﷺ بعد التحميد . ب - البدء بالدعاء : أدام الله نعمته عليك - أطال الله بقاءك ...

5 - ختم الرسالة بلفظ : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبقي فن الترسل على حال من الجمود في عصر الأيوبيين وعصر المماليك في الشرق ، وعصر دُول بني زيان وبني مرين وبني حفص في المغرب ، حتى انتقلت الخلافة إلى العثمانيين الذين اتخذوا التركية لغةً للدواوين والكتابة ، وبذلك فقدت الكتابة الديوانية العربية مكانها . أما الرسائل الإخوانية ، فازدادت سوءاً بسبب دخول الألفاظ والأساليب العامية في نسجها .

هـ - ويعد القرن التاسع عشر الميلادي . عصر نهضة استعادت العربية فيه أمجادها واسترجعت الرّسالة - كما هو شأن باقي الفنون - قوتها وَمَتَانَتَها ... وقد اشتهر في هذا الميدان أدباء كثيرون مثل عباس محمود العقاد . مصطفى صادق الرافعي . طه حسين . أحمد أمين . مي زيادة . وابن باديس والبشير . وغيرهم كثير.

خصائص الرسالة :

تنقسم الرسائل الفنية إلى نوعين :

1 - **الرسائل الإخوانية :** وهي التي يتبادلها الأصدقاء والإخوان والأدباء ، وتتميز عموما بأسلوبها الجميل ، وصورها الخيالية البديعة ، وشحناتها الانفعالية المؤثرة . وتكتب عادة لغرض التهنئة أو التعزية ، أو للتعبير عن شكوى أو عتاب ، أو الإفصاح عن شوق أو تقريظ .

2 - **الرّسائل الديوانية :** وهي التي تصدر عن دواوين الدولة ، كالرسائل التي كان يتبادلها الخلفاء والأمراء مع ولاتهم وعمالهم ورعاياهم في أغراض تسيير شؤون الدولة . تبدأ غالبا بالبسملة . وتعيين المرسِل والمرسَل إليه . ويبدأ صَدْرُها بالسلام عليكم أو نحوه ، ويُثَنّى بالتَّحْميد ، ثم يشرع في الغرض تارة بأما بعد ، أو غيرها . وتختم في الغالب بلفظ (والسلام) أو (والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) . ويتميز أسلوبها عامة بالإيجاز ، وحسن اختيار الألفاظ ، وجودة تأليف العبارة .

الفَصْل الرابـع

النَّثْر العِلْمِـي

1 – منهج البحث في العلوم   للحسن بن الهَيْثَم
2 – طريقة التعليم   لعبد الرحمن بن خَلدْون
3 – الـمجــرة   لأحمد زكي
4 – تطور النثر العلمي والعلمي المتأدب وخصائصها

النثر العلمي

تعريف :

النثر العلمي هو الذي يسجّل حقائق العلوم ، وتُعرض به نظرياتها وبحوثها بأسلوب مباشر ، يُعنى بترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا ، والغرض منه التعليم وإيصال الحقائق إلى القارئين والسامعين ، ويصطنع المصطلحات العلمية التي هي مظهر العقل المدقق ، كما يمتاز النثر العلمي بالدقة والتحديد والإحصائيات ، وهو أهدأ الأساليب ، وأكثرها احتياجا إلى الفكر المستقيم ، والوضوح والتقسيم ، وأبعدها عن الخيال والعاطفة وجمال التعبير وتنميقه ، غايته : إيصال الفكرة إلى الذهن بيسر ومن أقرب طريق .

منهج البحث في العلوم

للحسن بن الهيثم

تمهيد :


الحسن بن الهيثم

ولد الحسن بن الهيثم بالبصرة سنة (355 هـ – 965 م) ، ثم ارتحل إلى الشام حيث تألّق نجمه في سماء العلوم الطبيعية ، وكان أول من نادى بإنشاء سدّ على النيل جنوبي (أسوان) ، وجاء فعلا إلى مصر لتنفيذ هذا المشروع الضخم منذ ألف سنة ، ولكنه لم يتمكن من ذلك للتكاليف الضخمة التي قُدّرت له .

وعاش في مصر أكثر من أربعة وعشرين عاما ، يبحث ويؤلف في مختلف العلوم ، إلى أن وافته المنية سنة (431 هـ – 1029 م) ، ومن أروع كتبه كتاب (المناظر) الذي ألفه في علم الضوء ، وكان له أثر بعيد في بحوث علماء أوربا بما سجله من مبتكرات رائعة في هذا العلم ، ويثبت هذا أصالة العرب في سبقهم إلى ابتكار أسس المنهج العلمي قبل الأوربيين بعدة قرون ، ويؤكد هذه الحقيقة مانعرضه عليك من كتاب (المناظر) لابن الهيثم عند البحث في كيفية الإبصار .

النص :

أ – نَبْتَدِئُ فِي الْبَحْثِ بِاسْتِقْرَاءِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَتَصَفُّحِ أَحْوَالِ الْمُبْصَرَاتِ ، وَتَمْيِيزِ خَوَاصِّ الْجُزْئِيَّاتِ ، وَنَلْتَقِطُ بِاسْتِقْرَاءِ مَا يَخُصُّ الْبَصَرَ

فِي حَالِ الإِبْصَارِ ، وَمَا هُوَ مُطَّرِدٌ وَظَاهِرٌ لاَ يَشْتَبِهُ مِنْ كَيْفِيَّةِ الإِحْسَاسِ ، ثُمَّ نَتَرَقَّى فِي الْبَحْثِ وَالْمَقَايِيسِ عَلَى التَّدْرِيجِ وَالتَّدْرِيبِ مَعَ انْتِقَادِ الْمُقَدِّمَاتِ ، وَالتَّحَفُّظِ مِنَ الْغَلَطِ فِي النَّتَائِجِ .

ب - وَنَجْعَلُ غَرَضَنَا فِي جَمِيعِ مَا نَسْتَقْرِيهِ وَنَتَصَفَّحُهُ اسْتِعْمَالَ الْعَدْلِ ، لاَ اتِّبَاعَ الْهَوَى ، وَنَتَحَرَّى فِي سَائِرِ مَانُمَيِّزُهُ طَلَبَ الْحَقِّ الَّذِي بِهِ يَثْلُجُ الصَّدْرُ ، وَنَصِلُ بِالتَّدَرُّجِ وَاللُّطْفِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي عِنْدَهَا الْيَقِينُ ، وَنَظْفَرُ مَعَ النَّقْدِ وَالتَّحَفُّظِ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا الْخِلاَفُ ، وَتَنْحَسِمُ بِهَا مَوَادُّ الشُّبُهَاتِ .

تحليل وشرح :

موضوع النص دراسة لأسس البحث العلمي ، وهو من النثر العلمي الخالص ، الذي ازدهر في العصر العباسي ، نتيجة لترجمة العلوم ورقي الحضارة ، والفكرة العامة هي طريقة البحث في العلوم ، وتحتوي على فكرتين أساسيتين هما :

أ - أسس البحث العلمي . - ب - عوامل نجاحه .

أ - **[استقراء الموجودات :** تتبّع جزئياتها . **مطرد :** يسير على نَمَط ثابت . **التحفّظ :** الاحتياط] .

وضع الكاتب في القسم الأول من النص الخطة المثلى الصحيحة للبحث العلمي ، وهي تمضي في ثلاث خطوات :

أولاها : الاستقراء الذي يعني تتبع الظواهر في حالاتها المختلفة ، وتمييز خواص الجزئيات .

وثانيها : القياس الذي يتحقق بالموازنة بين تلك الظواهر ، وضم الأشباه والنظائر بعضها إلى بعض لتصبح قوانين ، يمكن تطبيقها بطريقة قياسية على كل حالة فردية جديدة .

وثالثها : التجربة التي تضع الحقائق موضع المشاهدة والملاحظة والتطبيق ، وبها يتوصل الباحث إلى معرفة الصلات التي تربط بين الأشياء .

ب - [**الهوى** : الميل الشخصي . **يثلج الصدر** : تستريح النّفس . **تنحسم** : تنقطع] .

وفي القسم الثاني انتقل ابْن الهيثم إلى بيان عوامل نجاح هذا المنهج العلمي ، وتتمثل في الحذر من الوقوع في الخطإ ، وذلك بالدقة واليقظة ، وفي تحرّي الحقيقة لذاتها دون اتباع للأهواء والميول الشخصية ، وآخر عوامل نجاح هذا المنهج هو الاستجابة للنقد النزيه المحايد ، وبذلك يُوصَل إلى نتائج سليمة .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكـــار :

نص ابن الهيثم علمي ، تطرّق فيــه إلى طريقــة البحث العلمي المبنيــة على أسس صحيحة مرتكزة على عوامل النجـاح ؛ فهي لا تترك منفذاً للخطإ إلا سدّتْه ، ولا ترى وسيلة توصل للحقيقة إلا ذكرتها .

وأفكار الكاتب مرتبة ترتيبا منطقيا ، فكل فكرة تُسْلمك إلى الأخرى ؛ حيث بدأ بما يجب أن يسير عليه البحث العلمي من الاستقراء الكامل الذي يقوم على النظرة الدقيقة الشاملة التي تدرك خواص الأشياء ، والانتقال بعد ذلك إلى مرحلة القياس ؛ حيث يدخل بها مرحلة التدريب والاختبار ، ثم انتقل الكاتب إلى عوامل نجاح هذا البحث العلمي : من التسلّح بالحذر واليقظة ؛ حتى لا يقع الباحث في الأخطاء ، ومن التزام جانب العدل والبعد عن الأهواء الشخصية ، وبذلك يصل إلى نتائج علمية صحيحة ، وإلى جانب الترتيب في الأفكار فإنها كانت واضحة قريبة التناول ، لا غموض ولا التواء فيها ، وفيها إيجاز مركّز على الوصول إلى المعنى من أقرب سبيل ، وتلك بعض مميزات النثر العلمي في الأفكار .

ب - الأسلـــوب :

ألفاظ النص دقيقة محددة الدلالة ، واضحة تلائم الأسْلوب العلمي البحت ، وفيها بعض المصطلحات العلمية مثل : «استقراء - قياس - مقدمات - نتائج - تجربة» وهي خالية من التأنّق والتزويق .

والأسلوب - كما يبدو جليا - خبري ، وهو مايتناسب وتقرير الحقائق العلمية ، وهو خال من الصور البيانية والمحسنات البديعية إلا ماجاء في قوله : «به يثلج الصدر» فهي كناية عن اطمئنان النفس وارتياح الضمير في طلب الحقيقة ، وهي - كما ترى - صورة لم ترد إلاّ زيادة في إيضاح المعنى. وليس الغرض منها تجميل الأسلوب.

ومن خلال النص نتحقق من ظهور خصائص الأسلوب العلمي البحت : من مخاطبة العقل لإبراز الحقائق العلمية ، ولذا تخلو النصوص العلمية من العاطفة ، إلى استخدام العبارات الدقيقة المحددة الدلالة ، إلى كثرة المصطلحات العلمية ، واعتماده على التحليل والأدلة والبراهين ، مع خلوّه من الإحساس والخيال والمحسنات البديعية .

د - الأحكام والقيم :

يبدو في النص مدى إسهام العرب في الرقي الحضاري بجهودهم وابتكاراتهم ، ومدى اهتمامهم بالعلوم على اختلاف أنواعها ، ومنها علم الضوء والطبيعيات .

كما تبدو - من خلال النص - ملامح شخصية الكاتب التي نراها هادئة متزنة ، مجردة من الهوى ، ملتزمة بالموضوعية متقبلة للنقد البنّاء المحايد ، وتلك قيم خلقية سامية كانت من أسباب تقدم العلوم أشواطا على يد العرب في القديم .

تمارين تطبيقية :

1 - وضع ابن الهيثم منهجا علميا صحيحا . فما خطواته ؟ وما عوامل النجاح فيه ؟

2 - ماهي خصائص النثر العلمي كما تتجلى لك في النص ؟ مثّل لما تقول .

3 - فيم يختلف أسلوب النثر العلمي عن أسلوب النثر الأدبي ؟ بيّن خصائص كلٍّ منهما بعد مراجعتك لما درست فيهما .

4 - كاتب النثر العلمي موضوعي ، وكاتب النثر الفني غالبا عاطفي . وضح ذلك ، واذكر نصين لكاتبين في النثر بنوعيه كمثال عن ذلك .

طَرِيقَةُ التَّعْلِيم
لابن خَلْدُون
1332 ـ 1406 م

تمهيد :



الكاتب هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون من أسرة يمنية دخلت بلاد الأندلس مع جيوش الفتح الإسلامي ، ثم نزحت إلى تونس في أواسط القرن السابع الهجري . واشتهرت بالعلم والرئاسة .

ولد عبد الرحمن عام 732 هـ بتونس ونشأ فيها ، فحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتعلم المنطق على يد والده وبعض علماء جامع الزيتونة .

شغل مناصب متعددد . منها التدريس والكتابة الديوانية والقضاء .

تنقل بين المغرب العربي والأندلس ومصر والشام واتصل بزعماء عصره . فنال إعجابهم وتقديرهم .

ومن أشهر آثاره العلمية «مقدمته» التي تعتبر فتحا جديدا في فلسفة التاريخ ، وهي مترجمة إلى عدة لغات أجنبية ، وقد عُدَّ بها مؤلِّفها مؤسس العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكان لها أثر بارز في الدراسات التاريخية الأوربية ، وقد ظهر ذلك عند «أوجسْت كُنْت» و«دورْكايم» الذي يَعُدُّه الأوربيون مُؤسِّس علم الاجتماع .

وقد مرّ ابن خلدون بتجربة التعليم حيث درس على علماء الزيتونة : ثم اشتغل بالتدريس في فترات مختلفة بالمغرب . ومن خلال هذه التجارب يقدم لنا ابن خلدون آراءه القيمة في طريقة التعليم . والنص الذي نقدمه لك من مقدمته المشهورة :

النـــص :

اعْلَمْ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُـومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَـا يَكُـونُ مُفِيـداً إِذَا كَـانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَلِيلاً قَلِيلاً ، يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلاً مَسَـائِلُ مِنْ كُلِ بَـابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أُصُولُ ذَلِـكَ الْبَـابِ ، وَيُقَرَّبُ لَـهُ فِي شَرْحِهَـا عَلَى سَبِيـلِ الإِجْمَالِ ، وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ وَاسْتِعْدَادُهُ لِقَبُولِ مَايُورَدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِـكَ الْعِلْمِ إِلاَّ أَنَّهَـا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَـةٌ ، وَغَـايَتُهَـا أَنَّهَـا هَيَّـأَتْـهُ لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَـائِلِـهِ ، ثُمَّ يَرْجِـعُ بِـهِ إِلَى الْفَنِّ ثَـانِيـةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينِ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَـةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَـا ، وَيَسْتَـوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَـانَ ، وَيَخْرُجُ عَنِ الإِجْمَـالِ ، وَيَـذْكُرُ لَـهُ مَـاهُنَـالِكَ مِنَ الخِلافِ وَوَجْهِـهِ ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ ، فَتَجُـودُ مَلَكَتُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا ، فَلاَ يَتْرُكُ عَوِيصا وَلاَ مُبْهَماً وَلاَ مُنْغَلَقًـا إِلاَّ وَضَّحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ ، فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَـدِ اسْتَوْلَى عَلَى مَلَكَتِـهِ ، هَـذَا وَجْـهُ التَّعْلِيمِ الْمُفِيـدِ ، وَهُوَ كَمَـا رَأَيْتَ إِنَّمَـا يَحْصُلُ فِي ثَـلاَثِ تَكْرَارَاتٍ ، وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيراً مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّـذِي أَدْرَكْنَـا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَاتِهِ . وَيُحْضِرُونَ لِلْمُتَعَلِّمِ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِـهِ الْمَسَـائِلَ الْمُقْفَلَـةَ مِنَ الْعِلْمِ ، وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَـارِ ذِهْنِـهِ فِي حَلِّهَـا ، وَيَحْسِبُونَ ذَلِـكَ مِرَانـاً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَاباً فِيهِ ، وَيُكَلِّفُونَهُ رَعْيَ ذَلِكَ وَتَحْصِيلَـهُ ، فَيَخْلِطُونَ عَلَيْـهِ بِمَـا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَـادِئِهَـا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِـدَّ لِفَهْمِهَـا ، فَـإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالاِسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ تَنْشَـأُ تَـدْرِيجـاً ، وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الأَمْرِ

عَاجزاً عَنِ الْفَهْمِ بِـالْجُمْلَـةِ إلاَّ فِي الأَقَلِّ وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ والإجْمَال ، وَبالأَمْثِلَةِ الْحِسِّيَّةِ ، ثُمَّ لاَ يَزَالُ الاسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلاً قَلِيلاً بِمُخَالَطَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكْرَارِهَا عَلَيْهِ وَالانْتِقَالِ فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الاسْتِيعَابِ الَّذِي فَوْقَهُ ، حَتَّى تَتِمَّ الْمَلَكَةُ فِي الاسْتِعْدَادِ ، ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ ، وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ .

وَإِذَا أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَايَاتِ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ ، وَبَعِيدٌ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لَهُ كَلَّ ذِهْنُهُ عَنْهَا ، وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ ، فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ ، وَتَمَادَى فِي هِجْرَانِهِ ، وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ .

وَلاَ يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ إلاَّ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُنْتَهِياً ، وَلاَ يَخْلِطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَعِيَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحَصِّلَ أَغْرَاضَهُ ، وَيَسْتَوْلِيَ مِنْهُ عَلَى مَلَكَةٍ بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ ، لأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَّلَ مَلَكَةً مَا فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَابَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ ، وَإِذَا أُخْلِطَ عَلَيْهِ الأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلاَلُ ، وَانْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَئِسَ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ .

تحليل وشرح :

1 - ماهو موضوع هذا النص ؟

2 - حدد فكرته العامة ، وضَعْ عنوانا مناسبا لكل قسم .

3 - اشرح الألفاظ الآتية مستعينا بالقاموس :

يورد عليه - ملَكَة - شدا - عويص - مِران - رعي - الاستيعاب ، الغاية - يعيه - الكلال .

4 - تحدث الكاتب عن التدرج في التعليم ، ورأى أن التعليم المفيد هو الذي يتم على مراحل ثلاث . فماهي ؟ وماهو هدف كل منها ؟

5 - هل تطبيق تلك المراحل واجب على كل التلاميذ ؟ لماذا ؟

6 - يبدو ابن خلدون ناقماً على الطريقة السائدة في عصره ، فما هي عيوبُها ؟ وماهي نتائجها على المتعلمين ؟

7 - يعود الكاتب - في الأخير - إلى إتمام ماتقتضيه الطريقة المثلى في التعليم ، فما هي الشروط التي يجب على المعلمين أن يلتزموا بها كما يراها الكاتب ؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكــار :

1 - ماهي القضية التي يعالجها الكاتب في هذا النص ؟ ومامدى أهميتها عند علماء النفس والتربية في العصر الحديث ؟

2 - إذا تأملت أفكار النص وجدتها تتسم بالانسجام والوضوح والدقة ، كيف تستدل على ذلك من النص ؟

3 - يغلب على النص النزعة المنطقية والعرض العلمي لأفكاره ؟ كيف تعلل ذلك ؟

4 - في أي نوع من أنواع النثر تُدْرج هذا النص ؟ علل ماتذهب إليه .

5 - قيل : إن ابن خلدون سبق بمنهجه التربوي كثيراً من علماء التربية في عصرنا الحديث ، فهم ناقلون عنه أو متأثرون به . فما هي القضايا التربوية التي يمكن استنباطها من هذا النص ؟

ب - العـاطفـة :

- هل تلمس في النص بعض عواطف الكاتب ؟ علل .

جـ - الأسـلـوب :

هذا النص من النثر العلمي في أول عصر المماليك ، وموضوعه علمي بحت

يتناول قضية التدريس والطرق الناجحة فيه ، وقد أحسن الكاتب اختيار الألفاظ والتعابير الملائمة لمعانيه من ذلك : تلقين - متعلمين - قوة عقلية - مَلَكَة - فهم - الشرح - البيان - التعليم المفيد - يُحضرون للمتعلم في أول تعليمه - يطالبونه بإحضار ذهنه في حلها - حسب ذلك من صعوبة العلم نفسه...

وقد عمد الكاتب إلى استخدام الأسلوب المباشر الذي يهدف إلى بلوغ الحقيقة من أقرب طريق ، وأساليب النص كلها خبرية تناسب الموضوع الذي تناوله الكاتب بالشرح والتحليل ، الغاية منه تُقرير المبادىء والنظريات التربوية الصحيحة .

ولطبيعة الموضوع لم يعتمد كثيرا على الخيال لأن الكاتب لا يصور عواطفه وإحساسه ، وإنما يوضح حقائق ويفسر نظريات ، ومع ذلك استعان بالصور البيانية بالقدر الذي يعينه على تحقيق هدفه ، وتَقْبَلُه طبيعة الموضوع ، من ذلك : الاستعارة في قوله : (ملكة بها ينفذ في غيره) ، فقد شبه الملكة وهي أمر معنوي بشيء حاد له قدرة النفاذ ، ثم حذفه وأتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية ؛ وهي تدل على قوة الملكة وقدرتها على التحصيل .

ووردت بعض المحسنات البديعية من ذلك الطباق في قوله : (الغايات - البدايات ، مبتدئًا - منتهيا) .

د - الأحكام والقيم :

تبدو شخصية الكاتب من خلال النص محبة للخير عاملة من أجل تحسين طريقة التعليم ، ومنهجُه في ذلك النقد البنّاء .

كما أن ثقافته تتجلى عالية ويتمثل ذلك في عرضه الموضوع بطريقة علمية قائمة على وضع البديل النافع كلما انتقد ماهو خاطىء مما كان سائدا في عصره ، ولم يكتف بنقد العيوب والتشهير بها دون أن يضع الأسس التي إن عمل بها المعلمون ، كانت عاملا في إنجاح عملية التربية ، ونشر العلم بين الجميع .

وللنص قيمة تاريخية ؛ تبدو من عرضه الطرق السائدة في ذلك العصر ، وكيف كانت سببا في نفور كثير من التلاميذ من التعليم ، اعتقاداً منهم أن الصعوبة تكمن في العلم نفسه ، لا من الطريقة التي يتلقون بها تلك العُلُوم .

وأخيراً فإنه لا يخفى أن للنص قيمة تربوية تتمثل في الطريقة التي يقترحها ابن خلدون ، والتي تقوم على مراحل هي نفسها التي تطبقها المدرسة في العصر الحديث ، ويظهر ذلك من خلال المراحل التي يمر بها التلميذ في حياته التعليمية من أول تعلمه إلى التعليم العالي .

مَقَال أدَبِي :

كان ابن خلدون صاحب منهج علمي في عرض مشكلة التعليم وحلها ، فما أسس ذلك المنهج كما فهمته من النص ، ومارأيك فيها ؟

المَجَـــرَّةُ

لأحمد زكي

تمهـيد :



ولد أحمد زَكِي بمدينة السويس عام 1894 ، ونشأ بالقاهرة حيث درس ، انتسب إلى مدرسة المعلمين ، في القسم العلمي منها عام 1914 ، ثم اشتغل بالتدريس لمدة أربع سنوات ذهب إثرها إلى انجلترا ، فدرس في جامعات لِيفِرْبول ومَنْشِسْتر ولَنْدَن ، ونال الدكتوراه في العلوم عام 1928 .

عاد إلى مصر فشغل وظيفة أستاذ الكيمياء المساعد بجامعة العلوم بالقاهرة ثم انْتُخِب وكيلا للكلية فعَميداً .

عُيِّن لرئاسة تحرير مجلة «العَرَبي» التي تصدر في الكويت عام 1958 واشتهر بمقالاته في العلوم التي كان ينشرها فيها ، وقد جمعت في مُجَلَّدٍ واحد أُطْلِقَ عليه اسم «في سبيل موسوعة علمية» . والنص الآتي مقتطف من أحد موضوعاتها :

النـــص :

مَجَرَّتُنَا هِيَ مَايَمْلأُ أَعْيُنَنَا مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ لَيْلاً . وَتَسْأَلُ : أَيْنَ سَائِرُ الْمَجَرَّاتِ ؟ وَالْجَوَابُ : إِنَّ الَّذِي تَمْلأُ بِهِ عَيْنَكَ لَيْلاً مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ ، إِنَّمَا هُوَ نُجُومُ مَجَرَّتِنَا ، أَمَّا سَائِرُ الْمَجَرَّاتِ ، وَهِيَ الأَكْثَرُ ، وَهِيَ مِنْ حَيْثُ

الْوُجُودَ الْعَالَمِيُّ هِيَ الأَغْلَبُ ، حَتَّى نَكَادُ نَقُولُ إِنَّهَا الْكُلُّ ، هَـذِهِ الْمَجَرَّاتُ لاَيَرَى النَّاظِرُ مِنْهَا بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ غَيْرَ ثَلاَثٍ .

وَمَجَرَّتُنَا دَرْبُ التَّبَّانَةِ ، تَتَأَلَّفُ مِنْ مَجْمُوعَـاتٍ شَتَّى مِنَ النُّجُومِ كُتْلَتُهَـا تَبْلُغُ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ مَلْيُونِ شَمْسٍ .

أَمَّا شَكْلُ مَجَرَّتِنَا فَشَكْلُ الرَّغِيفِ ، اسْتِدَارَةً وَتَقَبُّـباً .. فِي أَوْسَطِهَـا نَوَاةٌ سَمِيكَةٌ ، وَهِيَ تَدُورُ بِنُجُومِهَا حَوْلَ مِحْوَرٍ عَمُودِيٍّ عَلَى أَوْسَطِ النَّوَاةِ فَتَتَّخِذُ شَكْلاً حَلَزُونِيًّا لَهُ جَنَاحَانِ .

وَطُولُ مَجَرَّتِنَا مِنْ طَرَفٍ إِلَى طَرَفٍ يَبْلُغُ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ ضَوْئِيَّـةٍ ، وَسَمْكُهَا يَبْلُغُ عِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ضَوْئِيَّةٍ .

وَشَمْسُنَا تَقَعُ مِنْ هَذِهِ الْمَجَرَّةِ عَلَى بُعْـدِ نَحْوِ خَمْسَـةٍ وَعِشْرِين أَلْفَ سَنَـةٍ ضَوْئِيَّةٍ مِنْ مَرْكَزِهَا . إِذَنْ فَالْمَجَرَّةُ تُحِيطُ بِشَمْسِنَا وبِأَرْضِنَا إِحَاطَـةً تَـامَّـةً ، فَإِذَا أَنْتَ نَظَرْتَ مِنْ سَطْحِ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ، فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ ، لاَتَرَى مِنَ الْمَجَرَّةِ ، مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ إِلاَّ بَعْضًـا . وَالْبَعْضُ الآخَرُ مِنَ النَّـاحِيَـةِ الأُخْرَى مِنَ الأَرْضِ . وَأَنْتَ فِي شَمَالِ الأَرْضِ لاَتَرَى مِنَ السَّمَاءِ نُجُومًا يَرَاهَا النَّـاسُ مِنْ سُكَّانِ جَنُوبِ الأَرْضِ .

تحليل وشرح :

1 – عين فكرة النص العامة .
2 – ضع عنوانا مناسبا لكل فقرة .
3 – اشرح الكلمات الآتية مستعينا بالقاموس :
درب – تقَبُّب – النواة – حَلَزوني – سَمْكها .
4 – ما المجرة ؟
5 – إلى أيّ مجرة تنتمي النجوم التي تشاهدها في السماء ؟
6 – هل يستطيع الناظر أن يرى مجرات أخرى غير مجرتنا ؟

7 – ماشكل مجرتنا ؟ وماهو تقدير عدد نجومها ؟

8 – ماهو تقدير بُعْد شمسنا من مركز المجرة ؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ – الأفكار :

1 – ماهو غرض هذا النص ؟ وماذا تستفيد منه ؟

2 – يعرض النص حقائق علمية بحتة . فهل تم ذلك وفق تسلسل منهجي ؟

3 – لمعالجة الموضوعات العلمية طريقتان : البَدْءُ من التعميم لِلإفْضَاء إلى التَّخْصِيص ، أو العكس . فأي الطريقتين انتهج الكاتب ؟

4 – هل وجدت صعوبة في فهم النص ؟ كيف تفسر ذلك ؟

5 – يلتزم الكُتَّاب في النثر العلْمي المَوْضُوعِية الكاملة . فهل تجد في النص مايشير إلى ذَاتِيَّةِ الْكَاتِب ؟

الأُسْــلُــوب :

هذا النص يتناول مسألة علمية بحتة ، هي التعريف بمجرة درب التبانة . وأول مانلاحظ فيه ، هو ظهور أغلب مميزات النثر العلمي البحت . فقد استعمل الكاتب ألفاظاً دقيقة واضحة ، ومصطلحاتٍ علمية محددة : (مجرة – سنة ضوئية ...) . كما اعتمد على عبارات واضحة لا تحتمل التأويل ، ولا تقبل أكثر من معنًى واحدٍ . وقد استعان بالأرقام لتعيين المقادير والمسافات : (مائة ألف مليونِ شمسٍ – عشرون ألف سنة ضوئية) .

ونلاحظ أن الكاتب التزم الأسلوب الخبري ، وهو الأسلوب الملائم لوصف الظواهر الكونية ولِسَرْدِ الحقائق العلمية . كما نلاحظ أن جُمَلَهُ تتميز بالسهولة والبساطة ، وهذا أمر مقصود ، لأن الكاتب لا يتوجه بهذا النص إلى المتخصصين ، وإنما يتوجه به إلى عامة القراء . ذلك أن العلماء عندما يكتبون للمتخصصين يعتمدون على لغة مُسْتَغْلَقة تَعُجّ بالمصطلحات غير الشَّائِعَة ، وعندما يرغبون في التَّوَجُّه إلى عامة الناس يُبَسِّطون لُغَتَهم ويُيَسِّرون أساليبهم ويتجنبون إيراد المصطلحات الغريبة . ومن هنا نستطيع أن نقول : إن أسلوب النص ينتمي إلى النَّمَط العلميّ المُبَسَّط .

ولعل القارئ يلاحظ بسهولة خُلُوَّ النّص من الصور البيانية والمحسنات البديعية ، والترادف والتّضاد ، إلا ماجاء عَفْوًا من غير قصد ، كالتشبيه البليغ في (أما شكل مجرتنا فشكل رغيف) والطباق في (شمال - جنوب) .

بحث أدبي :

ابن خلدون عالم تجول في العالم الإسلامي مغربا ومشرقا ، وخبر أحوال دوله ، عُدّ «بمقدمته» مؤسس العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

اكتب بحثا عن مراحل حياته وعن أهم مضامين «مقدمته» الشهيرة ، وعما يمتاز به أسلوبه .

المراجع :

- كتاب العبر في التاريخ .... لابن خلدون .
  المجلد الأول : مقدمة والمجلد الأخير فيه حياته بقلمه .
- التفكير العلمي عند ابن خلدون ..... ابن الصغير عمار .
- سلسلة الروائع ... لفؤاد إفرام البستاني .
  الأعداد (43، 14، 15)
- مجلة الثقافة عدد خاص بابن خلدون
  السنة (13) عدد (77) سبتمبر 1983 .

تَطوُّر النَّثر العلمي والعلمي المُتأَدِّب

أ - انقضى العصر الأموي دون أن يُدونَّ فيه علم من العلوم ، إلا وُرَيْقاتٍ في النحو وتفسير القرآن الكريم المرْوِيِّ عن ابن عبّاس عن مُجَاهِد ، وكُتَيِّبًا في الحديث النبوي ، وكتيبًا في الكيمياء .

ب - فلما جاء العَصْرُ العباسي ، خطت الدولة خُطُوَات واسعة في مجال الحضارة . وأراد خلفاءُ بني العبّاس أن يؤسسوا مُلْكَهم على العلم ، فقربوا إليهم العلماء ، وكان ذلك باعثاً على العناية بالعلوم والتأليف .

فقد أُلِّفَت كُتُبٌ متعددة في الفِقْه والتفسير والحديث والنحو واللّغة والبلاغة والعَرُوض والتاريخ وعلم الفلك والكيمياء والرياضيات والهندسة ... واشتهر من العلماء فريق كبير تجاوزت آثارهم حدود البلاد الإسلامية ، نذكر منهم محمدَ بْنَ جرير الطَّبَرِيّ ، وابنَ سينا ، وجابر بْنَ حيان ، ومحمدَ بْنَ موسى الخوارزمي ، والبيروني ...

وقد لقي النثر العلمي على أيدي هؤلاء العلماء مجالاً للازدهار والرقي والتطور ، فمال إلى الدقة ، وابتعد عن الأساليب الأدبية ، على تفاوت في ذلك ، فكلما كانت الموضوعات الْـمُعَالجة قَرِيبَةً من العلوم الإنسانية كلما كانت أساليبُها مَوْسُومَةً بِسِمَاتٍ أدبية مثل استعمال التَّرادُف ، والاستعانة بالأَضْدَادِ ، واللُّجُوء إلى بعض الصور البيانية . وكلما كانت الموضوعات قريبةً من العلوم البَحْتَةِ كانت أساليبُها خاليةً من مميزات النثر الفني . وقد تبلورت في هذه الفترة مصطلحاتٌ شَتَّى في جميع فروع العلوم : فاتضحت مَعَالِم مصطلحات الفقه ، والحديث ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والتفسير ، والطب ، والرياضيات ، والكيمياء وغيرها .

جـ - وفي عصر المماليك نشط النثر العلمي وكَثُرَتِ الْمُصنَّفَاتُ في شتى العلوم مثل اللغة والنحو ، والفِقْه والتاريخ ، والتصوف والطب ، وتراجم الأعلام من الأناسِيِّ والبُلْدَان . فاشتهر في الطب وتاريخه أبوبكر بن البيطار ، ونَبَغَ في علم الاجتماع ابن

خلدون ، وفي التاريخ الْمَقْريزِيّ ، وفي التفسير جلال الدين السيوطي . عُرِف هذا العصر بعصر الموساعات العلمية ، فألف النُوَيْرِي كتاب نهاية الأرب ، والقَلْقَشَنْدِي كتاب صبح الأعْشَى ، وابن منظور معجم لسان العرب .

د - وفي العصر الحديث واكب النثر العلمي التقدم الذي شهدته العلوم المختلفة ، فشهد تطورات واسعة ، بسبب الإقبال على ترجمة أمهات الكتب في شتى العلوم والفنون ، وقد وجد المترجمون في البداية صعوبة جمَّة تتمثل في إيجاد المصطلحات العربية للمفاهيم والْمُسَمَّيَات الجديدة . فأُنْشِئَتِ الَمجَامِعُ اللغوية التي حملت على كاهلها عِبءَ إيجاد هذه المصطلحات . وبذلك استطاع النثر العلمي أن يَخْطُوَ إلى الأمام خُطُوات سريعة ، واستطاعت العربية بفضل ذلك أن تستوعب مختلف العلوم بكل يُسْر ، وتسمو إلى مصاف أكثر اللغات تَقَدُّمًا .

خَصَائِص النَّثر العِلميّ

1 - النثر العلمي :

النثر العلمي أداة تبليغ المعارف العلمية ، والحقائق الكونية الثابتة ، يعتمد على الدقة والوضوح ويستعين بالأرقام والإحصاء والمصطلحات ؛ تعرض بوساطته المعلومات وفق ترتيب منطقي متدرج في أساليب تخلو من الخيال والمجاز .

وتختلف مستويات النثر العلمي من حيث درجة الدقة ، واعتماد المصطلحات والأرقام بِحَسَبِ اختلافِ فروع العلم ؛ فلغة العلوم الإنسانية أقل لجوءاً إلى المصطلحات والأرقام ، ومن ثَمّ فهي أقل دِقّة من لغة العلوم البحتة كالفِزْيَاءِ وَالْكِيمِيَاء والإلِكتْرُونِيكَ .

2 - النثر العلمي المتأدب :

لا يختلف عن النثر العلمي البحت إلاّ من حيث إن له مظْهَرَيْن : مظهراً عِلْميًّا لأنه يُعالج مواضيع علمية مختلفة ، بعضها يتصل بالطبيعة ، وبعضها الآخر يتصل بالإنسان ، ومظهراً أدبيا لأنّهُ يستعين بأدوات التعبير الأدبي مثل اللجوء إلى الخيال ، واعتماد المجاز ، والاستعانة بالتضاد والترادف في غير إسراف .

الفصـــل الخـــامـــس

الغزل

1 -الشـــعر الغنائي الوجداني.

2 - وفاء محب لجميل بن مَعْمَر.

3 - أَلَــمُ الهَجْرِ للعباس بن الأَحْنَف.

4 - حنين ورجاء لأبن زيدون.

5 - لوعةُ الفراق للأمير عبد القادر.

6 - تطوُّر الغزل وخَصَائِصه.

الشعر الغنائي الوجداني

تعريفه :

الشعر الغنائي شعر ذاتي يتعلق بالتعبير عن عاطفة الشاعر التي تعتلج في نفسه وتتغذى بالعوامل السائدة في بيئته وقومه . وميزة هذا النوع من الشعر العذوبة والرقة . والعرب يسمون الشعر الغنائي الشعر الوجداني . لأنه ينبع من وجدان قائله ، ويسمونه النشيد لأنه ينشد أي يغنى مصحوبا بالعزف على الربابة . وموضوعات الشعر الوجداني أو الشعر الغنائي (وقد يسمى الشعر الشخصي أيضا) أربعة :

أ) الفرد وعواطفه (الغزل والرثاء والهجاء والمديح والفخر .....) .
ب) المجتمع وأحواله (الشعر الاجتماعي خاصة ، السياسي والوطني).
جـ) الطبيعة ومظاهرها (الوصف).
د) المدارك المعنوية العامة (الحكمة والزهد).

وفي كل فن من فنون الشعر الغنائي قدر من الوجدان ، فالعنصر الوجداني في الغزل والرثاء أعظم منه في المديح والوصف . والشعر الوجداني أقدم فنون الشعر ، لصلته الوثيقة بالعاطفة ولبساطته ؛ إذ هو أقل فنون الشعر حاجة إلى المعارف وأقلها اعتمادا على المقدرة الفنية في النظم والتأليف بالنسبة إلى الشعر المسرحي والملحمي والتعليمي ؛ إنه الشعر الذي يفيض من العاطفة ، ويجري على السليقة فحسب .

ويقابل الشعر الغنائي الشعر الموضوعي الذي تندرج تحته الفنون الآتية : الشعر المسرحي والشعر الملحمي والشعر التعليمي . فالشعر المسرحي تنظم فيه القصص أو الحوادث التاريخية والخيالية من الحياة الإنسانية في حوار يجري على ألسنة الممثلين على خشبة المسرح ؛ مثل مسرحية «كليوباترة» لأحمد شوقي (1868 ـ 1932) ومسرحية «بلال» لمحمد العيد آل خليفة (1904 ـ 1979) ، والشعر الملحمي شعر قصصي لا تمثيلي ولا غنائي،يدور حول البطولات والأعمال المجيدة،ويتناول الوقائع

التاريخية وشؤون أمة أو حضارة ما ، لا شؤون فرد واحد . وهذا اللون من الشعر ظهر عند اليونان . وأشهر الملاحم عندهم «إلْيَاذَة» هُومِيرُوس و «أُودِيسَّة» . وعند العرب يقابله شعر الحماسة الذي نجد فيه لمحات ملحمية في شعر عمرو بن كلثوم وفي شعر أبي تمام وأبي الطيب وغيرهم ، وفي العصر الحديث نظم مفدي زكرياء (1913 ـ 1977) «إلياذة الجزائر» . و الشعر التعليمي : هو في الأصل الشعر الذي تنظم فيه فنون العلم والمعارف كالنحو والفقه والتاريخ تسهيلا لحفظها وربما ألحق بهذا النوع الشعر الذي يراد به تهذيب النفوس عن طريق المثل على ألسنة الحيوانات كما نجد ذلك في نظم (أبَان اللاَّحِقِي المتوفى سنة 205 هـ) لكتاب كليلة ودمنة . وفي نظم أحمد شوقي لقصائد على ألسنة بعض الحيوانات .

الغَـزَل

تعريفه :

الغزل فن وجداني موضوعه المرأة يصفها أو يتحدث إليها ، أو ينشئ قولا فيها ، أو قصة تتعلق بها . أو يصف ما تثيره في نفس الشاعر من حرقة وشوق وحرمان ، ومن مرادفات الغزل النسيب والتشبيب، ويقسم الغزل إلى صنفين اثنين هما : العفيف والماجن ؛ فأما العفيف فما كان منه طاهرا نقيا يعبر عن مشاعر صادقة وإحساسات سليمة ، فهو خلوة الروح إلى الروح في مناجاة طويلة . وحب لا يشعر به إلا أصحاب الأرواح الطاهرة المستعدة لتلقي المعاني السامية ، وتدفع إلى الحب العفيف فطرة الإحساس الروحي دون فطرة الشر والحيوانية . وأما الماجن فما كان منه مستهترا بالأخلاق غارقا في تصوير الجانب الحسي من المرأة . وغالبا ما يكون الدافع إليه الإعجاب والافتتان . وقد يجمع الشاعر بين النوعين ، كما يمكن أن يكون تلبية لحاجة مجالس اللهو والغناء إلى قصائد من هذا النوع .

وفـــاء محـــب

لجميل بن معمر

تمهيد :



الشاعر هو جميلُ بن عَبْدِ الله بن مَعْمَرٍ العُذْرِيّ ، وكُنْيَتُهُ أبو عَمْرو ، صاحب الغزل العفيف الرصين ، وهو من بني عذرة ، إحدى قبائل قضاعة،وقد اشتهر بحب بُثَيْنَة ابنة عمه ، وكانا يقيمان في وادي القرى وهو واد بالحجاز ، شمال المدينة . وكان يعرفها صغيرة ثم افترقا ، ولم يكن يراها بعد ذلك حتى صارت شابة . تبادلا حبا طاهرا شريفا عفيفا ، لم يستطع الرقباء أو الوشاة أن يرموه بريبة أو خيانة .

نظم جميل القصائد في بثينة حتى اشتهر أمره ، وطمع في الزواج منها ، فلما مُنِعَ ذلك ، وشكاه أهلها ، فر إلى اليمن ، ثم ارتحل أهل بثينة إلى الشام ، فرحل إليهم ، فترصدوه وشكوه إلى عشيرته ، وأخيرا لجأ إلى مصر أيام عاملها عبد العزيز بن مروان ، فأحسن وفادته ، وقد مرض هناك ، ومات بها سنة 82 هجرية .

والغزل العفيف لون من الشعر ازدهر في البوادي زمن بني أمية ، واشتهرت به قبيلة بني عذرة حتى نسب إليها فقيل : «غزل عذري» وهو غزل فيه صدق وعفة وطهارة نفس ، وَبُعْدٌ عن ذكر محاسن المرأة الحسية ، والاكتفاء بإعلان ما يعانيه الشاعر من آلام الحب ولوعة الشوق .

وهذه الأبيات صورة من صور الغزل العفيف الذي يعبر به الشاعر عن عاطفته نحو محبوبته ، وشدة تعلقه بها ، في أسلوب رقيق ، وألفاظ عذبة ، تحمل معاني الوفاء والاستعطاف والعتاب .

النص :

1 ـ أَبُثَيْنَ إِنَّكِ قَدْ مَلَكْتِ فَأَسْجِحِي   وَخُذِي بِحَظِّكِ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ
2 ـ فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصْلَهَا   بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
3 ـ فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ   حُبِّي بُثَيْنَةَ عَنْ وِصَالِكِ شَاغِلِي
4 ـ لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قُلاَمَةٍ   فَضْلاً وَصَلْتُكِ أَوْ أَتَتْكِ رَسَائِلِي

ب

5 ـ مَنَّيْتِنِي فَلَوَيْتِ مَا مَنَّيْتِنِي   وَجَعَلْتِ عَاجِلَ مَا وَعَدْتِ كَآجِلِ
6 ـ وَتَثَاقَلَتْ لَمَّا رَأَتْ كَلَفِي بِهَا   أَحْبِبْ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَثَاقِلِ
7 ـ وَأَطَعْتِ فِيَّ عَوَاذِلاً فَهَجَرْتِنِي   وَعَصَيْتُ فِيكِ ، وَقَدْ جَهَدْنَ ، عَوَاذِلِي

جـ

8 ـ حَاوَلْنَنِي لِأَبُتَّ حَبْلَ وِصَالِكُمْ   مِنِّي وَلَسْتُ ، وَإِنْ جَهَدْنَ ، بِفَاعِلِ
9 ـ وَيَقُلْنَ : إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ   مِنْهَا ، فَهَلْ لَكَ فِي اجتنابِ الْبَاطِلِ ؟
10 ـ لِيُزِلْنَ عَنْكِ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلْنَنِي   وَإِذَا هَوِيتُ فَمَا هَوَايَ بِزَائِلِ

شرح وتحليل :

فكرة النص العامة هي : الإخلاص للمحبوب والوفاء له .
وأفكاره الأساسية هي : رفض إغراء الغواني ، وعتاب المحبوب والتعلق به والوفاء له ، وإنكار مساعي العواذل .

أ ـ [**أسجحي** : أحسني العفو وتلطفي ـ **خذي بحظك** : خذي نصيبك من السعادة ـ **من كريم واصل** : حريصٌ على لقائك ـ **عارضة وصلنا** : مقترحة الاتصال بنا ـ **قلامة** : ما يقص من الظفر] .

في الفكرة (أ) يفتتح الشاعر قصيدته قائلا : يا بثينة إنك قد ملكت قلبي ، فكوني مشفقة عليه رؤوفة به ، وبادليني حبا بحب ؛ فكم من فتاة عرضت علي وصلها ، وكان حياؤها يمنعها من التصريح بذلك ، فكانت تسوق حديث الحب ؛

تخلط فيه الجد بالهزل ، لترى صدى كلامها في نفسي ، ولكن إخلاصي لك قاوم هذا الإغراء ، فأجبتها تصريحا بعد تلميح بأن حب بثينة يشغلني عنك . ويملأ كل قلبي ، فلو كان فيه فراغ كقدر قلامة لوصلتك أو أتتك رسائلي .

ب ـ [**لويت** : من لوى يلوي ليًّا : الحبل فتله ؛ وهنا بمعنى : إخلاف الوعد ـ **تثاقلت** : تباطأت ، وهنا بمعنى : تدللت ـ **عَوَاذلا** : جمع عاذلة : لائمات وعواذل على وزن مفاعل : ممنوع من التنوين ، ونوّنَ هنا للضرورة الشعرية ـ **جهدن** : بذلن جهدا] .

وفي الفكرة (ب) يقول : كثيرا ما وعدت فأخلفت الوعد ، وأصبحت وعودك كلها مؤجلة . ومع تعلّقي ببثينة فإنها تزداد تثاقلا ودلالا كلما رأتني شديد التعلق بها وهي رغم كل ذلك محببة إلى نفسي ، فما أعجب موقف كل منا ؛ أنت تهجرينني استجابة لمن يَلُمْنك على حبي ويسعين في القطيعة بيننا ، أما أنا فظللت لك وفيا محبا رغم الجهود التي تبذلها العواذل لصرفي عنك .

جـ ـ [**حاولنني** : من المحاولة وهنا بمعنى استعَنَّ بالحيلة عليَّ ـ **لأبت** : لأقطع ـ **بباطل** : يقصد هنا حبها الذي لن يتحقق . وجمعه أباطيل وهو الضلال . أو الضائع هدرًا بلا فائدة] .

وفي الفكرة (جـ) يقول : اتجهت العواذل إليَّ بجُهُود مُلِحَّة لأقطع علاقتي بك . ولن أستجيب لهن مهما حاولن ، وقد زعمن أني لن أظفر منك بحب حتى يتملكني اليأس ، وأجتنب طريقك ؛ وهدفهن من ذلك أن يخلو قلبي من هواك ، فيجدن فيه مكانا لهن ، ولا يعرفن أني إذا أحببت فلن يزول حبي مهما طال الهجر .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ ـ الأفكار :

النص من الغزل العفيف الذي شاع في بوادي الحجاز في عصر بني أمية ، واشتهر به عدد كبير من الشعراء مثل كُثيِّر عزّة ، وقيس بن الملوح (مجنون ليلى) وقيس بن ذريح (مجنون لُبْنَى) وجميل بن معمر صاحب هذا النص .

والغزل غرض قديم كان يأتي في مطالع القصائد في العصر الجاهلي . ولم يكن يستقل بقصائد إلا نادرا . أما في عصر بني أمية فقد نشط هذا الغرض وأفردت له قصائد خاصة .

وجميل بن معمر في هذا النص يعبر عن شدة تعلقه بمحبوبته وعن عظيم وفائه لها . وقد استعان للإفصاح عن فكرته العامة هذه بجملة من الأفكار سبق ذكرها في التحليل . وهي أفكار واضحة قريبة المنال . لا يجد القارئ عناء في فهمها لنشوئها عن طبع غير متكلف .

كما أن هذه الأفكار ذات وحدة في الموضوع . لكن ينقصها التسلسل والترابط . بحيث يمكن تقديم أو تأخير بيت عن مكانه فلا يختل المعنى . لاعتماده على وحدة البيت في الغالب .

ونلاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر جميلا لم يُعْنَ باستعراض أوصاف محبوبته الحسية مثلما نجد ذلك عند شعراء الغزل الماجن الذي يمثله عصرئذ عمر بن أبي ربيعة . وإنما توجه إلى إبراز عواطفه القوية الصادقة . وما ينتابه من رغبته في لقاء . وخوف من فراق .

ب ـ العاطفـة :

وعاطفة الشاعر تتجلى في النص قوية جياشة صادقة تحمل مرارة الهجر الذي يقابله بالوفاء والبقاء على حبه لها . مهما طال البَيْن بينهما . مما جعل حرارة الشوق إلى لقائها تزداد وتشتد . لكن في عفة واحتشام،وبُعْد عن الوصف الحسي لمفاتن المحبوب .

جـ ـ الأسلوب :

يمتاز أسلوب الشاعر باختيار الألفاظ والعبارات الموحية بمقاومته كل إغراء وإصراره على حب بثينة . ومما يدل على ذلك . نداؤها بالهمزة الدالة على قربها من قلبه . و «ملكت» الدالة على السيطرة التامة على قلبه . وقوله : «خذي بحظك من كريم واصل» يدل على ثقة بالنفس واستحقاق للحب . وقوله «بعد تستر» يوحي

برقة إحساسه وحرصه على مشاعر المرأة العارضة حبها عليه ، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى مصارحتها بالحقيقة ليقطع أملها في وصله ، كما أنه يعاتب بثينة على إخلافها الوعد وتدللها وطاعتها للعاذلات ، ويختار من الألفاظ والعبارات ما ينقل مشاعره مثل «كلني ، أحبب إلي ، عصيت عواذلي» وكذلك قوله : «منيتني فلويت ..... وتثاقلت»،وأطعت فيَّ عواذلا فهجرتني» .

ويلاحظ أنه يغلب على النص الاسلوب الخبري ، وذلك لاعتماد الشاعر عليه للإفصاح عن معاني الوفاء ، كما هو في البيت الرابع ، والعتاب في البيتين الخامس ، وَالسابع . كما أنه استعمل أساليب إنشائية مثل : الأمر في قوله : أسجحي ، وخذي ، ويراد به الاستعطاف ، والاستفهام في البيت العاشر : «فهل لك في اجتناب الباطل ؟» والغرض منه التمني .

وأسلوب الشاعر يكاد يكون مباشرًا لأنه يعبر عن حقائق نفسية لا يحتاج إلى الإكثار من ألوان البيان ، إذ الحقيقة هنا أغلب من الخيال . ومن ألوان البيان قوله في البيت الأول : «إنك قد ملكت» كناية عن السيطرة والاستيلاء،وهي توحي بشدة تعلقه بها ، وفي البيت الرابع : «كقدر قلامة» تشبيه يوحي بشدة حبه وإخلاصه لبثينة ، فلم يبق في قلبه محل لغيرها ، وفي البيت الخامس : «جعلت عاجل ما وعدت كآجل» تشبيه ، وقوله : «حبل وصالكم» تشبيه بليغ من إضافة المشبه به إلى المشبه ، وهو يوحي بقوة الصلة بينهما وفي البيت الأخير : «ليزلن عنك هواي» استعارة مكنية تصور الهوى شيئا ماديا يحاولن إزالته ، وتوحي بتمكن حبها من نفسه .

وكذلك الشأن في المحسنات البديعية ، فالشاعر لم يكثر منها إلا ما جاء عفوا كالطباق . في : «الجد ـ الهازل» و «عاجل آجل» وهذا ما زاد أسلوبه جمالا ومعناه وضوحا وتأثيرا .

وموسيقى القصيدة خفيفة ، أحسن الشا ر اختيار الوزن المناسب للغزل وهو بحر الكامل وأجزاؤه .

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

د ـ الأحكام والقيم :

إذا تأملنا النص نجد شخصية الشاعر خلصة في الحب للحبيب وَفِيَّة له ، مستعطفة متذللة .

كما يمدنا هذا النص ببعض المعلومات عن بيئة الشاعر فهو يصور جانبا من المجتمع الحجازي الذي انصرف بعض شبابه إلى الترف واللهو .

تمارين تطبيقية

1 ـ كيف وصف الشاعر صنيع من أرادت وصاله ؟ لماذا ؟

2 ـ في القسم الثاني تصوير لموقفي جميل وبثينة من بعضهما ، وضح ذلك .

3 ـ في لوم العاذلات لجميل إغراء له ، فماذا كان موقفه من ذلك ؟ وعلام يدل ؟

4 ـ لماذا لم يُعْنَ الشاعر بذكر الأوصاف الحسية لمحبوبته ؟

5 ـ يغلب على النص الأسلوب الخبري.استخرج مثالا عنه وبين الغرض الأدبي منه .

6 ـ لماذا لم يكثر الشاعر من الصور البيانية والمحسنات البديعية ؟

7 – اخترْ ثلاث عبارات من النص ، تُصوِّر صدق وفاء الشاعر.

8 – ما هي ملامح شخصية جميل التي نَستَشفُّها من النص؟

9 ـ ما رأيك في عادات المجتمع البدوي الذي يمنع المتغزل بامرأة من الزواج بها ؟

10 ـ اقرأ القصيدة عدة مرات واحفظ منها الأبيات الستة الأولى . وقطع البيت الأول .

للمطالعة والاستثمار :

ألـــم الهجـــر

للعباس بن الأحنف

تمهيد :



الشاعر هو أبو الفضل العباس بن الأحنف . نشأ باليمامة . وأقام ببغداد قريبا من هرون الرشيد الذي اتصل به اتصال ألفة ومودة لا اتصال تكسب . وقد نال شعره الغزلي الإعجاب فحظي بجوائز سنية رفيعة . وهو شاعر رقيق الحاشية . لطيف الطباع . جميع شعره في الغزل . حتى قال فيه الجاحظ «لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا . ما قدر أن يكون شعره في مذهب واحد لا يجاوزه . لانه لا يهجو ولا يمدح . ولا يتكسب ولا يتصرف،(1) وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه . فأحسن فيه وأكثر» وغزله عفيف . لا وصف فيه لمفاتن المرأة الحسية . وإنما هو عواطف مشبوبة وأنات محزونة تمس نياط القلب . وتسمو بغريزة الحب .

اشتهر بحب (فوز) التي طال هجرها له . فزفر قلبه هذه الزفرة الحارة منفسا عما في صدره من لهفة الشوق وألم الفراق . وفي عفة قلب وطهارة لسان .

النص :

ـ ١ ـ

1 ـ أَزَيْنَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . أَجِيبِي   دُعَاءَ مَشُوقٍ . بِالْعِرَاقِ غَرِيبِ

2 ـ كَتَبْتُ كِتَابِي مَا أُقِيمُ حُرُوفَهُ   لِشِدَّةِ إِعْوَالِي وَطُولِ نَحِيبِي

3 ـ أَخُطُّ وَأَمْحُو مَا خَطَطْتُ بِعَبْرَةٍ   تَسُحُّ عَلَى الْقِرْطَاسِ سَحَّ غُرُوبِ

4 ـ أَيَا «فَوْزُ» لَوْ أَبْصَرْتِنِ مَا عَرَفْتِنِ   لِطُولِ شُجُونِي بَعْدَكُمْ وَشُحُوبِي

---

1) لا يتصرف : لا يتزين ولا يتكلف في الشعر .

5 ـ وَإِنّي لَأَسْتَهْدِي الرِّيَاحَ سَلاَمَكُمْ إِذا أَقْبَلَتْ مِنْ نَحْوِكُمْ بِهُبُوبِ
6 ـ وَأَسْأَلُهَا حَمْلَ السَّلاَمِ إِلَيْكُمُ فَإِنْ هِيَ يَوْمًا بَلَّغَتْ فَأَجِيبِي
7 ـ أَرَى الْبَيْنَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّونَ كُلُّهُمْ فَيَارَبِّ ، قَرِّبْ دَارَ كُلِّ حَبِيبِ

ـ ب ـ

8 ـ أَزُوَّارَ بَيْتِ اللهِ ، مُرُّوا بِيَثْرِبِ لِحَاجَةِ مَتْبُولِ الْفُؤَادِ كَئِيبِ
9 ـ وَقُولُوا لَهُمْ ، يَاأَهْلَ يَثْرِبَ أَسْعِدُوا عَلَى جَلَبٍ لِلْحَادِثَاتِ جَلِيبِ
10 ـ فَإِنَّا تَرَكْنَا بِالْعِرَاقِ أَخَا هَوًى تَنَشَّبَ رَهْنًا فِي حِبَالِ شَعُوبِ
11 ـ بِهِ سَقَمٌ ، أَعْيَا الْمُدَاوِينَ عِلْمُهُ سِوَى ظَنِّهِمْ مِنْ مُخْطِىءٍ وَمُصِيبِ

تحليل وشرح

هذه إحدى القصائد الّتي نظمها الشاعر العفيف العباس بن الأحنف يعبر فيها عما يقاسيه من آلام الصبابة ، وما يعانيه من لظى الشوق . فكرتها العامة هي آلام الهجر ، تندرج تحتها فكرتان أساسيتان هما :

أ ـ شوق ولهفة . ب ـ رجاء واستعطاف .

أ ـ [**تَسِحُّ** : تسيل ـ **قرطاس** : صحيفة ـ **غروب** : جمع غَرْب ، وهو الدَّلْوُ العظيمة ـ **شحوبي** : هزالي وتغيُّر لوني ـ **أستهدي الرياح سلامكم** : أطْلب منها أن تهديني سلامكم ـ **البين** : الفراق] .

يستهل الشاعر قصيدته بنداء محبوبته قائلا : يا زين نساء العالمين أدعوك في شوق ولهفة ، وشعور بالغربة ـ مع أنني مقيم ببلدي بالعراق بين أهلي ـ أن تبادليني عاطفة الحب وتذكريني كما أذكرك ، وقد بلغ مني الشوق غايته ، حتى إني لا أستطيع كتابة رسالتي إليك صحيحة الحروف لشدة بكائي ، وارتعاش يدي ، وكلما كتبت عبارة سالت عليها أدمعي غزيرة فمحتها . إنك «يافوز» لو رأيتني ما عرفتني لشدة ما أصابني من نحول وشحوب من فرط تألمي لبعدك عني . ثم يواصل شكواه في حرقة وألم : كلما هبت ريح قادمة من جهتكم ، سألتها . عنكم ، ورجوت منها أن تهدي لي تحياتكم ، وتحمل إليَّ سلامكم ، كما أنني أُحَمِّلُهَا سلامي إليكم كلما هبت متجهة نحوكم ، آملا أن تردي السلام . فما أشد قسوة الفراق على قلوب المحبين ، الذين لا يفتأون يشكون منه جميعا ! فيا رب اجمع شمل العاشقين وأسعد قلوبهم باللقاء .

ب ـ [**متبول** : هو من ذهب الحب بعقله ـ **تنشب** : تعلق ـ **رهنا في حبال شعوب** : شعوب : الموت ، ومعنى العبارة : بين يدي شعوب ـ **أعيا المداوين** : أعجز الأطباء] .

ثم يتوجه إلى حجاج بيت الله قائلا لهم : أيها الحجاج مروا بالمدينة ، حيث تقيم الحبيبة ، وأسهموا في تخفيف آلام مُحِبٍّ ذهب العشق بعقله ، وجلبت إليه النوائب الهموم والأحزان ، وقولوا لأحبائي هناك : كونوا عونا لهذا العاشق الوَلْهان ؛ فقد تركناه بالعراق عليلا ذابلا مشرفا على الموت ، وقد عجز الأطباء عن معرفة مرضه ، وراحوا يعالجونه بالظن الذي قد يخطئ وقد يصيب . فهو عليل بالحب،وعلاجه بأيديكم .

الدراسة الأدبية والفنية:

ا ـ الأفكار :

هذا النص من الشعر الغزلي الذي ظهر كغرض مستقل منذ العصر الأموي ، كما رأينا ذلك عند جميل بثينة ، غير أننا نلاحظ جِدة طرأت عليه من أثر الحضارة فازدهر هذا اللون واصطبغ بالرقة والعذوبة وحسن الديباجة ؛ فكان ذلك صورة لتأثيرات الترف والنعيم ومباهج الحياة الشائعة في العصر العباسي .

وأفكار الشاعر تبدو واضحة خالية من الغموض والتعقيد ؛ إذ هي تنساب عذبة جلية ، وهي بسيطة ، بينها تناسق وترتيب ؛ فهو يصور آلامه لبعده عن (فوز)، ويشخص ذلك ببيان حاله وقت الكتابة لها . ويتنسم سلامها من الريح ، ويكلف تبليغ تحيته إليها ، وأخيرا يرجو زوار بيت الله أن يعرجوا على المحبوبة بالمدينة المنورة ليبلغوها ماآل إليه حاله بعد هجرها .

ب ـ العاطفـة :

أبيات الشاعر تفيض شوقا ولوعة ، وحزنا واستعطافا ، وتظهر عاطفته تلك قوية صادقة ، يدل على ذلك البراعة في تصوير مناجاته وخلجات نفسه كما يتجلى صدق عاطفته في بعض الكلمات والعبارات مثل : (أزين) حيث استعمل في النداء الهمزة الدالة على قربها من قلبه ، و (العالمين) للإيحاء بتفوقها على جميع النساء عنده ، و (شدة إعوالي وطول نحيبي) توحي بما يعانيه في الحب من آلام ، و (تسح) تدل على انهمار الدموع .

جـ ـ الأسلوب :

1 – علام يدل النداء بالهمزة في قوله : «أزين نساء العالمين»؟ وبماذا تُوحي العبارة كلها؟

2 – يبدو من النص أن الشاعر يعاني آلاما مرة في حبه حتى درجة البكاء. بيّن الألفاظ والعبارات الدالة على ذلك.

3 ـ بماذا توحي عبارته : «سقم أعيا المداوين» ؟

4 ـ في النص مزج بين أسلوبي الخبر والإنشاء. استخرج أسلوبين خبريين. وبين الغرض الأدبي منهما.

5 ـ من الأساليب الإنشائية الواردة في النص النداء في أربعة مواضع-استخرجها وبين الغرض الأدبي من كل واحد منها.

6 ـ في البيت الثالث تشبيه استخرجه وبين نوعه وأثره في جلاء المعنى.

7 ـ في البيت الخامس استعارة في قوله : «أستهدي الرياح سلامكم» وهي استعارة مكنية تصور الرياح إنسانا يحمل السلام. تأمل النص واستخرج استعارتين من هذا النوع ثم اشرحها.

8 ـ في القسم الأول محسن بديعي. استخرجه واذكر نوعه، وبين أثره في المعنى.

9 ـ اقرأ الأبيات المدروسة عدة مرات. واحفظ القسم الأول منها. ثم قطع البيت الأول مبينا فيه تفعيلات بحر الطويل.

د ـ الأحكام والقيم :

1 ـ يكشف النص عن ملامح شخصية الشاعر. بينها مستشهدا لما تقول.

2 ـ في النص ملامح من بيئة الشاعر ما هي؟

3 ـ تأمل القصيدة واستنتج منها ما تراه من قيم وعواطف إنسانية

4 – ما هو موقف مجتمع الشاعر من الحب العفيف؟ وعَلاَمَ يدلُ ذلك؟

5 – ما هي السِّمة التي يمكن أن يوصف بها أسلوب الشاعر؟

حنيـــن ورجـــاء

لابن زيدون

تمهيد :



صاحب النص هو الشاعر الكاتب ذو الوزارتين . أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الأندلسي ، ولد سنة 394 هـ (1003 م) في بيت علم وجاه وغنى . ونشأ في مدينة قرطبة ، حيث كان والده من فقهائها .

اغترف العلم والأدب على أيدي كبار العلماء والأدباء . فأجاد الكتابة ونظم الشعر في سن مبكرة . بفضل ما يحظى به من مواهب وذكاء وثقة بالنفس . ولما ذاعت شهرته قربه إليه «أبو الحزم بن جهور» أحد ملوك الطوائف بالأندلس . واستوزره فوزر له الشاعر ، ولكن الوزير «ابن عَبدُوس» أوْغَر عليه صدرَ الملك فسجنه . وظل ابن زيدون يستعطفه بقصائد بديعة . ويسترضيه برسائلَ رفيقةٍ . ولكنه لم يظفر بعفوه . ففر من السجن . ولجأ إلى «المعتضد بن عباد» ملك إشبيلية الذي قرّبه وألقى إليه مقاليد الوزارة ، ولما صار الملك إلى ابنه «المعتمد بن عباد» وزر له أيضا ، وَقضى في إشبيلية بقية عمره . حتى مات بها سنة 463 هـ .

أهم آثاره: رسائله النثرية . وديوانه الذي يجمع قصائد في أغراض مختلفة تمتاز بصدق العاطفة والحس المرهف وأناقة الخيال ومتانة الأسلوب .

وقع ابن زيدون في حب ولادة بنت «المستكفي بالله» آخر خلفاء بني أمية في الأندلس ، وكانت إحدى شهيرات عصرها في الأدب والشعر والمناظرة ؛ مما جعل الكثير من مشاهير عصره ينافسونه في التقرب إليها . وعلى رأسهم الوزير «ابن عبدوس» الذي كاد له عندها ، وقد أدى ذلك إلى وقوع القطيعة منها . ففاض الشوق والحنين خلالها من قلبه ، ففجر ينابيع من الشعور الفياض قصائدَ صادقةً ، بعث بها إليها . يؤكد وفاءه لها وبقاءه على العهد .

وإليك أبياتا مختارة مقتطفة من أشهر هذه القصائد

النص :

ـ أ ـ

1 ـ أَضْحَى التَّنَائي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا   وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

2 ـ بِنْتُمْ وَبِنَّا . فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا   شَوْقًا إِلَيْكُمْ . وَلاَجَفَّتْ مَآقِينَا

3 ـ نَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا   يَقْضِي عَلَيْنَا الأَسَى . لَوْلاَ تَأَسِّينَا

4 ـ حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ   سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضا لَيَالِينَا

5 ـ إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلْقٌ مِنْ تَآلُفِنَا   وَمَوْرِدُ اللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

6 ـ لِيُسْقَ عَهْدُكُمُ . عَهْدُ السُّرُورِ فَمَا   كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلاَّ رَيَاحِينَا

ـ ب ـ

7 ـ لاَ تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا   إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمحِبِينا (1)

8 ـ وَاللهِ مَاطَلَبَتْ أَهْوَاؤُنَا بَدَلاً   مِنْكُمْ . وَلاَ انْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

9 ـ مَاحَقُّنَا أَنْ تُقِرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ   بِنَا . وَلاَ أَنْ تَسُرُّوا كَاشِحًا فِينَا

10 ـ غِيظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا   بِأَنْ نَغَصَّ . فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا

ـ جـ ـ

11 ـ دُومِي عَلَى العَهْدِ . مَادُمْنَا مُحَافِظَةً   فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا

12 ـ أَوْلِي وَفَاءً وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً   فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا وَالطَّيْفُ يَكْفِينَا

---

1) إن شرطية تقدم جوابها في الشطر الأول . وتقدير الكلام : إن طالما غير النأي المحبين . فلا تحسبوا نأيكم يغيرنا .

شرح وتحليل :

1 ـ ما هي الفكرة العامة للنص الذي بين يديك ؟
2 ـ اشتمل النص على عناصر تُكوّن أفكاره الأساسية . فما هي تلك الأفكار ؟
3 ـ اشرح الكلمات الآتية مستعينا بالقاموس : التنائي ـ تجافينا ـ جوانح ـ التأسي ـ الكاشح ـ غيظ العدى .

4 ـ هَجْرُ ولادة للشاعر جعله يعود لذكرياته أيام الوصال . بَيِّنْ أثر ذلك الهجر في نفسه . وما هي ذكرياته التي عرضها عن عهد اللقاء بينهما ؟
5 ـ بم دعا الشاعر لعهد الوصال والسرور ؟ اذكر العبارة التي استعملها لذلك .
6 ـ أكد الشاعر وفاءه لعهد المحبوبة . ففي أي الأبيات عبر عن ذلك ؟ وبم أكد قوله ؟

7 ـ تكلم ابن زيدون عن غيظ الأعداء . فمن هم هؤلاء ؟ وما الذي أغاظهم ؟
8 ـ صُغْ معاني البيتين الأخيرين بأسلوبك .
9 ـ احفظ النص واحرص على الإلقاء الجيد ، وقطع البيت الحادي عشر .

الدراسة الأدبية والفنية :

ا ـ الأفكار :

1 ـ شعر الغزل ـ كما عرفت ـ نوعان عفيف وماجن ، فبأي صنف تلحق هذا النص ؟ ولماذا ؟

2 ـ كيف ترى أفكار الشاعر من حيث الوضوح أو الغموض ؟ علل ذلك .
3 ـ كيف ترى أفكار ابن زيدون من حيث الجدة والقدم . حدد ذلك بالإشارة إلى بعض معاني النص .

ب ـ العاطفة :

عاطفة الشاعر قوية جياشة . فما نوعها ؟ استدل على ما تذهب إليه بأمثلة من النص .

جـ ـ الأسلوب :

جاءت ألفاظ النص وعباراته عذبة رقيقة ، بعيدة عن الغرابة ، قوية الإيحاء مثلما نجد ذلك في : (التنائي ـ تجافينا» وهما لفظتان توحيان بالفراق والبعد ، و (لا جفت مآقينا ـ الأسى) تدل على الحزن العميق،و (غيظ العدى) توحي بنار الحسد المتأجج في قلب العدو، و (أن نغص) توحي بمرارة حياة الشاعر.

غلبت على النص الأساليب الخبرية،لأن الشاعر في موقف يحدث فيه محبوبته عن ذكريات سالفة ، ويصف لها ما يعاني من فراقها ، ولذا كان كثيرٌ من هذه الأخبار دالا على الحسرة والأسى ، وكان من الأساليب الإنشائية القليلة في النص المضارع الذي دُخلت عليه لام الأمر (ليسق عهدكم) وغرضه الأدبي الدعاء ، والنهي الذي قصد منه الالتماس في : (لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا)،والأمر في البيتين الأخيرين من النص تستطيع معرفة غرضه الأدبي.

أمّا الخيال فقد أدّى دوره كاملا في إبراز المعنى وإيضاحه ، كما هو الحال دائما في الشعر ، الذي يقوم فيه التصوير بدور واسع جلي ، وكان من ذلك في النص : (غدت أيامنا سودا) كناية عن الحزن والكآبة ، و (بيضا ليالينا) كناية عن السعادة ، فالحزن مرتبط بالسواد ، والسرور مقترن بالبياض ، ومورد اللهو تشبيه بليغ ، شبه اللهو بالمورد الصافي ، وفيه تجسيم وإيحاء بسعادة الحب. وفي البيت السادس (ليسق عهدكم) استعارة مكنية تصور العهد الجميل بستانا يدعو له الشاعر بالسقيا ، وهومتأثر في هذه الصورة بأدب الجاهليين ، إذ كان العرب في الصحراء يدعون لديار الأحبة بهطول المطر حتى تظل عامرة ، وذلك لقلة الماء عندهم ، وتوقف حياتهم على المطر ، أما الأندلس فبلد الينابيع والأنهار ، لا حاجة له إلى مثل هذا الدعاء. وفي البيت الثامن (ولا انصرفت عنكم أمانينا) استعارة مكنية تصور الأماني في تعلقها بالحبيبة إنسانا يتجه إليها ولا ينصرف عنها. وهي صور جميلة تبين حرارة الشوق ، وصفاء الود ، وسعادة الحب.

ويزخر النص بمحسنات بديعية أضفت عليه عذوبة ورقة في الأسلوب،وإيضاحا وتوكيدا للمعنى بذكر الشيْ وضده ، مثل الطباق بين (التنائي ـ تدانينا) و (طيب لقيانا ـ تجافينا) و (سودا ـ بيضا) و (تفرقنا ـ تلاقينا).

ويتميز النص بموسيقى عذبة داخلية ناجمة عن انتقاء الألفاظ وتنسيق العبارات والاهتمام بالمحسنات البديعية ، وموسيقى خارجية ناتجة عن حسن اختيار الوزن والقافية وحرف الروي مما يناسب تأوهات التألم والشكوى .

والقصيدة من بحر البسيط وتفعيلاته :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن .

د ـ الأحكام والقيم :

1 ـ في هذا النص يظهر حزن ابن زيدون الشديد . ففي أي أبيات النص يتضح ذلك ؟

2 ـ اقرأ النص بتمعن ، وبين ملامح بيئة الشاعر .

3 ـ في النص قيمة خلقية يحرص كل شاعر محب على أن يبديها لحبيبه . فما هي ؟ وأين دكرت في النص ؟

لوعة الفراق ـ للأمير عبد القادر

تمهيد :



الأمير عبد القادر
١٨٠٧ - ١٨٨٣

ولد الأمير عبد القادر بن محيي الدين سنة 1222 . هـ (1808 . م) في قرية القيطنة بولاية معسكر ، بدأ حياته التعلمية على يد أبيه وبعض علماء بلدته ، ولما كبر ارتحل إلى مدينة وهران حيث تلقى علوم اللغة والدراسات الإسلامية ، وعند هجوم فرنسا على الجزائر قاد الأمير المقاومة الجزائرية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي مدة تزيد عن ستَ عشرةَ سنةً ، أثبتت خلالها كفاءة نادرة وشجاعة منقطعة النظير ، ولما استنفد ما عنده من وسائل الدفاع ، اضطر ـ لأسباب داخلية وخارجية ـ إلى الاستسلام .

وسجن بقصر «أمبواز» بفرنسا ، ثم نفي إلى استنبول ، ثم ذهب إلى دمشق التي استقر بها مع أهله ، واتخذها منطلقا لرحلاته المتعددة إلى القدس والحجاز وأوربا ومصر .

فالأمير عبد القادر ـ بالإضافة إلى أنه رجل حرب ودولة ـ شاعر وفقيه ومتصوف ، ترك آثارا مكتوبة أشهرها : كتاب المواقف في التصوف ، وكتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ، وديوان شعر يشتمل على عدة أغراض كالفخر والغزل والتصوف .

وتوفي بدمشق عام (1883 . م) بعد أن ملأ الدنيا بشهرته التي أكتسبها بفضل جهاده المستميت ضد الإحتلال ، وبموقفه الإنساني السمح الذي أنقذ آلاف المسيحيين من المذابح التي جرت بالشام عام (1860. م) ثم نُقِل رفاتُه إلى أرض الوطن عام (1966 . م).

انتقل الأمير عبد القادر إلى استنبول يسعى لدى السلطان ، ليوافق على انتقاله إلى دمشق ، وترك زوجته بمدينة «برّوسة» الواقعة غرب تركيا الآسيوية ، فاستبد به الشوق ، فنظم هذه القصيدة وأرسلها إليها ، يعرب فيها عن شدة تعلقه بها .



إسْتنبُول حيْث أقام الأمير عبْد القادر مُدّة مِن الزّمن

النص :

ـ ا ـ

1 ـ أَقُولُ لِمَحْبُوبٍ ، تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِي عَلِيلاً بِأَوْجَاعِ الْفِرَاقِ وَبِالْبُعْدِ
2 ـ أَمَا أَنْتَ حَقًّا ، لَوْ رَأَيْتَ صَبَابَتِي لَهَانَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ ، مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
3 ـ وَقُلْتُ : أَرَى الْمِسْكِينَ عَذَّبَهُ النَّوَى وَأَنْحَلَهُ ـ حَقًّا ـ إِلَى مُنْتَهَى الْحَدِّ
4 ـ وَإِنِّي ـ وَحَقِّ اللهِ ـ دَائِمُ لَوْعَةٍ وَنَارُ الْجَوَى ، بَيْنَ الْجَوَانِحِ فِي وَقْدِ

ـ ب ـ

5 ـ وَمِنْ عَجَبٍ ، صَبْرِي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ وَحَمْلِي أَثْقَالاً ، تَجِلُّ عَنِ الْعَدِّ
6 ـ وَلَسْتُ أَهَابُ البِيضَ كَلاًّ وَلاَ الْقَنَا بِيَوْمٍ تَصِيرُ الْهَامُ لِلْبِيضِ كَالْغِمْدِ
7 ـ وَلاَ هَالَنِي زَحْفُ الصُّفُوفِ وَصَوْتُهَا بِيَوْمٍ يَشِيبُ الطِّفْلُ فِيهِ مَعَ الْمُرْدِ
8 ـ وَقَدْ هَالَنِي ، بَلْ قَدْ أَفَاضَ مَدَامِعِي وَأَضْنَى فُؤَادِي بَلْ تَعَدَّى عَنِ الْحَدِّ
9 ـ فِرَاقُ الَّذِي أَهْوَاهُ ، كَهْلاً وَيَافِعًا وَقَلْبِي خَلِيٌّ مِنْ سُعَادٍ وَمِنْ هِنْدِ

ـ جـ ـ

10 ـ أَلاَ هَلْ يَجُودُ الدَّهْرُ بَعْدَ فِرَاقِنَا فَيَجْمَعَنَا ، وَالدَّهْرُ يَجْرِي إِلَى الضِّدِّ
11 ـ وَأَشْكُوكَ مَا قَدْ نِلْتُ مِنْ أَلَمٍ وَمَا تَحَمَّلَهُ ضُعْفِي وَعَالَجَهُ جُهْدِي
12 ـ لِكَيْ تَعْلَمِي ـ أُمَّ الْبَنِينَ ـ بِأَنَّهُ فِرَاقُكِ نَارٌ ، وَاقْتِرَابُكِ مِنْ خُلْدِ

تحليل وشرح

1 ـ اقرأ النص بتمعن وحدد فكرته العامة .
2 ـ في النص ثلاثة أقسام أساسية ، ضع عنوانا مناسبا لكل منها .
3 ـ اشرح هذه الكلمات مستعينا بالقاموس : صبابتي ـ الوجد ـ النوى ـ لوعة ـ كريهة ـ المرد .
4 ـ تأمل الفقرة الأولى ولخص موقف الحبيبين من بعضهما بعد الفراق ، وبين أيهما أكثر لوعة .

5 ـ يعجب الأمير لصبره على مكاره الحرب ، ولعدم صبره على فراق زوجته،فما الذي دعاه لكلا الموقفين؟

6 ـ في القسم الأخير رجاء وشكوى ، فماذا يرجو الشاعر ومم يشكو؟

7 ـ تأمل البيت الأخير وبين المعنى الذي يفيده .

الدراسة الأدبية والفنية:

ا ـ الأفكـار :

1 ـ إلى أي نوع ينتمي غزل الأمير في هذا النص؟ وهل فيه تجديد؟

2 ـ أفكار النص مترابطة بسيطة . علل الحكمين.

3 ـ قال عنترة بن شداد في صبره على مجالدة الأعداء وعدم صبره على فراق عبلة :

بَكَيْتُ مِنَ الْبَيْنِ الْمُشِتِّ وَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى طَعْنِ الْقَنَا لَوْ عَلِمْتُمْ

أُقَاتِلُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ... وَيَقْتُلُنِي الْفِرَاقُ بِلَا قِتَالِ

ـ اذكر الأبيات التي تؤدي هذا المعنى في قصيدة الأمير عبد القادر ، وأيهما كان أجود وأكثر تأثيرا ؟

ب ـ العاطفـة :

بين نوع عاطفة الشاعر . وكيف تبدو لك من حيث القوة والضعف؟ علل .

جـ ـ الأسلوب :

1 ـ لاحظ الكلمات الآتيـة :

عليلا ـ عذب ـ أنحل .

إنها كلمات شديدة الإيحاء بشدة معاناة الشاعر لتباريح الحب وألم البعد ، فبم توحي المجموعتان الآتيتان من الألفاظ :

ا ـ صبابتي ـ لوعة ـ نار ـ وقد .

ب ـ كريهة ـ البيض ـ القنا ـ الصفوف .

2 ـ الأمير عبد القادر فارس مقدام يتجلد في الحرب ، بيد أنه لا يصبر على فراق محبوبته . عين العبارات التي تدل على هذين المعنيين .

3 ـ يقول الشاعر : (لست أهاب البيض) . أسلوب هذه الجملة خبري وغرضه الأدبي الافتخار .

عين أساليب الجمل الآتية وبين غرضها الأدبي :

ـ لا هالني زحف الصفوف ....

ـ قلبي خلي من سعاد ومن هند .

ـ ألا هل يجود الدهر بعد فراقنا فيجمعنا ...

4 ـ (فراقك نار) : تشبيه بليغ ، يتألف من مشبه ومشبه به ، حذفت منه الأداة ووجه الشبه ، وتقدير الجملة : فراقك مثل النار في ألمه ولظاه .

ـ (تجل عن العد) ، كناية عن الكثرة .

عين نوع الصور الواردة في العبارات التالية واشرحها :

ـ (نار الجوى) ، (قلبي خلي من سعاد ومن هند) ، (لست أهاب البيض) ، (تصير الهام للبيض كالغمد) .

5 ـ وردت في النص محسنات بديعية قليلة استخرجها ، ثم صنفها وبين أثرها في المعنى والمبنى .

6 ـ بحر القصيدة من الطويل . خذ البيت الأول وقطعه، ثم احفظ القسم الثاني من النص .

د ـ القيم والأحكام :

1 ـ شخصية الأمير عبد القادر العسكرية بارزة في النص ، ففي أي قسم يبدو ذلك ؟

2 ـ في النص قيم خلقية ، فما هي ؟ وما رأيك فيها ؟

3 ـ اجمع ما تناثر من أجوبتك في التحليل ونقد الأفكار والأسلوب ونسق بينها في فقرات موجزة .

تمرين تطبيقي :

من رسولي إلى الثُّرَيَّا ؟

لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ المَخْزُومي (23 ـ 93 هـ) .

هو أبو الخَطَّاب عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ القُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ ، ولد بالمدينة سنة 23 هـ وَنَشأَ بِهَا وَتَرَبَّى فِي أَحْضان النعيم إذ كان أبوه ثريا غنيا ، فَمَا دفعته حاجة العيش إلى العمل والكد ، فتفرغ لقول الشعر منذ نعومة أظفاره ، وسلك به مسلكا خاصًّا ، إذ قصره على وصف النساء في تزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض بأسلوب بديع أَحَبَّه المغَنُّون والظرفاء ، وشغف به الفتيان والندماء ، ومقته الزُّهَّادُ والصُّلحاء ، ولم يقف شره عند ذلك ، بل كان يتعرض للعقائل والأميرات ، ويصفهن طائفاتٍ مُحْرِمَات ، فزهدت كرائم الأُسَر في أداء هذه الفريضة خشية منه ، وقد ضَاقَ به عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ الخليفة الأموي فنفاه إلى «دهلك» إحدى جزر البحر الأَحْمَر تَخَلُّصًا من شره . وقد تاب وزهد وتنسك فعفا عنه الخليفة وعاد به إلى المدينة .

النص :

1 ـ قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَابِي : أَتُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ ؟
2 ـ قُلْتُ : وَجْدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَذْ بِ إِذَا مَا مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ
3 ـ مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَإِنِّي ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ
4 ـ أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
5 ـ حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَجِيبِي فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الخَطَّابِ
6 ـ فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّـ ـى رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ
7 ـ أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ
8 ـ وَهْيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
9 ـ ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَا وَالتُّرَابِ
10 ـ أَذْكَرَتْنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ مِنْ دُجُنَّةٍ وَسَحَابِ
11 ـ فَارْجَحَنَّتْ مِنْ حُسْنِ خَلْقٍ عَمِيمٍ تَتَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَالْحُبَابِ
12 ـ قَلَّدُوهَا مِنَ القَرَنْفُلِ وَالدُّرْ رِ سِخَابًا وَاهًا لَهُ مِنْ سِخَابِ

شرح لغوي :

صاحبي : هو صديقه عبد الله بن أبي عتيق .
القتول : لقب للثريا ، لقبها به لشدة جمالها الذي تقتل به الراغبين فيها .
الرباب : مفرده : ربابة أي سحابة ، وهي هنا اسم علم .
العذب : أراد به الماء العذب .
ضقت ذرعا : نفد صبري ـ **والكتاب** : أي أقسم بالقرآن .
أم نوفل : هي المرأة التي كانت تتلطف لعمر عند الثريا ، فلما دعتها لصلحه لم تجبها الثريا فكادت تزهق روحه .
أبو الخطاب : كنية الشاعر .

لبى رجال : يعني تلبية الحجاج عندما يقولون : لبيك اللهم لبيك .
المهاة : البقرة الوحشية ، وتشبه المرأة بها لسعة عينيها .
تهادى : تمشي متمايلة ـ **الأتراب** : مفرده : ترب : هو المساوي في العمر لغيره .
المكنونة : المستورة المصونة .

تحير ماء الشباب : اجتمع وتردد رونق الشباب .
بهرا : بهرني حبها أي غلبني .
الدجنة : الظلام .
ارجحنت : مالت واهتزت ـ **عميم** : تام ـ **الحباب** : الأفعى .
السخاب : القلادة ـ **واها لكذا** : كلمة تعجب بمعنى : ما أحسنه .

حلل نص عمر بن أبي ربيعة تحليلا أدبيا معتمدا على العناصر التالية :
ا ـ تحديد أفكار النص الأساسية وشرحها .
ب ـ نقد الأفكار والعاطفة .
جـ ـ نقد الأسلوب .
د ـ إبراز القيم والأحكام .

تطـــور الغــزل

الغزل من فنون الشعر الغنائي القديمة ، عرفته الشعوب المختلفة منذ عهد بعيد ، وهو رفيق الأدب العربي منذ فجره . وقد شغل في الجاهلية مكانة مرموقة في الشعر ؛ لأن حياة البداوة ـ الغالبة عند العرب ـ تجعل مشاركة الرجل للمرأة مجسمة بارزة ، هذا إلى ما كان للحل والترحال الدائبين بتقلب الفصول والأيام من أثر في نشوء أسباب الهوى والهيام ، لما فيهما من قرب وبعاد وتواصل وفراق ، ولذا كثر في الجاهلية الشعراء المتيمون أمثال المرقش الأكبر.

وكان الغزل في الجاهلية يأتي في ثنايا القصائد أو في مطالعها ، وهو موزع بين تسجيل ذكريات الشاعر في شبابه ، ووصفه للمرأة ، دون الالتفات إلى الأحاسيس والمشاعر النفسية ، ومن ثم فهو سطحي في مجمله .

وفي صدر الإسلام هذب الدين الجديد الغزل ، فاقتصر عند الشعراء الذين التزموا بحدود الإسلام على القدر الذي تقره الحياة الإسلامية دون أن تجد حرجا فيه .

وازداد نشاطه فيما بعد في عصر الخلافة الأموية ؛ وفي هذه الفترة لم يعد بكاء على الديار ، بل أصبح في الغالب تصويرا لمشاعر الحب التي سكبها المجتمع الجديد في نفوس الشعراء ، فشاع في البوادي غزل عفيف يعنى بالتعبير عن المشاعر ، وازدهر في الحواضر غزل ماجن ، وجد في تطور الحياة الاجتماعية وميل الناس إلى الترف بيئة مواتية لرقيه ، وقد عدل الشعراء في كلتا الطائفتين إلى الأوزان الخفيفة مثل : الرمل والسريع والخفيف بتأثير شيوع الغناء ، كما عدلوا إلى الرقيق من الألفاظ استجابة لأذواق الناس ولروح العصر.

أما في العصر العباسي فقد أخذ الغزل العفيف يضيق مجراه ، ولم يعد يبلغ من التأثير في النفس والقلب ما بلغه في العهد الأموي ، وكأنما أفسدت الحضارة هذا الفن ، فإذا به يغلب عليه التكلف ولا يكاد يؤثر في النفس ، وقد مال الشعراء في هذه الفترة إلى انتقاء العبارات اللينة واختيار الألفاظ الرقيقة واعتماد الأوزان المجزوءة الصالحة للغناء .

وفي أواخر العصر العباسي بدأ الغزل في السقوط محتوى وشكلا ، وأضحى تعبيرا عن الغرائز ، وتصويرا للمغامرات في لغة نابية ترفضها الفطرة السليمة .

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ـ 656 هـ ضعف الشعر جملةً ، وغلب على الغزل التقليد ، فأصيب بالعقم والجمود ، فغاض معينه ، وجفت ينابيعه .

وفي العصر الحديث ظهرت صور للغزل ، تأثرت بالحياة الاجتماعية الجديدة ، غير أنها جاءت في حلة من أساليب القدامى في أوائل هذا العصر عند أمثال البارودي وشوقي ، ثم ظهرت مدارس شعرية تجديدية ، فرسمت في غزلها حبها ، ووصفت عواطفها وأفصحت عن مكنونات قلوبها ، وكل ذلك في حلل جديدة غير حلل القدامى ، وسلك هؤلاء طريقين : أحدهما متأثر بالدراسات النفسية ، فلجأوا إلى تحليل طبيعة الحب والكشف عن المشاعر الإنسانية العميقة ؛ فهم في هذا كشعراء الغزل العفيف ، وتجلت هذه الظاهرة عند الشعراء الرومانسيين (1) الذين يمثلهم علي محمود طه في دواوينه المختلفة .

وثانيها التجأ إلى الغزل الواقعي المكشوف الذي يصور المراقص التي أدى إليها الانحلال الخلقي وتقليد الغرب ، وهذه النزعة ظهرت عند بعض الشعراء مثل نزار قباني وغيره .

خصائص الغزل :

الغزل غرض من الأغراض الشعرية الضاربة في القدم ، يتناول الحديث عن المرأة ، فيصفها حسا ومعنى ، ويظهر الميل إليها والكلف بحبها ، مع ما يتبع هذا من التألم لفراقها، والتشوق للقائها .

وقد شغل حيزا واسعا في الشعر العربي ، وحظي بعناية فائقة في مختلف العصور ، ويقسم النقاد مضمون شعر الغزل إلى أقسام أهمها :

ا ـ الوقوف على الأطلال ومشاهد التحمل والارتحال .

ب ـ وصف محاسن المرأة على تفاوت في التزام الحشمة .

---

1 ـ الرومنسيون : نسبة إلى الرومانسية وهي مذهب أدبي وفني يتميز بالتعبير عن مشاعر الذات بقوة العاطفة ، وبعد الخيال ، والامتزاج بالطبيعة .

جـ ـ التعبير عن معاناة تباريح الحب والجوى ، ومقاساة آلام الهجر والبعاد .
وأهم مميزات أسلوب شعر الغزل فصاحة الألفاظ وعذوبتها ، وسهولة التراكيب وحلاوتها ، مع صدق التعبير وجماله ، والابتعاد عن التكلف ، وانتقاء الأوزان الخفيفة الصالحة للتلحين القابلة للغناء .

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الغزل :

1 ـ الغزل العفيف وفيه يلتزم الشاعر بالعفة والطهارة . ويتقيد بمبادئ الأخلاق والدين ، فلا يتعدى التعبير عن لهفة الحب وآلام الصبابة .

2 ـ الغزل الماجن : وطابعه الخلاعة والتصريح ، يعنى بالوصف الحسي المادي ، شاع في الحواضر حيث كثرت الإماء والقيان وتوفرت فُرَصُ اللهو والعبث .

وفي كلا النوعين نجد الصادق النابع عن عواطف حقيقية . ونجد المتكلف الذي مال إليه بعض الشعراء على سبيل الصناعة .

3 ـ الغزل الصوفي : وموضوعه الحب والعشق الإلهي . اشتهر به جماعة من الشعراء ، على رأسهم عمر بن علي المعروف بابن الفارض المتوفّى سنة 632 هـ .

البحث الأدبي

كان ابن زيدون كاتبا شاعرا غزير العلم . يمتاز برقة وأناقة الأسلوب .

اكتب موضوعا تتحدث فيه عن بيئته وعوامل نبوغه وأغراض شعره . وما امتاز به في الأفكار والأسلوب .

مراجع البحث :

تاريخ الأدب العربي : حنا الفاخوري
تاريخ الأدب والنصوص : محمد الطيب عبد النافع وإبراهيم عبد الرحيم يوسف
سلسلة «الروائع» عدد (51 ـ 52)
سلسلة نوابغ الفكر العربي عدد (5) تأليف : شوقي ضيف .

الفصل السادس

الهِجَــاء

1 – من نقائص الفرَزْدقَ وجَرير (موازنة)
2 – تهديد وهجاء لِبَشَّار بن برد
3 – هجاء المجتمع الخامل لأبي القاسم الشابي
4 – تطور الهجاء وخصائصه .

الهجــاء

تعريف :

الهجاء ضد المدح ، وهو فن يلجأ إليه الشاعر ، إذ يهاجم فردا أو جماعة ، أو عادة قبيحة ، أو عملا رديئا ، فينفّر الناس من المهجوّ ويحملهم على ازدرائه ، والهجاء نزعة طبيعيّة في الإنسان ما دامت عاطفته تتراوح بين الرضا والارتياح فيمدح ، والغضب والاستياء فيهجو .

وخير الهجاء - إن كان فيه خير - ما وُجّه إلى الرذائل ليقاومها الناس ويأمنوا شرها ، سواء أكانت هذه الرذائل فردية كالبخل والجبن والضعف والمجون ، أم اجتماعية كالرشوة والنميمة والخيانة ، أم إنسانية كالعدوان والطغيان والاستعمار ..

من نَقائض الفَرَزْدَق وجَرير

(موازنة)

تمهـيد :

أ ـ الشاعر الأول : الفرزدق



هو هَمَام بْنُ غالب بْن صَعْصَعَة التَّمِيمي الدَّارِميّ ، كنيته[1] أبو فراس ولقبه الفرزدق[2] ، أحد الشعراء المشهورين في العصر الأُموي ، ولد سنة 20 هـ . في الْبَصْرَة ، ونشأ في باديتها . وكان له من أمجاد قومه ، ومن مفاخرهم ماملأ نفسه عجبًا وتيها ، وفسحَ له مجالَ الفخر : فأبوه غَالِبٌ كان أحدَ أجواد العرب ، وجَدُّه صعصعةُ

☆ يخصص لدراسة هذه الموازنة من الوقت ما يخصص لدراسة نصين .

(1) الكنية ما بُدِىءَ بالألفاظ الآتية : أب - أم - ابن - أخ - عم - خال .. نحو : أم سلمى .

(2) لُقّب كذلك لغلاظة وجهه .

هو الذي : « أحيا الوئيدة » ؛ قيل إنّه اشترى ثلاثمائة وستين بنتا مهددة بالوأد ، كل واحدة بناقتين وجمل . وأم الفرزدق قيل إنها ليلى بنت حابس ، أخت الصحابي الأقرع بن حابس ، وهكذا كان الشرف يكتنفه من ناحيتي أبيه وأمه .

اتصل بالخلفاء والولاة ومدحهم ، فنال عندهم الحُظوة والمكانة . وقد قضى حياته بين مديح وهجاء ، حتى وافته المنية سنة 110 هـ عن 91 عاما .

ب - الشاعر الثاني : جرير .

هو جرير[1] بن عطية الخطفى ، ولد في اليمامة حوالي سنة 33 هـ . ونشأ في أسرة ليست على شيء من الجاه والشرف والثروة ، فترعرع يرعى غنما لأهله .

ولما كبر وبلغ شَأْوًا بعيدا في الشعر . تَقرب من الخلفاء والوُلاَة ومدح منهم الكثير .

بين الشاعرين :

عند استعراض التعريفين نلاحظ أن الشاعرين كليهما نشأ في بيئة تُكرم الشعر والشعراء . غير أن الفرزدق نشأ في أسرة ذات مجد وفخار ، بينما ترعرع جرير في أسرة فقيرةٍ مغمورة . لكننا نلاحظ أن فقر جرير وأصل أسرته المتواضع لم يمنعاه من الرُّقِيِّ إلى المرتبة الشعرية التي بلغها الفرزدق . فقد استطاع مثله أن يتقرَّب من الخلفاء والولاة والزعماء ، وقَدَر أن يَحْظَى بنوالهم وتقديرهم .

نشبت بين الفرزدق وجرير والأخطل حربٌ شعرية استمرت زُهاء أربعين سنة ، أقامت البلاد وأقعدتها ، عرف الشعر الذي تمخض عنها بشعر النقائض . والنصان التاليان يندرجان ضمن هذا النوع من الشعر .

النص الأول :

- أ -

1 - إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا   بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

(1) تجد مزيدًا من المعلومات في التعريف الذي سبق في درس : في مدح عمر بن عبد العزيز

2 - بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ وَمَا بَنَى ... حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لاَ يُنْقَلُ
3 - بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ... وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
4 - لاَ يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أَبَدًا إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الأَفْضَلُ
5 - وَإِذَا بَذَخْتُ فَرَايَتِي يَمْشِي بِهَا ... سُفْيَانُ أَوْ عُدُسُ الْفِعَالِ ، وَجَنْدَلُ
6 - الأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمُ ... وَالأَكْرَمُونَ إِذَا يُعَدُّ الأَوَّلُ
7 - أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ

- ب -

8 - ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
9 - إِنَّ الزِّحَامَ لِغَيْرِكُمْ فَتَرَقَّبُوا ... وِرْدَ الْعَشِيِّ إِلَيْهِ يَخْلُو الْمَنْهَلُ
10 - فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ... ثَهْلاَنَ ذَا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ ؟

النَّصّ الثاني :

- أ -

1 - أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا ... فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ
2 - لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي ... وَضَغَا الْبَعِيثُ ،جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ
3 - أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا ... وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الأَسْفَلِ 1
4 - وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى ... فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمُ بِمِثْلَيْ يَذْبُلِ
5 - إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

- ب -

6 - أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الْجِبَالِ رَزَانَةً ... وَيَفُوقُ جَاهِلُنَا فِعَالَ الْجُهَّلِ
7 - إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... عِزًّا عَلاَكَ ، فَمَالَهُ مِنْ مَنْقَلِ
8 - وَقَضَتْ لَنَا مُضَرٌ عَلَيْكَ بِفَضْلِنَا ... وَقَضَتْ رَبِيعَةُ بِالْقَضَاءِ الْفَيْصَلِ

تحليل وشرح:

1 - نص الفرزدق :

نص الفرزدق من شعر النقائض الذي يعتمد على غرضين شعريين معروفين هما :

الفخر والهجاء . فكرتاه الأساسيتان هما :
- فخر بالأصل والفصل .
- هجاء وتَحَدٍّ .

أ - [- سَمَك : رفع - الْمَلِيك : اللـه عز وجل - زُرَارة ومجاشع ونَهشل : أجداد الفرزدق - بذخت : فَخَرْتُ وَتَعَالَيْتُ فِي فَخْرِي - سفيان وعدس الفعال : مِنْ أهل الفرزدق - أحلامنا : عُقُولنا - نجهل : نَجْفُو ونَسْفَه] .

يفتخر الفرزدق في الفقرة الأولى بما منح اللّه قومه من عزة قَعْساء وشرف ثابت . وكيف لايثبت شرفه وهو مِنْ صُنْع رَافِعِ السموات ؟ وكيف لايُصان مجده وقد رعاه أجداد عظماء مثل زرارة ومجاشع ونهشل ؟ .

ثم يلتفت إلى هجاء جرير فيقول له : ليس في أسرتك من يَرْقَى في شرفه وعِزّه إلى مستوى أجدادي إذا ما عُدّت الأفعال الكريمة ، وأُحْصِيَتِ الصفاتُ النَّبيلة .

ثم يعود إلى الافتخار بأجداده ، ويقول : يَحِقُّ لي أن أتَعَالى في فخري لأن قومي - في مجال السَّبْق - يتصدرون الطليعة في الجود وكثرة العدِد . ثم يواصل حديثه ويقول : إننا ذَوُو رأي وأصحاب رزانة ، بيد أننا إذا غضبنا أو سفهنا بطشنا بأعدائنا بِقُدْرَة تُمَاثِل قدرة الجن .

ب - [- تَرَقَّبُوا : انْتَظِرُوا - وِرْد العَشِيِّ : الذهاب لجلب الماء ليلا ثَهْلَان : جبل بنجد - يتحلحل : يزول ويتحرك] .

وفي الفقرة الثانية يهجو الفرزدق جريرًا قائلا : إنّ بيتك مُنْحَطٌّ مَكَانَةً وَشَرَفًا ، ضعيفٌ ، مهلهل كبيت العنكبوت ؛ وكان ذلك عَلَيْكَ من قضاء الله وقَدَره . فأنت وقومك لاتقدرون على الزحام ، ولا تقوون على مجابهة الصّعاب ، لذلك فأنتم لاتردون ينابيع المياه ، إلاّ في أول اللّيل ، عندما يتفرق عنها الناس . ثم يَتَحَدّاه قائلا : إنّ عِرْضِي وَافِرٌ وَمَجْدَ أَهْلِي مَصُونٌ ، فَتَصَدَّ لنا بأهاجيك إذا شئت ، فإنّ ذلك لن يؤثر فينا في شَيْءٍ فَعِزَّتُنَا متينةٌ تُضَاهِي جبلَ ثهلان .

2 - نـص جـريــر :

نص جرير من شعر النقـائض أيضًـا ، نُظِم رَدًّا على هجـاء خصمـه الفرزدق ، وقدامتزج فيه غرضان شِعْرِيَّان هما الفخر والهجاء . ينقسم إلى فكرتين أساسيتين هما:

- **هجاء الفرزدق .**
- **فخر واعتزاز .**

أ - [- **ناقعًا** : قـاتـلا - **ميسمي** : مكـواتي - **ضغـا** : تَـذَلَّـلَ - **جدعت** : قطعت - **مجاشع** : قوم الفرزدق - **يذبل** : جبل يقع في منطقة نجد] .

يَذُمّ جرير في الفقرة الأولى خُصُومَهُ الثلاثة الفرزدقَ والأَخْطَلَ والبَعيثَ ، ويذكر أنه أعدّ لهم هجـاءً مُرًّا سلطـه عليهم ، فـأثر فيهم تـأثيرًا شـديـدًا ، استوى فيـه آخرهم بأولهم ؛ فالفرزدق لدغه بشعره لدغًا قاسيا ، والبعيث سطا عليـه سَطْوًا مُؤْلِمًا ، أمـا الأخطل فقد حَطَّ من كرامته وأَرْغَمَ أَنْفَهُ .

ثم يوجه هجاءَه إلى الفرزدق وقومه قائلا : أخزاكُمُ اللّه يا آل مجاشع ، وجعلكم في أحَطِّ موضع ... إن المجد الـذي تفخر بـه ، يـا فرزدق ، مجد ضعيف ، لايثبت أمـام مجدنا وعزنا ، لقـد رمـاكم اللـه بي لِسُوء فعـالكم ، فـانقضضت عليكم ... ونزلت عليـك يافرزدق بأهاجي المُقْذِعة الموجعة ، كما ينقضّ الطير على فريسته .

ب - [- **منقل** :مصدر ميمي من نقل بمعنى تحوّل - **قَضَتْ** : حكمت] .

وفي الفقرة الثـانيـة يفتخر جرير بقومـه الـذين - كما يقـول - يتصفـون بـأعظم المحامد وأجل المكارم : فهم أصحـاب رجـاحـة عقل وسـداد رأي ، وأصحـاب تفوق في المقدرة على السَّفَهِ والبطش ، كما أنهم أصحـاب مجد عظيم ، أعلى بنـاءَه اللـهُ سبحـانـه وتعالى،وجعله ثابتَ الأركان دائمَ الشُّمُوخ . ثم يختم نصه بالاعتداد بشهادة مُضَرَ وَرَبِيعَةَ قائلا : إن مُضَرَ وربيعة اجتمعتـا على الحُكْمِ لنـا بـالفضل عليـك ، والامتيـاز عنـك . فنحن أشرف منك وأعَزّ .

نقد وموازنة :

أ - 1 - أفكار النص الأول :

يشتمل نص الفرزدق على فكرتين أساسيتين ، افتخر في الأولى بأصله وفصله ، وهجا في الثانية خصمه جريرًا بضَعَة النَّسب وعجز أهله عن الصراع والتنافس ، وإذا استعرضنا معاني النص مَعْنًى مَعْنًى وجدنا أن الشاعر لم يأت في فخره ولا في هجائه بجديد يذكر : فافتخار الشعراء بأجدادهم وبأنسابهم ، وهجاء خصومهم بدناءة أصلهم أمرٌ مألوف كان الجاهليون يلوكونه .

وامتزاج الفخر بالهجاء أيضا من الأمور المتداولة عند الجاهليين . لكن الجديد هو أن الفرزدق وخصومه أصبحوا يفردون قصائد كاملة للهجاء والفخر : حيث كان الواحد منهم ينظم قصيدة يفتخر فيها بقبيلته ويهجو خصمه على وزن وقافية محددة ، ثم يرد عليه ذلك الخصم مفتخرا وهاجيا على وزن قصيدة خصمه وقافيتها .

ونلاحظ في النص تَأَثُّرَ الفرزدق بشعر غيره ممن سبقه ، فالبيت التاسع متأثر فيه بقول الشاعر :

وَلاَ يَرِدُونَ الْمَاءَ إلاَّ عَشِيَّةً ... إذَا صَدَرَ الوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ

والبيت الأخير مُتَأَثِّرٌ فيه بقول الأعْشَى :

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

2 - أفكار النص الثاني :

نَظَمَ جرير قصيدته هذه ردًّا على هجاء الفرزدق . فقد افتخر بقدرته على إفحام خصومه وإذلالهم بهجائه المُقْذِع . وقضاء مُضَر ورَبيعة لقومه بالفضل عَلَى قوم الفرزدق . ثم هجا الفرزدق بِدَنَاءَةِ الشرف وضَعَةِ المرْتَبة .

وهو في فخره وهجائه لم يبتكر شيئًا . فقد اقتفى آثار الشعراء الجاهليين . وأعتمد في ردّه على الفرزدق ، على نقض معانيه معنًى معنًى . ولعلك تلاحظ ذلك في الأبيات : الثالث والرابع والسادس والسابع . وذلك لأن الشاعر الثاني في النقائض مُقَيَّدٌ بالرَّدِّ على ما ذهب إليه الشاعر الأول ونَقْضِهِ جُمْلَةً وتفصيلاً .

بين أفكار النصين :

إذا وازنا بين النصين نجد أنها كليهما تناولا غرضا واحدا هو الهجاء الممزوج بالفخر ، غير أننا نجد بين النصين اختلافاتٍ واضحةً نُجلّيها فيا يلي :

اعتمد الفرزدق في فخره على ذكر آبائه وأجداده ، والذي دفعه إلى ذلك - من دون شك - هو علمه أنه ينتمي إلى أسرة ذات حسب ونسب . فاعتداده بسلفه مشروع ، فأحدهم كان من أجواد الجاهلية ، وآخر كان من الصحابة المقربين إلى رسول الله ﷺ .

أما جرير - الذي ينتمي إلى أسرة متواضعة - فلم يشر بكلمة واحدة إلى أصله وفصله . ونلاحظ أنه لجأ يلتمس لقومه الشرف والفضل العظيم ، حين قال إن قبائل مُضَرَ وربيعة حكمت لهم بالشرف الرفيع وقضت لهم بالفضل العميم . وذلك كله لأنه يعلم افتقارَ قومه إلى من هو جدير بأن يكون موضعا للفخار والاعتزاز .

وقد افتخر الفرزدق بطائفة من الصفات كان العرب في الجاهلية يفتخرون بها مثل الكرم وكثرة العدد ورجاحة العقل وسداد الرأي والقدرة على البطش بالأعداء . وكذلك فعل جرير ، بل إنه استعمل بعض عبارات الفرزدق بنصها : (أحلامنا تزن الجبال رزانة) ، ولا بأس في ذلك مادام كلامه يندرج ضمن الردّ عليه ونقض ما ذهب إليه معنًى معنًى . وأضاف إلى ذلك أن هجاءه لاذع موجع وأن الله أنزله عِقَابًا وَخِزْيًا عَلى الفرزدق . وهي معان لم يرد نَظِيرُهَا في نص الفرزدق .

كلا الشاعرين اعتمدَ على المفاخرة التي كان الجاهليون يعتزون بها . وهي في معظمها مرتبطة بالنعرة العصبية .

والشاعران كلاهما لم يأتيا بجديد يذكر ، فمعانيهما مطروقة سبق شعراء كثيرون إليها ، سهلة التناول قريبة من الأفهام .

ب - العَاطفَة :

نلمس في أبيات الفرزدق عاطفة التعالي والاعتزاز تجلت في معرض فخره بقومه ، وعاطفة الاحتقار والازدراء بانت في هجائه .

ونلمس العواطف نفسها في أبيات جرير ، فعاطفة الاعتزاز والتسامي ظهرت لما كان بصدد الافتخار بشاعريته وبقومه ، وعاطفة التحقير والْكُرْه تجلت لما كان بصدد هجاء خصمه .

وظاهرة الاعتزاز أظهر وأبين عند الفرزدق منها عند جرير . وذلك راجع إلى أن للفرزدق في قومه عشراتِ الأشخاص الذين يليق به أن يفتخر بهم ، ويعتز بمكارمهم وفعالهم ، بخلاف جرير في ذلك .

وبينما نلمس عند الفرزدق روح الكبرياء والتعالي ، بلغت درجة عالية إلى حدّ جعلت الفرزدق يتحدى جريرا أنْ يَمَسّ بناء مجدِه الشامخ بسوء ، نجد جريرًا أقلّ تعاليا ؛ لأن الذي يأتي في ذِرْوَة ما يمكن أن يفتخر به هو هجاؤه الذي يُخْرِس به الأعداء .

جـ - أسلوب النَّصَّيْن والموازنة بينهما :

1 - أسلوب النص الأول :

ألفاظ نص الفرزدق مألوفة لاغريب فيها[1]. نستثني منها كلمة (يتحلحل)، بعضها ضخم فخم يلائم غرض الفخر، مثل: (سَمَك - دعائمه - المَلِيك - قَضَى). وعباراته سهلة مسبوكة في قوالب شبيهة بقوالب النثر، من حيث ترتيب عناصر الجملة.

أما الصور فيه فقليلة ، منها الكناية عن المجد والرفعة في قوله : (بيتا دعائمه أعز وأطول) ، والكناية عن الضَّعَة والضعف في قوله : (ضربت عليك العنكبوت بنسجها) . والتشبيه في قوله : (تخالنا جِنًّا) ووَجْهُ الشَّبَهِ فيه القوة والقدرة الخارقة .

وموسيقى النص صاخِبَة ، اكتسبت ضجتها من عدة عوامل :

- تكرار عدة حروف جَهْرِيّة ؛ مثل النون وَغُنَّتِه[2] ، والضاد وفخامته ، والتاء وقوة جرسها .

---

(1) غير أنّ باقي أبيات القصيدة التي تبلغ 77 بيتًا ، فيها كثيرٌ من الغريب .

(2) تكررت النون في البيت السابع ست مرات .

– سرد أسماء جاهلية تتميز بالفخامة ، مثل : مجاشع – نهشل – عدس الفعال – جندل .

– اعتماد البحر الكامل وزناله ؛ وتفعيلاته هي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

2 – أسلوب النص الثّاني :

ألفاظ نص جرير سهلة ، وعباراته واضحة تنساب في غير مشقة مما يدل على أن الشاعر متمكن من ناصية الشعر ، يقول فيحسن القول ، وينظم فيجيد النظم .

وقد اختار عددًا من الألفاظ توحي بالحالة النفسية التي كان عليها ساعة النظم ، فهو منفعل مشمئز من الفرزدق محتقر له : (أَخْزَى – الحضيض – أَخَسّ) .

والصور البيانية فيه قليلة ، وردت في غير تكلف مثل الاستعارة في قوله : (أعددت للشعراء سُمًّا) وهي استعارة تصريحية ، ذلك أنه شبه شعره بالسُّمّ ، ثم حذف المشبه وأبقى على المشبه به . وهي توحي بعنف هجائه وقسوته . والكناية في قوله : (جَدَعْتُ أنف الأخطل) وهي كناية توضح درجة الإذلال . وفي النص صور بيانية أخرى يسهل الوقوف عليها وتحليلها .

وقد أضفى وزن بحر الكامل على النص موسيقى صاخبة ، تناسب مواقف الفخر والهجاء .

بين الأسلوبين :

إذا أجرينا موازنة بين النصين ، من ناحية الأسلوب ، نلاحظ ما يلي :

– كلا النصين يخلو من الغريب ، فألفاظهما سهلة مألوفة في مجملها .

– كلاهما يشتمل على عدد من الصور البيانية غير المتكلفة ، ولم يول الشاعران فيهما اهتماما بالمحسنات البديعية .

بين القيم والأحكام :

يتجلى تأثر الفرزدق بالقرآن الكريم في ثلاثة مواضع : فمعنى البيت الأول مقتبس

من قوله جَلَّ وَعَلاَ : « أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا »[1] . وقولُهُ : (وما بنى حكم السماء فإنه لاينقل) متأثر بقول الله تعالى : « وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَمُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ »[2] . ومَعْنَى البيت الثامن مستمد من الآية الكريمة : « وإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ »[3] .

غير أننا لا نُلاحظ هذا التّأثر في نص جرير . وإنّما نلاحظ فيه أن بعض معانيه مقتبسة من معاني الفرزدق ، وهذا لايدلُّ على ضعف جرير . وإنما فعل ذلك لأنه في موقف نقض معاني الفرزدق معنًى معنًى . وقد قال أحد النقاد في الشاعرين : « الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر » . وهي شهادة تبين أن لجرير تَمَكُّنًا أعظم من نظيره من ناحية الشعر .

تمارين تطبيقية :

1 – هل منع جريرًا ضَعَةُ مكانة أسرته من النبوغ في الشعر ؟

2 – من هم الشعراء الذين دارت بينهم حرب شعرية ؟ وبأي اسم عرف الشعر المتمخض عن هذه الحرب؟ وما سبب إذكاء ناره؟

3 – ما هي الصفات التي افتخر بها كل من الفرزدق وجرير ؟

4 – أيُّ الشاعرين أكثر تعاليا في فخره ؟

5 – ما هما الغرضان اللذان يعتمد عليهما شعر النقائض ؟

6 – هل تجد في معاني الشاعرين جديدًا ؟

7 – هل اهتم الشاعران بتجويد الصياغة ؟

8 – ما هي القيم التي تستنتجها من النصين ؟

---

(1) الآية 28 من سورة النازعات .

(2) من الآية 41 من سورة الرعد .

(3) من الآية 41 من سورة العنكبوت .

تَـهديد وَهجَــاء
لبَشَّــار بن بُرْد

تمهـيد :



بشار بن بـرد

الشاعر هو أبو معاذ بشار بن برد ، أشهر مخضرمي الـدولتين الأمـويـة والعباسية ، من أصل فارسي ، ولـد أعمى لأبـوين فقيرين سنـة 95 هـ ، ونشـأ مـولًى لبني عقيـل بن كعب ، واختلف إلى الأعراب الضـاربين بـالبصرة ، حتى أصبح نابغة زمانه فصاحة وشعرا ، كان متـوقـد الـذكاء كثير الاستهتار بـالقيم.. لذلك نفي مرة إلى الكوفة .

قال الشعر وهو ابن عشر ، وكان أول ما قاله : الهجاء مدفوعا إليه بعدة عوامل منها : قلة صبره على آفة العمى ، وحقده على المتحرشين به ، وحبه للتكسب عن طريق الهجاء تخويفا للـذين لايجودون عليه بـالمـال ، ومـدح آخر خلفـاء بَني أميـة « مروان بن محمد » ، ثم اتصل بـالعبـاسيين فـدحهم ، وكان أوْفَرَهم حظـا في مـدائحـه « المهدي » ، لكنه أعرض عنه فيا بعد لفسقه ومجونه ، وسخط عليـه حينـما هجـاه مع وزيره يعقوب بن داود بقوله :

بَنِي أُمَيَّـةَ هُبُّـوا طَـالَ نَـوْمُكُمُ ... إنَّ الْخَلِيفَـةَ يَعْقُـوبُ بْنُ دَاوُدِ
ضَاعَتْ خِلاَفَتُكُمْ يَـاقَوْمُ فَـالْتَمِسُوا ... خَلِيفَـةَ اللَّـهِ بَيْنَ الـزِّقِّ وَالْعُـودِ

أرسل بشار قصيدته،التي منها هذه الأبيات التي سنقدمها،إلى إبراهيم بن عبد الله

الثائر الفاطمي على بني العباس يهجوبها « **المنصور** » ويهدده ، ويمدح إبراهيم وينصحه ، ويُروى في مناسبتها : أن هذه القصيدة لم تصل إلى إبراهيم حتى قُتِل ، وخاف بشار أن تكون قد قرئت على المنصور ورواها الرواة . فأظهر أنه قالها في « **أبي مسلم الخرساني** » قبل ثماني سنوات ، وكان قد قتله الخليفة . وجعل في البيت الأول « **أبا مسلم** » بدلا من « **أبا جعفر** » وفي البيت التاسع « **يابن وشيكة** » وهي أم أبي مسلم بدلا من « **يابن سلامة** » وهي أم أبي جعفر .

وهذه الأبيات من تلك القصيدة قبل أن يحوّلها بشار من صورتها الأولى إلى صورتها الثانية ، وفيها يهدد أبا جعفر ويتوعده ويهجوه .

النص :

– أ –

1 – أَبَا جَعْفَرٍ مَاطُولُ عَيْشٍ بِدَائِمٍ   وَلاَ سَالِمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمِ
2 – عَلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ يَقْتَحِمُ الرَّدَى   وَيَصْرَعُهُ فِي الْمَأْزَقِ الْمُتَلاَحِمِ
3 – كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَّجٍ   عَظِيمٍ ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِفَتْكِ الأَعَاجِمِ
4 – تَقَسَّمَ كِسْرَى رَهْطُهُ بِسِلاَحِهِمْ   وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلاَمَ نَائِمِ
5 – وَمَرْوَانُ قَدْ دَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرَّحَى   وَكَانَ – لِمَا أَجْرَمْتَ – نَزْرَ الْجَرَائِمِ
6 – فَأَصْبَحْتَ تَجْرِي سَادِرًا فِي طَرِيقِهِمْ   وَلاَتَتَّقِي أَشْبَاهَ تِلْكَ النَّقَائِمِ

– ب –

7 – تَجَرَّدْتَ لِلإِسْلاَمِ تَعْفُو طَرِيقَهُ   وَتُعْرِي مَطَاهُ لِلُّيُوثِ الضَّرَاغِمِ
8 – فَمَازِلْتَ ...حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ   عَلَيْكَ ، فَعَاذُوا بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
9 – فَرُمْ وَزَرًا يُنْجِيكَ يَابْنَ سَلاَمَةٍ   فَلَسْتَ بِنَاجٍ مِنْ مَضِيمٍ وَضَائِمِ
10 – لَحَا اللَّهُ قَوْمًا رَأَّسُوكَ عَلَيْهِمُ   وَلاَزِلْتَ مَرْؤُوسًا خَبِيثَ الْمَطَاعِمِ

تحليل وشرح :

في هذه الأبيات تذكير لأبي جعفر بمصارع الطغاة وكشف لجرائمه ، وتلك هي الفكرة العامة التي تندرج تحتها فكرتان أساسيتان هما :

أ - تهديد المنصور بذكر نهاية الجبابرة .

ب - هجاؤه له بجعله الإسلام عُرْضة للأعداء .

أ - [- **رهط** : جماعة يبلغ عددها تسعة ، وهنا حاشيته من غير نظر إلى العدد - **أبو العباس** : كنية الوليد بن يزيد الخليفة الأموي المقتول لاستهتاره بالدين - **مروان** : هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية - **دارت على رأسه الرحى** : أهلكته الحرب ، والرحى : حومة الحرب - **نزر الجرائم** : قليلها - **سادرا** : متبعا طريقهم غير مبال بما تصنع - **النقائم** : العقوبات] .

يستهل الشاعر المقطع الأول من النص بتهديد أبي جعفر المنصور ، وتذكيره بمصير ومصارع الجبابرة والطغاة ، وتوعُّده بالعاقبة الوخيمة التي تنتظره فيقول له : يا أبا جعفر لاتكن مغرورا بقوتك وسلامتك من الآفات ، فإن العيش مهما طال لايدوم ، وإن السلامة من آفات الدهر سرعان ما تذهب وتتحول ، لأن الموت لاينجو منه أحد ، فهو يقتحم على الملك الطاغية بابه وحصنه ، ويهلكه في مكان شديد الضيق ، فلا ينفعه في دفع الموت عنه حرس ولا جند ، ويخيَّل إليَّ - يا أبا جعفر - أنك غِرٌّ جاهل ، لم تعرف شيئا عن قتل الأعاجم لملكهم العظيم « كسرى » حين فتكت به حاشيته ، وتقطيع أعوانه له إرْبا إربا ، كما يخيَّل إليَّ أنك لم تعرف شيئا عن نهاية الخليفتين الأمويين : أبي العباس الوليد بن يزيد ومروان بن محمد ؛ إذ قتل الأول لاستهتاره بالقيم الدينية ، وطحنت الحرب الثاني طحنا ، مع أن جرائمه تبدو هيِّنة يسيرة إذا قيست بجرائمك ، والغريب أنك لم تعتبر بعواقب أمرهم ، فكنت ناهجا نهجهم ، غير مبال بما تفعل ، وغير حذر من أمثال ما نالهم من عقاب .

ب - [- **تجردت للإسلام** : نصبت نفسك لحرب الإسلام - **تعفو طريقه** : تمحو تعاليمه - **تعري مطاه** : تجعل ظهره عاريا - **الليوث الضراغم** : الأسود الكاسرة - **عاذوا** : لاذوا واعتصموا - **الصوارم** : القاطعة - **الوَزَرُ** : الملجأ - **سلامة** : اسم والدة أبي جعفر كما ذُكر من قبل - **مَضيم** : مظلوم ، اسم مفعول - **ضائم** : ظالم . اسم فاعل من « ضَام » - **لحا** : لعن - **خبيث المطاعم** : تأكل من أخبث طعام] .

وفي القسم الثاني يذكر بشار بعض ما ارتكبه « أبو جعفر المنصور » من جرائم

ويهدده ويهجوه قائلا : لقد نصبت نفسك لحرب الإسلام ، فأخذت تمحو معالمه ، وتميت سننه وتعرّضه لأعظم الأخطار ، كي يتمكن أعداؤه المتربصون به من الانقضاض عليه في الوقت المناسب ، وما زلت - يا أبا جعفر - تحارب الدين حتى استنجد بأنصاره المخلصين من أبناء « علي » و « فاطمة » لإنقاذ هذا الدين منك ، فلجأ أولئك الأنصار إلى الثورة المسلحة بقيادة « إبراهيم بن عبد الله العلوي الفاطمي » واعتمدوا في حربك على كل سيف مرهف الحد بتّار ، فاطلب ملجأ يحميك من قبضة الثائرين إن استطعت ، وهيهات أن تجد ذلك الملجأ مادام الناس جميعا يطلبونك ، وما داموا أحد اثنين : مظلوم له ثأر عندك ، وظالم مثلك لاينجو منه أحد . فكيف تنجو ؟ ألا قبح الله قوما جعلوك رئيسا عليهم ، جعلك الله تابعا ذليلا تأكل من أخبث طعام .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

غرض هذه الأبيات الهجاء ، وهو غرض قديم شاع في العصر الجاهلي ، وازدهر في عصر بني أمية . وقد بدأ الشاعر قصيدته بحكمة بالغة مناسبة للموضوع ، تخفي وراءها الكثير من التهديد ، وهذه ظاهرة جديدة برزت في الشعر العباسي ؛ إذ اعتاد الشعراء قبله بدء قصائدهم بالغزل في معظم الأحيان .

وأفكار الشاعر تبدو واضحة بسيطة ميسورة الفهم ، تُدرَك بقليل من التأمل ، وهي وإن لم تكن جديدة لوجودها قبل بشار ، لكنها جيدة مناسبة للموضوع والغرض الذي سيقت من أجله ؛ فتمادي « المنصور » في طغيانه يقتضي تذكيره بمصارع الطغاة ، وتعداد جرائمه مما يثير قلوب الناس عليه ، وهذا ما يهدف إليه الشاعر .

والأبيات إن كانت تبدو ذات موضوع واحد ، وبين الفكرتين الأساسيتين صلة وثيقة ، لكنها غير مترابطة ترابطًا متلاحما ؛ لأن الشاعر اعتمد على وحدة البيت ، شأنه في ذلك شأن الشعراء القدماء الذين يعتمدون على استقلال كل بيت بمعنى ، وعدم ارتباطه بما قبله وما بعده ارتباطا متينا ، والدليل على صحة هذا أنك تستطيع

تقديم أو تأخير بعض الأبيات دون أن تشعر بنشاز في المعنى . وبشار – إلى كل هذا – غزير المعاني ، انظر مثلا إلى القسم الأول كيف استدل على صحة حكمته في البيت الأول بأدلة كثيرة من التاريخ ، فوسع الفكرة واستقصى معانيها .

ب – العاطفة :

عاطفة الكراهية والاحتقار هي التي أملت على الشاعر هذا الهجاء الجارح للخليفة ، وهي عاطفة قوية صادقة ، لأنه أرضى بها نفسه الناقمة الثائرة ، وأرضى بها أمثاله من الساخطين على ظلم بني العباس واستبدادهم ، وهي عاطفة يتجاوب ويتأثر بها كل من يغار على الإسلام ، ويكره الظلم والاستبداد ، وصدق العاطفة هنا لا يدل حتما على صدق كل ما ادعاه الشاعر على « المنصور » ولا سيما اتهامه له بمحاربة الدين وتعرية ظهره للأعداء .

جـ – الأسلوب :

1 – أسلوب الأبيات يمتاز بانتقاء الألفاظ القوية الموحية ، اختر ثمانية ألفاظ قوية من النص واذكر ما توحي به من معان .

2 – يفخر العرب بالإيجاز في كلامهم ، والشاعر عمد إلى الإيجاز بالحذف في البيت الأول (ولا سالم ...) وفي البيت الثامن (فما زالت ...) قدّر ما حذف في العبارتين .

3 – يغلب على النص الأسلوب الخبري ، إيت بمثال من كل قسم ، واذكر غرضه الأدبي .

4 – ابحث عن أسلوبين إنشائيين في النص ، واستخرجهما ، وبين غرضهما الأدبي .

5 – في النص بعض الصور البيانية ، منها التشبيه والاستعارة والكناية ، استخرج مثالا عن كل منها في الأبيات (2 – 4 – 5) واشرحه وبين أثره في المعنى .

6 – المحسنات البديعية قليلة في الأبيات . استخرج منها التصريع والطباق وبين أثرهما في تحسين اللفظ والمعنى .

7 – إيقاع البحر المستعمل رصين يوحي بالقوة والصرامة . قطع البيت الأول واذكر اسم البحر وتفعيلاته .

د – الأحكام والقيم :

1 – هل تبدو لك بعض ملامح شخصية بشار من خلال نصه ؟ ما هي ؟

2 – في النص ما يشير إلى بعض أحداث بيئة الشاعر . فما هي ؟

3 – في الأبيات بعض الصفات السلبية المكروهة لدى الناس . فما هي ؟

☆ احفظ الأبيات كلها بأداء حسن .



هجاء المجتمع الخامل

لأبي القاسم الشّابي
(1327_1353هـ . 1909_1934 م)

تمهيد :



أبو القاسم الشابي شاعر ممتاز ، من أبرز الشعراء الذين أنجبهم المغرب العربي في العصر الحديث . ولد في قرية الشابية بجنوب تونس حيث تلقى علومه الأولى في الكُتّاب أين حفظ القرآن الكريم بكامله حفظا تاما .

انتقل إلى تونس وانتسب إلى جامعة الزيتونة وتخرّج منها سنة 1928 . ثم التحق بمدرسة الحقوق التونسية وأنهى دراسته بها سنة 1930 .

وقد أكَبَّ في هذه الفترة على أُمّهات كتب الأدب العربي مثل : الأغاني ، وصُبْح الأعْشى ، ونفح الطيب ، والكامِل ، والْعُمْدَة ، وغيرها . كما نهل من كتب المَهْجريّين ومما تُرجم من الآداب الأوروبية .

وقد استفاد من مطالعاته هذه ثقافةً أدبية واسعة دعم بهَا موهبته الشعرية المبكرة . فجاء إنتاجه الشعري جيّدًا رصينا متأثِّرًا بالتيار « الرومَنْسي » مُفْعَمًا بالرّوح الوطنية .

داهمته يدُ المنية وهو لايزال في رَيْعَان شبابه فمات - رحمه الله - دون أن يبلغ السادسة والعشرين من عمره ، متأثرا بمرض تَضَخُّم القلب .

النــص :

- أ -

1 - إنّي أرَى ...، فَأرَى جُمُوعًا جَمَّةً ... لَكِنَّهَا تَحْيَا بِلاَ أَلْبَابِ
2 - لَعَبٌ ، تُحَرِّكُهَا الْمَطَامِعُ واللُّهَى ... وَصَغَائِرُ الأَحْقَادِ وَالآرَابِ
3 - مَوْتَى ، نَسُوا شَوْقَ الْحَيَاةِ وَعَزْمَهَا ... وَتَحَرَّكُوا كَتَحَرُّكِ الأَنْصَابِ
4 - لاَقَلْبَ يَقْتَحِمُ الْحَيَاةَ ، وَلاَحِجَا ... يَسْمُو سُمُوَّ الطَّائِرِ الْجَوَّابِ
5 - بَلْ فِي التُّرَابِ الْمَيْتِ، فِي حِضْنِ الثَّرَى ... تَنْمُو مَشَاعِرُهُمْ مَعَ الأَعْشَابِ
6 - وَتَمُوتُ خَامِلَةً ، كَزَهْرٍ بَائِسٍ ... يَنْمُو وَيَذْبُلُ فِي ظَلاَمِ الْغَابِ
7 - أَبَدًا تُحَدِّقُ فِي التُّرَابِ ...، وَلاَتَرَى ... نُورَ السَّمَاءِ ...، فَرُوحُهَا كَتُرَابِ

- ب -

8 - وَإِذَا اسْتَجَابُوا لِلزَّمَانِ تَنَاكَرُوا ... وتراشَقُوا بِالشَّوْكِ وَالأَحْصَابِ
9 - وَقَضَوْا عَلَى رُوحِ الأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ ... جَهْلاً وَعَاشُوا عِيشَةَ الأَغْرَابِ
10 - فَرِحَتْ بِهِمْ غُولُ التَّعَاسَةِ وَالْفَنَا ... وَمَطَامِعُ السُّلاَّبِ وَالْغَلاَّبِ

تحليل وشرح :

يَتناول هذا النص هجاء المجتمع الخامل ، وهو ضَرْبٌ من ضروب الهجاء الْمُسْتَحْدَث في العصر الحديث ، ويشتمل على فكرتين أساسيتين هما :

- **مظاهر انحطاط المجتمع الخامل .**
- **الفُرْقَة والاختلاف .**

أ - [**جمة** : كثيرة - **ألباب** : عقول - **اللُّهَى** : مفردها لُهْوَة : العطية أو الحَفْنَة من المال - **الآراب** : جمع إرْب : الحاجة ، الغاية - **الأنصاب** : جمع نصب : التماثيل والأصنام - **الحِجَا** : العقل] .

يقول الشاعر في الفقرة الأولى : إنّي أرى مجتمعا يعيش حياةً لا طائل تحتها ، لأنها تقتصر على الوظائف المشتركة بين الإنسان والحيوان . لايُحَكِّم فيه أحدٌ من أفْرَادِه عقلَه ، فهم كالبهائم أو أسوأ حالاً . بل هم كاللُّعَب ؛ لا حِسَّ لهم ولا ضَمِيرَ ولا حرارةَ . فالذي يوجه حركاتِهم وسكناتِهم هو الطّمع والضغينة والحاجة الآنية .

ثم يمضي فيقول : إنهم كالموتى لا أملَ لهم ولا طموح ولا عزم ، فهم جامدون كالتماثيل يُحَرَّكُونَ ولا يَتَحَرَّكُونَ،يُنْكَرُونَ فلا يستفيقون ، لانجد فيهم من له قلب جرىء يقتحم به صعاب الحياة ، ولا نَلْقَى فيهم من له عَقْلٌ حُرٌّ يقوى على التأمل والتحليق في رحاب الفكر ، كما يجوب الطائر الآفاق الفسيحة . فَكُلُّهُمْ رَضِيَ بحياة الصِّغار ؛ تنمو مشاعرهم صغيرة ضئيلة ، لاتتجاوز في مَداهَا ارتفاع الأعشاب ، ثم تضمحل وتموت مغمورة مجهولة . وَكُلُّهُمْ أبدًا يَقنع بحياة الضَّعَة ، ولا تتطلع نفوسهم إلى العُلاَ ولا تَتَشَوَّفُ إلى نور الرِّفعة والسمو .

ب - [- **تراشقوا** : تناضلوا - **الأحْصَاب** : جمع حصب : الحجارة الصغيرة - **السُّلاّب والغلاب** : جمع سَالِب وغالب] .

وفي الفقرة الثانية يقول : قد يَسْتَفِيقُ المجتمع الخامل من غفلته ، ويُلَبّي نداء الزمان ، غير أنه - في هذه الحالة - لا يستطيع أن يَنْسى ضَغَائِنَه ، فيميل إلى الفُرْقَة والانقسام والتناحر،ويقضي على روابط الأُخُوَّةِ ، فيعيش الأفراد فيه كأنهم غُرَبَاء وخصوم ، فَتَجِدُ إليهم التعاسة والفناءُ طريقَها ، وتجد فيهم الشعوبُ التي تعيش على الغلبة والسلب فُرَصا لتحقيق أطماعها .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

1 - ما غرض النص ؟

2 - ما هو موضوع النص؟ أهو قد... جديد؟ ومَن مِن المعاصرين تحدّث عنه؟

3 - النص أقرب إلى النقد الاج... ...نه إلى الهجاء . ما رأيك في هذا القول ؟

4 - ما هي الدوافع التي جعلت ... يَنْبَري لهجاء مجتمع بأكمله؟ وما أثر شعره؟

5 - استطاع الشاعر الغوص إ... الفرد في المجتمع الخامل . فما مظاهرها كما أبرزها في هذا النص ؟

6 - أضفى الشاعر على نصه ه... إنسانية . ففيم يتجلى ذلك ؟

7 - ما هي ملامح تأثر الش... بالمذهب الرومنسي الغربي ، كما تجدها في النص .

8 – لم يُعَيِّن الشـاعر هُوِيَّـة المجتمع الـذي يهجوه . فما هي المجتمعـات التي يَصْدُق عليها هجاؤه وَقْتَئِذٍ ؟ .

9 – هل تجد لهذا النمط في الهجاء صلةً مع الشعر التحرري الوطني ؟ فماهي ؟

ب – العاطفة :

تنوعت عواطف الشاعر في هذا النص . أيُّ العواطف الآتية تجدها مُجَسَّمَةً فيـه : الازدراء والتحقير – الأسف وخيبة الأمل – الحب والإكبار – الرحمة والإشفاق ؟

جـ – الأسلوب :

أبو القاسم الشابي من الشعراء الـذين تـأثروا بـالمـذهب الرُّومَنْسِي . ويبـدو تـأثره جَليـا في نصـه هـذا ، ولا سيا فيا يتصل بـالأسلوب ؛ ولعـل أهم مظـاهر تـأثره فيـه امتزاجـه بـالطبيعـة حيث نجـد فيـه عـددًا وافرًا من الألفـاظ والعبـارات تُطلـق على مُسَمَّيَات في الطبيعة : (الطائر الجواب – الأعشاب – كزهر بَائس – يـذبل – تراب – الشوك – الأحصاب) ، وهي كما تلاحظ شديدة الإيحاء . فعبـارة (كزهر بـائس) تـوحي بمعـاني الضّعَة والضعف . ولفظـة (يـذبـل) تـوحي بمعـاني الفنـاء والفتـور والانحطاط .

ومظهر آخر من مظاهر تأثره بهذا المذهب هو سهولة لغته وبساطة عباراته .

وقد استعان بالصور البيانية لتجسيد بعض الأفكار المجردة مثل : (أبـداً تحـدّق في التراب ...) فهي كنـايـة عن خضوع المجتمع وقبـولـه لحيـاة الـذل . وفي النص صـور أخرى ندع لك مجال اكتشافها وتحليلها .

ونظم الشابي نَصه هذا على بحر الكامل ذي التفعيلات المتلاحقة .

مُتَفَـــاعِلُنْ متفـــاعلن متفـــاعلن   متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن

وهو بحر يناسب أغراض الهجاء والفخر .

د – الأحكام والقيم :

1 – أيُّ الأحكام الآتية ينطبق على شخصية الشاعر كما تمثلها في النص :

☆ الشابي شاعر رومنسي ثائر .
☆ الشابي شاعر لا هَمَّ له إلا هجاء الآخرين .
☆ الشابي شاعر يحب وطنه الأكبر ويرغب في نهضته .
☆ الشابي عدو الظالمين وصديق الضعفاء المحرومين .
☆ الشابي شاعر رومنسي لا يَعْبأ بما يدور في مجتمعه .

2 - يصور النص بيئة الشاعر الاجتماعية ، اذكر بعض ملامحها مما تستنتجه من النص .

☆ ☆ ☆ ☆

احفظ أبيات الفقرة الأولى وقطع البيت التاسع .

بحث أدبي :

أبو القاسم الشابي شاعر تونسي ثائر ورومنسي مجدد .

تحدثْ عن حياته وعوامل نبوغه وأغراض شعره وخصائصه الفنية مستشهدا بأبيات مما تحفظه .

المراجـع :

- الشابي : حياته وآثاره .... أبوالقاسم محمد كرو .
- أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت ... إيليا الحاوي .
- قضايا الشعر المعاصر ... أحمد زكي أبو شادي .
- مجلة الفكر التونسية (عدد خاص) .... السنة (30) العدد (2) نوفمبر 1984 .

نَصٌّ للتَّحْليل
هجو الزِّبْرِقَان بن بدر

للحطيئة

تـمـهـيـد :

بـالحيطئـة من بني عبس ، وهو أحـد المخضرمين الذين عاشوا في الجـاهيـة والإسلام ، ولـد من أمَـة اسمهـا « الضَّرّاء » ، فكان مضطرب النسب ، ولـذا كانت حيـاتـه عبـارة عن تنقّل دائم من قبيلـة إلى قبيلـة ، وتَقلّب من نسب إلى نسب ، عاش فقيرا ناقما على الحياة .

وكان لرفض المجتمع الجاهلي له آثار بعيدة في تكوينه النفسي والخلقي : فقد حقـد على هـذا المجتمع وكرهـه ، ورفض قيمـه التي يـؤمن بهَـا ، ومن هنـا كان هجـاؤه المرّ ، واستهانته بكل ما هو محترم عند الآخرين .

أسلم الحطيئـة في أواخر حيـاة الرسـول ﷺ ، إلا أن إسـلامـه كان رقيقـا ، فلم يتغلغـل في قلبـه ، وقـد ارتـد مـع المرتـدين بعـد وفـاة النبي ﷺ ، ثم عـاد معهم إلى الإسلام يوم عادوا .

واتخذ من شعره وسيلـة إلى الرزق ؛ فكان يمـدح من يعطيـه ويهجـو من يمنعـه ، ولذلك امتلأ ديوانه بهذين الغرضين : المدح والهجاء ، وعمّر طويلا حتى مات سنة 59 هـ . 697 م عن عُمر يناهز الثمانين .

اقترح « الزِّبْرِقَانُ بن بـدر الـذي كان واليـا من قِبَل النبيّ ﷺ ، ثم أبي بكر وعمر (ض) - اقترح على الحطيئة في عام مجدب أن يجـاوره ويكرمـه فقَبل ، وأَرْسَلَهُ إلى أهله ، لكن زوج الزِّبرقان أساءت معاملته ، وكان « بنو أَنْف الناقة » ينتظرون هـذه الفرصة ليستضيفوا الشاعر فيمدحهم ، فكان لهم ما أرادوا ، ومما قاله فيهم :

قَـوْمٌ هُمُ الأَنْفُ وَالأَذْنَـابُ غَيْرُهُمُ ۝ وَمَنْ يُسَـوِّي بِأَنْفِ النَّـاقَـةِ الـذَّنَبَـا ؟

فصار اللقب الذي كانوا يخجلون منه فخرالهم ، ومن شعره الذي هجا به « الزِّبْرقان » وقومه هذه الأبيات التي يذمهم فيها بالبخل والتخلي عن الجار :

1 – لَقَدْ مَرَيْتُكُمُ لَوْ أنَّ دِرَّتَكُمْ	يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَتْحِي وَإِبْسَاسِي
2 – وَقَدْ مَدَحْتُكُمُ عَمْدًا لِأُرْشِدَكُمْ	كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ مَتْحِي وَإِمْرَاسِي
3 – لَمَّا بَدَا لِيَ مِنْكُمْ غَيْبُ أَنْفُسِكُمْ	وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي مِنْكُمُ آسِ
4 – أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمُ	وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
5 – جَارٌ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ	وغَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ
6 – مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ	وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ
7- لاَذَنْبَ لِي الْيَوْمَ إِنْ كَانَتْ نُفُوسُكُمُ	كَفَارِكٍ كَرِهَتْ ثَوْبِي وَإِلْبَاسِي
8 – مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ	لاَ يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
9 – دَعِ الْمَكَارِمَ لاَتَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا	وَاقْعُدْ فَأَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

شرح لغوي :

مريتكم : من مرى الناقة ، مسح ضرعها لتدرّ – **الدر :** اللبن – **الإبساس :** تهدئة الناقة عند الحلب – **المتح :** نزع الدلو وجذبها من البئر – **الإمراس :** وضع حبل البئر في البَكَرة بعد أن انزلق منها – **غيب أنفسكم :** ما تضمره لي أنفسكم من البغضاء – **الآسي :** الطبيب أو المداوي – **أزمعت :** عزمت وصممت – **النوال :** العطاء – **جار :** أراد به نفسه أي أنا جار – **الهون :** الذل – **الأرماس :** القبورُ – **القِرى :** الضيافة – **هرته كلابهم :** نبحت عليه – **الفارك :** المرأة المبغضة لزوجها – **الجوازي :** ج : جازية ، اسم مصدر للجزاء – **العرف :** المعروف والخير .

المطلوب :

حلل النص تحليلا أدبيا متبعا الخطوات التالية :

1 – تحليل النص إلى أفكاره الأساسية وشرحه .

2 – نقد أفكاره وعاطفته .

3 – نقد أسلوبه .

4 – استنباط أحكامه وقيمه .

تطوّر الهجاء وخصائصه

كان الهجاء من الأغراض التي عالجها الشعراء في مختلف عصورهم فانصبت حِمَمُهُ على الأفراد والقبائل والأحزاب التي هجوها .

وقد مر الهجاء عبر العصور بتطورات في الأفكار والأسلوب :

أ - من حيث الأفكار :

1 - في العصر الجاهلي : كان الهجاء في هذا العصر منصبا على كل ما يناقض مُثُلهم العليا التي تتلخص في كلمة « المروءة » الجامعة للشجاعة والكرم وحماية الجار ، والنجدة والأخذ بالثأر ، والْمَنَعَة والقوة والوفاء ، إلى علوّ الحسب وشرف النسب ، فإذا هجا الشاعر خصما ، فردًا كان أو قبيلة، سلبهم هذه الْمُثُل ووصمهم بضدها ، وذلك بفعل العداوة المنتشرة والغارات المستمرة والعصبية القبلية ، وأحيانا يتجاوزون تلك النقائص الخُلقية إلى الحديث عن نقائص في الخِلقة كالقِصر ودمامة الوجه أوكراهة الرائحة ، وكمثال عن هذا هجاء الحطيئة خلقته حيث قال :

أَبَتْ شَفَتَاايَ الْيَوْمَ إِلاَّ تَكَلُّمَا ... بِسُوءٍ ، فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ
أَرَى لِيَ وَجْهًا قَبَّحَ اللَّهُ خَلْقَهُ ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّح حَامِلُهْ

وكمثال عن هجاء الخصم بالتخلّي عن بعض القيم والمُثُل في الجاهلية قول أحدهم يذم المهجوّ بالغدر :

غَدَرْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَنْتَ اجْتَذَبْتَنَا ... إِلَيْهِ، وبِئْسَ الشِّيمَةُ الْغَدْرُ بِالْعَهْدِ

2 - في صدر الإسلام : لما جاء الإسلام نهى عن الشعر المعدود من أبواب الغواية كالهجاء الفاحش ، وسعى لإبطال العصبية القبلية ، والقضاء على المفاخر الجاهلية وحروبها في المعارك القتالية والكلامية ، وأخذ النبي ﷺ يدعو الشعراء المؤمنين إلى الرد على المشركين دفاعًا عن المبادئ السامية ، واجتمع شعراء المشركين في

صف ضد الشعراء المسلمين ، فتلاحمت المعارك الكلامية ، كما تلاحمت المعارك الحربية ، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

وكان أحسن من يمثل الهجاء في هذا العهد في صفوف المسلمين هو شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت (ض) الذي قال له الرسول: «اهجهم وروح القدس معك » أي يؤيدك جبريل ، وكان إذا سمع هجاءه في المشركين يقول ﷺ : « لَهَذا أشد عليهم من وَقْع النَّبل » فتصدى حسان للمشركين ، ومما قاله فيهم :

لاَ بَأْسَ بِالْقَومِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ ... جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلاَمُ الْعَصَافِيرِ

3 - **في العصر الأموي** : كان الهجاء في هذا العصر شبيها بالهجاء في الجاهلية من حيث التعرض لنساء الخصوم بالتعيير ، والنيل من أعراضهن أو من أخلاقهن ، يقول « جرير » في نساء « تغلب » قبيلة « الأخطل » نازعا عنهن حلاهن من عقل وحسب وجمال ودين وحياء :

نِسْوَانُ «تَغْلِبَ» لاَ حِلْمٌ وَلاَ حَسَبٌ ... وَلاَ جَمَالٌ ، وَلاَ دِينٌ وَلاَ خَفَرُ

وبنو أمية أحيوا العصبية القلبية التي حاربها الإسلام لدحض الفتن. فشجعوا الشعراء. لسان صحافة ذلك العصر. على إحياء النعرات الجاهلية ليشغلوا الناس بها عن الحديث في السياسة وأحقية الخلافة . وقامت بذلك النقائض بين جرير والفرزدق . وعاد الفخر والهجاء إلى أشد مما كانا عليه في الجاهلية . قال جرير قوله المشهور في الفرزدق :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

كما نشأت الأحزاب السياسية في هذا العهد ، وكان لكل حزب شاعر أو شعراء يدعون له وينافحون عنه ، وكان كلٌّ منهم ينتصر لحزبه ويهجو الحزب الآخر ، وتلك الأحزاب هي : حزب بني أمية الحاكم ، وحزب الشيعة ، وحزب الخوارج ، وحزب عبد الله بن الزبير . وهذه الثلاثة الأخيرة كانت ضد حكم بني أمية ، وهي تمثل المعارضة كما يقول المعاصرون . يقول الكميت [1] في انتصاره لآل البيت وهجاء بني أمية :

---

(1) هو الكميت بن زيد الأسدي متشيع لآل البيت (20 - 126 هـ) .

يَرَوْنَ لَهُمْ حَقاً عَلَى النَّاسِ وَاجِبَا ... سِفَاهَا ، وَحَقُّ الْهَاشِمِيِّينَ أَوْجَبُ

4 – **في العصر العباسي** : نشأ في هذا العصر لون جديد من الهجاء يقوم على ذم واستقباح ما آلت إليه الحياة الاجتماعية من ابتعاد عن السجايا العربية والقيم الإسلامية ، وذلك بعد أن طغت على العراق موجة الفرس بعد انتقال مقر الخلافة إلى بغداد ، فتأثر جمهور الناس بالعادات الجديدة الوافدة ، فقام الصراع بين الموالي والعرب ، ونهضت الشعوبية[1] ، وظهر الرقيق والجواري ، وشاع الشراب ، وغلبت التقاليد الفارسية ، فعاش العربي في جو جديد ، تنكّر له الشعراء المحافظون ونادوا بخطره ، قال أحد الشعراء شاكياً من تدهور الأخلاق :

نَحْنُ وَاللَّهِ فِي زَمَانٍ غَشُومٍ ... لَوْ رَأَيْنَاهُ فِي الْمَنَامِ فَزِعْنَا
يُصْبِحُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سُوءِ حَالٍ ... حَقٌّ مَنْ مَاتَ أَنْ يُهَنَّا

وقال آخر يذم العيش العسير ببغداد :

أَذُمُّ بَغْدَادَ وَالْمُقَامَ بِهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا خِبْرَةٍ وَتَجْرِيبِ
يَحْتَاجُ بَاغِي الْمُقَامِ بِهَا ... إلى ثَلاَثٍ مِنْ بَعْدِ تَرْتِيبِ
كُنُوزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ ... وَعُمْرِ نُوحٍ وَصَبْرِ أَيُّوبِ

أما بالنسبة لألوان الهجاء القديمة فقد أصبح هجاء الأعراض أكثر تجريحا لكن في غير تصريح بالألفاظ النابية كالماضي ، ولكنه ربما كان أقسى ، وأصبح أغلب هجاء الأخلاق يدور حول البخل في صور بشعة حين يمنع الشاعر من العطاء ، قال بشار بن برد في هجاء أحد خصومه بفجور زوجته :

أَتَيْتُ فُؤَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ ... فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزِّحَامِ

وابن الرومي يقول في قوم يهجوهم بخسّة أعراضهم :

صِلُونِي بِأَعْرَاضٍ لَكُمْ قَدْ تَمَزَّقَتْ ... تَمَزُّقَ أَطْمَارٍ[2] عَلَى ابْنِ سَبِيلِ

وفي هجاء البخل نجد ابن الرومي أيضا يصور مهجوّه « عيسى » أبلغ تصوير :

يُقَتِّرُ عِيسَى عَلَى نَفْسِهِ ... وَلَيْسَ بِبَاقٍ وَلاَ خَالِدِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ – لِتَقْتِيرِهِ – ... تَنَفَّسَ مِنْ مَنْخِرٍ وَاحِدِ

---

(1) تيّار من الموالي الفرس يعظمون شأنهم ، ويدعون لإحياء أمجادهم وينقصون من شأن العرب.
(2) أطمار : مفرده طمْر ، الثوب البالي .

أما الهجاء السياسي فقد فهمه الشعراء على أنه حماسة وفخر وهجوم . فلم يقذعوا في هجاء الأعداء في أعراضهم أو خلالهم الدنيئة كالجبن والبخل . وإنما كانوا يرمونهم بالكفر والإلحاد .

ومن الناحية الدينية ندد الشعراء بما حل بالأمة الإسلامية من انتشار الزندقة والمجون عند بعض الفئات . فهجوا أولئك الزنادقة في أساليب مقذعة تدق ناقوس الخطر ، قال الأصمعي[1] في « آل برمك »[2] بعد الإطاحة بهم :

إِذَا ذُكِرَ الشِّرْكُ في مَجْلِسٍ ... أَضَاءَتْ وُجُوهُ بَنِي بَرْمَكْ
وَإِنْ تُلِيَتْ عِنْدَهُ آيَةٌ ... أَتَوْا بِالأَحَادِيثِ عَنْ مَزْدَكْ[3] .

5 – **في عصر الضعف** : ضعف الهجاء كغيره من أغراض الشعر وألوان الأدب عموما في هذا العصر مضمونا وشكلا لتدهور الأوضاع، وهجاء شعراء عصر الضعف ربما كان أكثر إيلاما وتشخيصا لقبح الخصم، قال صفي الدين الحلي[4] في أحد مهجوّيه:

فَمُ « لِيَحْيَى » رِيحُهُ مُنْتِنٌ ... لَمْ يُرَ يَوْمًا مِثْلُهُ قَطُّ
لَوْ أَنَّهُ عَضَّ عَلَى فَأْرَةٍ ... لَعَافَ أَنْ يَأْكُلَهَا الْقِطُّ

كما شكا الشعراء في هذا العهد حالهم الاجتماعي المزري . وذموا الزمان وما يقاسون فيه من عيش ضنك ، قال أحدهم :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا عُمْرٍ عَجِيبٍ ... أُقَضِّي فِيهِ بِالأَنْكَادِ وَقْتِي
مِنَ الأَوْلَادِ خَمْسٍ حَوْلَ أُمٍّ ... فَوَا حَرَّاهُ مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّ

6 – **في العصر الحديث** : لما جاء هذا العصر تغيرت العادات وقام شعور جديد نحو العرْض والجار والجبن والبخل بقيادة زعماء الإصلاح . وأصبح هناك قانون يحمي الناس من الألسنة السليطة . ويردع من يثلب الأعراض . وبذلك صُرفت .

---

(1) شيخ رواة الأدب من قبيلة « باهلة » عاش في البصرة (123 - 216 هـ) .
(2) آل برمك : أسرة فارسية منها وزراء من أوائل قيام الدولة العباسية إلى خلافة هرون الرشيد الذي قضى عليهم سنة (803) م .
(3) مزدك : فارسي صاحب مذهب يجعل الحق في الأموال والنساء مشاعا ، مات مقتولا سنة (531) م .
(4) يعد في طليعة شعراء عصر الضعف ولد بالحلّة من مدن الفرات سنة 677 هـ وتوفي سنة 750 هـ (1349 - م) .

الناس إلى أمور أخرى بسبب صحوة الأدباء والعلماء . وخففت من الضيافة والسؤال وطرق الأبواب . وتحول الهجاء إلى نقد اجتماعي بناء . وان تناول أشخاصا فليس لذواتهم . وانما لمناصبهم التي تؤثر على كيان الأمة . ومن ذلك ما قاله الشاعر معروف الرصافي[1] في حكام بلاده إبّان وجود الاستعمار الإنجليزي :

وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ   تَرَاهُمْ سَادَةً وَهُمُ الْعَبِيدُ
كِلاَبٌ لِلأَجَانِبِ هُمْ وَلَكِنْ   عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أُسُودُ

وقال إسماعيل صبري[2] يهجو ويلوم أهل بلاده لاستكانتهم للاحتلال :

فَلَّ غَرْبِي[3] مَا أَرَى مِنْ نَوْمِكُمْ   وَرِضَاكُمْ بِوُجُودِ الاحْتِلاَلِ
لَمْ أَجِدْ فِيكُمْ فَتًى ذَا هِمَّةٍ   إِنْ عَدَا الدَّهْرُ عَدَا أَوْصَالَ صَالِ

ومن الناحية السياسية رسم الشعراء صورة قاتمة للغرب المستعمر دون أن يمسوا التاريخ والأنساب ، فنددوا بظلمهم وفضحوا وحشيتهم وقساوة قلوبهم ، قال أحمد شوقي[4] في قصيدته « نكبة دمشق » :

سَلِي مَنْ راعَ غِيدَكِ[5] بَعْدَ وَهْنٍ   أَبَيْنَ فُؤَادِهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ ؟
وَلِلْمُسْتَعْمِرِينَ وَإِنْ أَلاَنُوا   قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لاَتَرِقُّ
إِذَا مَا جَاءَهُ طُلاَّبُ حَقٍّ   يَقُولُ : عِصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا

وبعد احتلال اليهود لفلسطين تناول شعراء العرب شُذَّاذَ الآفاق بهجاء ساخر ، وسبوا من يدعمهم في بناء كيان لهم مستعار ، وكل ما كان من هذا الهجاء أنه كشف المظالم ، واستصرخ الضمائر ، ودعا إلى التآخي والعمل والوحدة .

ب - من حيث الأسلوب :

ربما كان أهم ما يلاحظ على الأسلوب من تطور يرجع إلى اختلاف البيئة وتطور الثقافة : فكان أسلوب الهجاء في صدر الإسلام وعصر بني أمية مشابها لأسلوب العصر

---

(1) شاعر عراقي ولد في بغداد سنة 1875 - م وتوفي سنة 1945 - م.
(2) شاعر مصري مُقلّ (1854 - 1923 - م) .
(3) فلّ غربي : كَسر سيفي .
(4) أحمد شوقي أمير الشعراء في العصر الحديث ، شاعر مصري (1868 - 1932 - م) .
(5) الغيد : مفرده غيداء . الشابة الناعمة الرقيقة .

الجاهلي لقرب هذين العهدين من البداوة ، وأما في العصر العباسي فقد تأثر الهجاء بالاحتكاك بالموالي ، فأصبح الأسلوب ممعنا في السخرية والتهكّم ، يرسم صورة مُشخَّصة للعيوب دون التصريح بالفحش في الألفاظ ، كما رأيت في الأمثلة المذكورة ، وتُختار - عموما - الألفاظ الموحية بالسخرية والاحتقار ، وفي العصر الحديث أصبح الأسلوب سهلا بسيطا يناسب ما وصل إليه الإنسان العربي من تحضّر ، وما بلغته اللغة من تطور وميل إلى البساطة .

خصائص الهجاء :

أ - في الأفكار :

الهجاء من فنون الشعر التي راجت منذ القديم ، قد يعين على تصور الحياة عند الأفراد وفي المجتمع ، يساعد على تأريخ بعض جوانب الحياة العربية حين يكون الشاعر صادقا ، والهجاء يهتم بتجسيد عيوب الخصم والتشهير به ، حتى يكون عرضة للازدراء ، وما قيل فيه يُنشد في كل مجلس وعلى كل لسان ، وأغلب ما يعرض له الهجاء من العيوب : لؤم النسب وتلوّث العرض ، والضعف ، والكذب ، والغدْر ، والجبن ، والبخل ، وإخلاف الوعد ، وخيانة العهد ، وما يشبه هذا من عيوب في الخلقة أو انحراف عن القيم .

وكثيرا ما يقترن الفخر بالهجاء عند القدماء ؛ فيقوم الشاعر بإسناد المكارم لنفسه وقبيلته ، ووصْم خصمه بالرذائل كما هو عند جرير والفرزدق .

وفي الشعر العربي ضروب من الهجاء تتمثل فيما يلي :

1 - الهجاء الشخصي ويتناول المهجو في عرضه ونسبه ، وفي خُلُقه وخِلْقته .

2 - الهجاء الديني ويعرض للعقيدة أو المذهب والدين .

3 - الهجاء السياسي وهو ينال من القبيلة أو الحزب أو السلطان .

ب - في الأسلوب :

أسلوب الهجاء يمتاز بألفاظ وعبارات شديدة الوقع ، قوية الأسر ، نارية

الإيلام ، موحية بالسخرية والازدراء ، وأحيانا يكون الأسلوب طريقة لرسم صورة كاريكاتورية للمهجو مثلما اشتهر بذلك ابن الرومي ، وخيال الشاعر في هجائه منتزع من بيئته البدوية أو الحضرية ، ومن ثقافته ، يستعين به على تشخيص رذائل الخصم وإضحاك الناس منه ، كما يعينه هذا الخيال على إبراز عاطفتي الكره والغضب اللتين تغلي بهما نفسه .

الفصل السابع

الـوصــف

1 – وصف اللّيل والفرس والصيد لِامْرِىءِ القَيس.
2 – فتح الفتوح لأَبي تَمَّام.
3 – وصف إيوان كسرى للبُحْتُري.
4 – وصف أسطول المعز لابن هَانِئ الأَندلُسي.
5 – جمال الكون وبدائعه لمحمود رمضان.
6 – تطور الوصف وخصائصه.

الوصـــف

تعـريـف :

الوصف هو الكشف عن حال الشيء وإظهارُه على ما هو عليه في الواقع ، أو على الصورة التي يتخيلها الشاعر لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به .

ويتنـاول الوصف سـائر الكائنـات ، وهي تكـون إمّـا داخليـة وإمـا خـارجيـة : فـالـداخليـة هي عـوامـل النفس الإنسـانيـة كالحب والكراهيـة والحـزن والسرور ... والخارجية هي ما خرج عن نطاق النفس وتجاوزها إلى سائر الموجودات .

وصف الليل والفرس والصيد

لامْـرىء الْقَيس

تمهـيد :



الشاعر هو حُنْدُج بن حُجْر الكنـدي (ملـك كنـدة) ، ولـد بنجـد في أوائـل القرن السـادس الميلادي من أصـل يمني ، وعـاش في صباه عيشـة أبنـاء الملـوك في ترف ولهـو ومجـون ، ولُقّب بـــامرىء القيس ، و « القيس » صنم كانـوا يعبـدونـه ، ولمجونـه ذاك وقرْضـه الشعر الإباحي أخرجـه أبوه عنـه ، فراح يجوب الآفاق في عصابة من رواد المتعة واللهو ، ولما قتلت قبيلة بَني أسـد أبـاه « حُجرا » وبلغـه نعْيُـه حلف على ألا يغسـل رأسـه ولا يشرب خمرًا حتى يـدرك ثـأر أبيـه وقـال : « ضيّعني صغيرا ، وحمّلني دمـه كبيرا ، لا صحو اليوم ، ولاسُكْر غـدا ، اليوم خمر ، وغـداأمر » ، وقضى بقيـة عمره في حرب ، ومحـاولـة لأخـذ الثـأر ؛ فـاستنجـد بالقبائل ، ثم بقيصر الروم ، ومات ميتة غامضـة أثنـاء عودتـه من رحلتـه إلى قيصر ، ودُفن « بأنقرة » وكان ذلك حوالّي سنة – 540 م .

ويعـد امرؤ القيس أمير شعراء العصر الجـاهلي ، ولـه ديوان شعر حـافل بـأغراض شتى كالغـزل والفخر والـوصف ، وفي عصر الشـاعر عُرفت قصـائـد جيـدة بـاسم « المعلقات » ، من أشهرها معلقة امرىء القيس التي تبلغ ثمانين بيتـا ، قـالهـا في حبـه

لابنة عمه « عنيزة » اشتملت على مناجاة الأطلال ، والحديث عن أيام لهوه ، وعلى وصف الليل والفرس والصيد وغيرها مما يحيط به في بيئته ، والنص التالي جزء من هذه المعلقة في الوصف :

النـص :

– أ –

1 – وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ	عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
2 – فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ	وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
3 – أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِ	بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
4 – فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ	بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

– ب –

5 – وَقَدْ أَغْتَدِي – وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا –	بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلأَوَابِدِ هَيْكَلِ
6 – مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ ، مُدْبِرٍ مَعًا	كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
7 – يَزِلُّ الْغُلاَمُ الْخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ	وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ
8 – لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ	وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

– جـ –

9 – فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ	عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاَءٍ مُذَيَّلِ
10 – فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ	دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
11 – فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ	صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

تحليل وشرح :

في هذه الأبيات وصفٌ يدور حول الطبيعة الحية والجامدة ، أجاد الشاعر تشخيصها ، لِما لها في حياته من علاقة وارتباط ، وقد اشتملت هذه الفكرة العامة على أفكار أساسية ثلاث :

أ – .وصف الليل ب – وصف الفرس – جـ – وصف الصيد .

أ – [**أرخى سدوله :** أرسل ومدّ ستوره – **ليبتلي :** ليختبر ويجرب – **تمطى**

بصلبه : تمدد بظهره - **أردف :** أتبع - **أعجازا :** ج عجُز : مؤخر الجسم - **ناء :** رزح وثقل - **الكلكل :** الصدر - **انجل :** - انكشف عن ضياء الصبح - **بأمثل :** بأفضل - **مغار الفتل :** الحبل المُحكَم الغزْل والشد] .

في القسم الأول من النص ركز الشاعر على وصف ليله ومعاناته النفسية فيه فقال : ورب ليل يحاكي أمواج البحر في توحشه ورهبته وتراكم ظلامه . أرخى عليّ ستوره السوداء مع أصناف همومه ليختبر ما عندي من الصبر لشدائد الدهر ، فقلت له - حين مد ظهره وازدادت أواخره طولا وثقلت أوائله - : انكشف أيها الليل عن ضياء صبح مشرق ، لكني تذكرت أن الصبح ليس أحسن منك ، فالهموم مستمرة ليلا ونهارا ، وإني أعجب من بطئك أيها الليل الطويل ! فكأن نجومك قد ربطت بحبال متينة إلى جبل يذبل ، فهي لاتتحرك من مكانها .

ب - [**أغتدي :** أذهب باكرا - **وكناتها :** ج وُكنة ، عش الطائر - **بمنجرد :** صفة للفرس القليل الشعر - **قيد الأوابد :** ذو تقييد للوحش - **هيكل** : ضخم - **مكر مفر** : صيغة مبالغة من سرعة الهجوم والرجوع - **الجلمود** : الحجر العظيم - **حطه السيل من عَلِ :** أسقطه من مكان عال - **يزل :** يسقط - **الخف :** الخفيف - **صهوات :** ج صهوة ، وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس ، استعمل الجمع للاتّساع - **يلوي :** من ألوى بالشيء : رمى به ، وهنا يطير بثيابه - **العَنيف :** من لا رِفْقَ له في ركوب الخيل - **المثقل :** الثقيل - **أيطلا ظبي :** خاصرتاه ، وخص الظبي لضمور أيطليه - **الإرخاء :** جري غير شديد - **سرحان :** الذئب - **تقريب :** ضرب من العدْو ويتمثل في توافق الرجلين واليدين في وضعهما - **تتفل :** ولد الثعلب] .

وفي القسم الثاني ينتقل امرؤ القيس إلى وصف فرسه الذي يبكر به للصيد قبل استيقاظ الطيور ، فيصوره في مشهد كأنه من مشاهد الرسم : فهو فرس أجرد سريع ، يقيد الأوابد والوحوش ، إذا انطلقت في الصحراء فإنها لاتستطيع إفلاتا منه ، وهو عظيم الألواح والجرْم ، شديد الحركة والسرعة كثير الكر والفر إذا أريد منه ذلك ، فالصفتان مجتمعتان فيه ، ثم شبهه في سرعته وصلابة خِلقته بجلمود صخر يهوي من ذروة جبل عال ، ولخفة حركته وسرعته لايستطيع الغلام الخفيف امتطاء صهوته ،

لأنه يرمي به بسرعة عدْوه وشدة اندفاعه ، وإذا ركبه ثقيل البدن المتشدد فلا يكاد يستقر على ظهره حتى تتطاير أثوابه ، ويوشك أن يطيح به ، كما أن هذا الجواد يمتاز برشاقة الجسم ؛ فخاصرتاه خاصرتا ظبي ، وساقاه ساقا نعامة قوية ، فإذا عدا فهو كالذئب ، يرخي قوائمه في غير عنف ، أو كالثعلب الذي يقارب بين يديه ورجليه في جريه .

جـ - [**عنّ** : ظهر - **سِرْب** : قطيع من البقر الوحشي - **نعاجه** : إناثه - **عذارى** : ج عذراء ، الشابة التي لم تتزوج - **دوار** : اسم صنم - **مُلاء** : ج مُلاءة ، ملحفة - **مذيّل** : ذات ذيول طويلة سوداء - **عادى** : بين الصيدين عَداء : والى وتابع الجري بينهما يصرع أحدهما بعد الآخر - **دراكا** : متابعة ، مصدر في موضع الحال ، أي مدركا - **لم ينضح** : لم يبتلّ بالعرق - **الطهاة** : ج : طاهٍ طباخ - **صفيف** : المصفوف على الحجارة ليُشوى - **قدير** : مطبوخ في القدر] .

وفي القسم الثالث يتحدث الشاعر عن صيده فيقول : إنه ظهر لنا - حين خرجنا إلى الصيد على هذا الفرس - قطيع من بقر الوحش ، أبيض الظهور ، أسود القوائم ، كأنّ إناثه فتيات أبكار يطفن حول (دوار) الصنم المعروف ، وقد لَبِسْنَ ملاحف ذات ذيول سوداء ، وانطلق فرسه جاريا بين ثور ونعجة مدركا إياهما فصادهما في طَلَق وشوط واحد ، ورغم جريه هذا فإنه لم يظهر عليه أثر التعب والإعياء ، ولم يعرق عرقا كثيرا يغسل جسده ، وبعد الحصول على الصيد انكب الطهاة يعدون الطعام ، بين شواء يُنضج على الحجارة ، ولحم يُطبخ في القدور ليسرع نضجه .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

ينتمي النص إلى غرض الوصف كما هو ظاهر ، وامرؤ القيس يأتي في طليعة الشعراء الوصّافين ، وكان له السبق في كثير من المعاني . قال أحد القدماء عنه : هو أول من قيّد الأوابد في قوله « قيد الأوابد » ومما انفرد به قوله في طائر العقاب :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وأفكار الشاعر في هذه الأبيات تبدو غير مترابطة وغير مرتبة ، وتلك ميزة الشعر القديم المعتمد على وحدة البيت ، فأنت تستطيع زحزحة بعض الأبيات عن مكانها دون أن يظهر خلل كبير في المعنى ، ومعاني الأبيات بسيطة واضحة لاتدعو إلى إعمال فكر وجهد في التأمل لفهمها .

ب - العاطفة :

تبدو عاطفة الشاعر متنوعة في هذا النص : فهي تفيض قلقا وتشاؤما حين يصف الليل وظلامه وطوله ، في حين تنطلق نفسه فرحة مفتخرة بالفرس الأصيل ، وصيده الثمين ، وهذا يدل على أن « المعلقة » التي منها هذه الأبيات جمعت ذكريات للشاعر في أوقات متفاوتة ، ولاشك أن الشاعر في عاطفته صادق : لأنه استطاع أن يجعل القارىء يتابعه ويتجاوب معه ، ولأنه يعبر عن تجربة ذاتية عاشها ، وخياله الواسع دليل آخر على قوة وصدق تلك التجربة .

جـ - الأسلوب :

أسلوب النص جزل قوي ، معبر عن المعاني في إيجاز ، وألفاظه وعباراته قوية موحية دقيقة ، تعبر عن إحساسه ، فمن ذلك مثلا : « تمطى » التي توحي بالطول مع الثقل ، و « ناء بكلكل » الدالة على مدى الضيق الذي يحس به ، وفي وصف الفرس يأتي بألفاظ تصف الخيل الكريمة مثل : « منجرد ، هيكل ، وأيطلا ظبي ، وإرخاء سرحان » فهي ألفاظ تحمل معاني القوة والسرعة والرشاقة ، وفي بعض الألفاظ خشونة وغرابة مثل : « كلكل ، جندل ، سرحان ، تتفل » لكنها في عصرها لاتعد غريبة .

ويغلب على النص الأسلوب الخبري المناسب للوصف ، وغرضه في القسم الأول إبداء القلق والضيق والحيرة التي يحس بها الشاعر ، وفي القسمين الثاني والثالث غرضه الأدبي الفخر بالفرس الكريم والصيد الوفير ، ولم يرد من أساليب الإنشاء إلا النداء في قوله : « أيها الليل الطويل » ، والأمر في « انجل » ويفيد التمني ، وفي : « فيالك من ليل ... » تعجُّب من طِول هذا الليل عليه بهمومه .

وأكثر ما يستوقفنا في الأبيات خيال الشاعر الخصب : فهو شخّص معانيه بكثير من الصور البيانية التي تفوق ثلاث عشرة صورة ، من تشبيه واستعارة وكناية : فمن التشبيه قوله : « وليل كموج البحر » ، فقد شبه الليل في ظلامه ورهبته بأمواج البحر ، وفي : « كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل » تشبيه جعل الليل في ثباته وطوله كأن نجومه مشدودة لهذا الجبل ، فلا تتحرك من مكانها ، وهذا يشخص ما في نفس الشاعر من قلق نفسي ويأس وملل ، وفي قوله : « له أيطلا ظبي » تشبيه خاصرتي الحصان بخاصرتي الظبي في الضمور والرشاقة . وهذا الأخير من ألوان التشبيه البليغ الذي أضيف فيه المشبه به إلى المشبه . ومن ألوان البيان كذلك الاستعارة في : « تمطى بصلبه » : فهو يتخيل الليل الممتد الطويل جملا يتمطى ، ثم حذف المشبه به (الجمل) وأبقى إحدى صفاته « تمطى » وهذا على سبيل الاستعارة المكنية ، ونفس الشيء يقال في : « أردف أعجازا ، وناء بكلكل » فهما استعارتان مكنيتان تعبران عن ازدياد أواخر الليل طولا وثقل أوائله ، وكل ذلك تشخيص لما في نفس الشاعر من غم وهم .

أما جانب البديع فهو أقل من البيان ، فمن المحسنات البديعية الطباق بين « الليل والصبح » « مكر مفر » « مقبل مدبر » وهو يوضح المعنى ويؤكده .

وقد استعمل الشاعر بحر « الطويل » الممتد التفعيلات المناسب للأغراض الجادة ، وأجزاؤه :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

الأحكام والقيم :

يبدو الشاعر من خلال النص مترفا لاهيا ، لكنه لايخلو من هموم وأحزان ، وهو خبير بالخيل وصفاتها ، نشيط يخرج للصيد مبكرا ، وله أصدقاء يقضي معهم بعض الوقت في اللهو والمتعة .

وفي النص بعض الإشارات الدالة على بيئة الشاعر ، منها خروج بعض الشبان اللاهين المرحين كامرئ القيس إلى الصيد ومعهم الطباخون ، ومنها بعض ظواهر الحياة الدينية في ذلك العصر ، من عبادة الأصنام وطواف العذارى حولها في ثياب

معينة ، وفي ذكر بعض الحيوانات ما يدل على معرفة الجاهليين بها ، وخاصة الحصان الموصوف بدقة ، فله دور هام في حياتهم في السلم والحرب .

تمارين تطبيقية :

1 – علام يدل البيت الثالث من حالة الشاعر النفسية ؟

2 – ما الصفات التي ذكرها امرؤ القيس لفرسه ؟ وأي هذه الصفات كان أكثر اهتماما بها ؟

3 – ما الذي أفادته لفظة « معا » في البيت السادس ؟

4 – تعرَّفْ على بعض ملامح البيئة في العصر الجاهلي من البيت الأخير .

5 – شخصية الشاعر مترفة لاهية قبل موت أبيه . دلّ على الأبيات التي تشير إلى ذلك .

6 – اذكر نوع الأسلوب الموجود في البيت الثاني ، وبين الغرض الأدبي منه .

7 – في النص صور بيانية كثيرة ، استخرج منها تشبيهين وكناية مما لم يرد في دراسة الأسلوب ،واشرحها وبين أثرهما في الكلام .

8 – قطع البيت الثالث ، واحفظ الأبيات الثمانية الأولى بأداء حسن .

فَـــتْحُ الفُتُـــوحِ
لأبِــي تَـمَّـام



أبو تمـــام الطائي



تمهـيد :

الشاعر هو حبيب بن أوس الطائي ، ولد بقرية « جاسم » قرب دمشق حوالي سنة 188 هـ ، نشأ فيها طفلا فقيرا ، ثم ارتحل مع أبيه إلى دمشق وعمل فيها عند حائك ، وبعدها قصد مصر ، وعمل سقاء في مسجد عمرو بن العاص ، مسترقا العلم من حلقاته ، فنبغ في قول الشعر حتى فاق شعراء زمانه ، ثم عاد إلى الشام ، ومنها ارتحل إلى بغداد واستقر بها ، وجاب أقطارًا إسلامية كثيرة كفارس والعراق والحجاز .

ذاع صيته أيام الخليفة « المعتصم » فقرّبه إليه ، وقال فيه قصائده الرائعة التي أرّخت كثيرا من الأحداث التي رافقت فترة حكمه « كفتح الفتوح » موضوع الأبيات التالية .

وللشاعر آثار أدبية ، منها ديوان شعر يجمع مختلف الأغراض المعروفة إلى زمانه .

كما خلف منتخبات شعرية أشهرها كتابا « الحماسة » و « فحول الشعراء » جمع فيهما روائع الشعر العربي في الجاهلية والإسلام .

ويروى أن « المعتصم » كان في مجلس ، فدخل عليه رسول قادم من الثغور المجاورة للروم ، وأخبره باعتدائهم على « زبطرة » إحدى المدن الإسلامية ، وذلك عام (223 هـ 837) ، وأسر الروم بعض أهلها من الرجال والنساء ، وأخبره باستغاثة وصراخ المرأة المسلمة القائلة : وا معتصماه !... » فثارت نخوته ، وهبّ من ساعته عازما على الثأر ، فجهز الجيوش ، وخرج على رأسها لحرب الروم قاصدا فتح « عمورية » حصن الروم ، وفيها ولد إمبراطورهم ، ولم يأبه « المعتصم » بتحذير المنجمين القائلين : إنّ الكتب تنبئنا بأن « عمورية » لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب ، وزحف الخليفة على « عمورية » ففتحها وأشعل النيران فيها ، وقتل آلافا من جنود الروم ، وقد شهد « أبو تمام » المعركة والفتح ، فطرب للنصر ، وخلّد ذلك في قصيدة رائعة منها هذه الأبيات :

النــص :

- أ -

1 - السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
2 - بِيضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُودُ الصَّحَائِفِ، فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلاَءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ
3 - وَالْعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً ... بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ ، لاَ فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

- ب -

4 - فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ
5 - فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشُبِ
6 - يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنْكَ الْمُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ

- جـ -

7 - لَقَدْ تَرَكْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخُشُبِ
8 - غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
9 - حَتَّى كَأَنَّ جَلاَبِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ ... عَنْ لَوْنِهَا ، أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

10 - ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَـةٌ مِنْ دُخَـانٍ فِي ضُحَى شَحِبِ

- د -

11 - لَمَّـا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تَـوْفَلَسٌ وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّـةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ
12 - وَلَّى وَقَـدْ أَلْجَمَ الْخَطِّيُّ مَنْطِقَـهُ بِسَكْتَـةٍ تَحْتَهَـا الأَحْشَـاءُ فِي صَخَبِ
13 - تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ جُلُـودُهُمْ قَبْـلَ نُضْـجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

- هـ -

14 - خَلِيفَةَ اللهِ، جَازَى اللَّـهُ سَعْيَـكَ عَنْ جُرْثُـومَـةِ الـدِّينِ وَالإِسْـلَامِ وَالْحَسَبِ
15 - بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَـالُ إِلاَّ عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

تحليل وشرح :

تعد قصيدة أبي تمام في فتح « عمورية » من روائع الشعر العربي في الحماسة ، والفكرة العامة لهذه الأبيات المختارة هي : وصف معركة « عمورية » ، تشتمل على أفكار أساسية خمسة هي :

أ - إشادة بالسيف وتكذيب المنجمين .

ب - نشوة الفرح بالفتح المبين .

جـ - وصف جانب من المعركة .

د - انهزام إمبراطور الروم وقتل آلاف من جيشه .

هـ - تضرع إلى الله ليجازي الخليفة عن جهاده .

أ - [**الكتب** : هنا كتب المنجمين - **في حده** : حد السيف مقطعه - **الحد** : الفصل بين الشيئين - **الصفائح** : ج صفيحة ، السيف العريض - **الصحائف** : ج صحيفة : القرطاس المكتوب - **متونهن** : ج متن ، ظهر الشيء ، وهنا جوانبهن - **جلاء** : كشف - **الريب** : ج ريبة الشك - **شهب** : ج أشهب ، هو شيء أبيض يخالطه سواد قليل ، وهنا الرماح - **الخميسين** : مثنى خميس ، وهو الجيش المكوّن من خمسة أقسام : المقدمة والمؤخرة ، والميمنة والميسرة ، والقلب - **السبعة الشهب** : هي الكواكب السبعة : زحل والمشتري والمريخ والشمس والقمر وعطارد والزهرة] .

استهل الشاعر قصيدته بتكذيب المنجمين والإشادة بالقوة والإعداد الجيد

للحرب ، فقال : إن أصدق الأخبار في الحرب إنما يأتي من السيف ، ففي شفرته ومقطعه فاصل بين الجد والهزل ، وجلاء الشكوك والظنون إنما يكون بظهور السيوف العريضة البيضاء ، لا في الصفحات المكتوبة السوداء ، والعلم اليقين ليس فيما يتكهن به المنجمون بنظرهم إلى الكواكب ، وإنما في الرماح الشهباء اللامعة بين الجيشين المكوّن كلّ منهما من خمسة أقسام .

ب - [**فتح الفتوح :** أعظمها - **تعالى :** عظم وكبر - **أبرادها :** ج بُرْد : الثوب - **القشب :** ج قشيب : الجديد - **الحفّل :** ج حافل ، من قولهم : ناقة حافل أي مجتمعة اللبن - **المعسولة :** الحلوة - **الحلَب :** اللبن المحلوب] .

ويعبر الشاعر في القسم الثاني عن ابتهاجه بالنصر العظيم ، فيقول : إنه فتح عظيم لا يمكن أن يُوفَّى حقّه من الْوصف ، وإن الشعراء والخطباء ليقفون عاجزين أمام روعته ؛ فهو فتح خالد طربت له السماء ففتحت أبوابها دليل الرضى ، وأغدقت مطرا أحيا الأرض ، فازّيّنت بثوب أخضر قشيب ، وبرزت كما تبرز العروس المتأنقة ، وفي هذا اليوم العظيم تحقق النصر للمسلمين ، فعادت أماني الجيش المجاهد ممتلئة الضروع بأشهى من الحليب الممزوج بالعسل .

جـ - [**غادرت :** تركت - **بهيم الليل :** الليل الشديد الظلام - **يشله :** يطرده - **الجلابيب :** ج جلباب ، الثياب الواسعة - **الدجى :** ج دُجية : الظلمة - **رغبت عن ... :** ضد رغب في ... - **عاكفة :** مقيمة لم تنصرف - **شَحِب :** متغير اللون] .

وفي القسم الثالث ينتقل أبو تمام إلى تصوير مدينة « عمورية » تحت وطأة الحريق الذي ترك المدينة طعاما للنار ، فما فرّقت بين الخشب والصخر ، لقد تساوت لديها الأشياء ، فالتهمتها سائغة وطرحتها ذليلة ، إنها نار عظيمة أضاءت الليل فتركته كالضحى ، لكنه صبح من النار الهائلة ، إنها صورة رائعة ؛ فالليل راغب عن لونه ، وكأنه زهد في جلبابه الأسود ، إن الضياء يوهم الناس بأن الشمس مازالت طالعة ، أو أنها لم تغب بعد ، لقد تداخلت الأضواء والألوان ؛ فالنار تضيء في وقت تحدق فيه الظلمة بكل شيء ، والنار نفسها ميدان للصراع بين سواد الدخان وتوهج اللهب ، إن

الإنسان ليحتار من هذا التناقض ، فالشمس كأنها طالعة وهي لم تطلع ، وكأنها غاربة وهي لم تغرب بدليل ما هنالك من ضياء .

د ـ [**توفلس** : (تيُوفِيلُوسْ) إمبراطور الروم – **الحرَب** : الهلاك والخسران – **الصخب** : شدة الأصوات واختلاطها ، والمقصود هنا أن الخوف كفّ لسانه عن النطق وأزعج أحشاءه فسُمع لها صوت شديد – **الشُرى** : مأسدة جانب نهر الفرات يضرب بها المثل] .

وينتقل الشاعر في القسم الرابع إلى ذكر هزيمة إمبراطور الروم وجيشه ، فيقول : إن « توفلسا » لما رأى احتدام المعركة وأبصر نتائج الحرب المشتقة من الهلاك والخسران – ولّى وتراجع بعد أن أسكت الرمح لسانه فزعا وخوفا ، فنطقت أحشاؤه ، وسُمع لقلبه صوت وجلبة ، أما جيشه فقد مات منه آلاف ، ونضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب الذي قال المنجمون : إنه وقت انتصار الخليفة .

هـ – [**جرثومة الدين** : أصله – **الحسب** : شرف الأصل ومفاخر الأجداد – **بصرت بالراحة الكبرى** : علمت بالجنة التي فيها الراحة الكبرى] .

ويختم الشاعر هذه الأبيات بالدعاء للمعتصم أن يجازيه الله خير الجزاء على جهاده في سبيل الله لحماية الإسلام والمسلمين وأعراضهم ومآثر أجدادهم ، ويقول له : إنك بصير عليم بأن الجنة موطن الراحة الكبرى لاتُنال إلا بالتعب والجهاد في سبيل جعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ – الأفكار :

النص ينتمي إلى غرض الوصف ، وهو غرض قديم كما عرفت ، لكن أبا تمام زاوج بين الفكر والزخرف في وصفه هذا ، وجاءت أفكاره عميقة ، فيها غوص في ادعاء المنجمين وفي عظمة النصر المتاح للمسلمين ، وما فعله جند الله جهادا في سبيل الإسلام وحماية المسلمين ، والأفكار نراها متعانقة مترابطة ؛ فهو يستهل الحديث

بمقدمة عن نصيحة المنجمين الكاذبة للخليفة ، ثم يشيد بالفتح العظيم ، ويصف حريق المدينة المفتوحة ، ويذكر هزيمة الإمبراطور وهلاك جيشه ، وأخيرا يختم بالدعاء للخليفة ، وهذا الترابط بين أجزاء القصيدة يجعلها متلاحمة تكوّن وحدة شعورية واحدة رغم تعدد العناصر ، كما أن هناك تجديدا في افتتاح قصيدته بالإشادة بالقوة ، وفي الاستنكار والتنديد بالتنجيم والمنجمين ، فقد خالف بذلك مألوف عادته ، ومألوف مَن مضوا قبله من الشعراء ؛ إذ كانوا يستفتحون قصائدهم بالوقوف على الأطلال وبالغزل .

ب - العاطفة :

نلاحظ في النص أن عواطف الشاعر تتمثل في سخطه على المنجمين والسخرية من رأيهم ، وفي فرحه وابتهاجه بالفتح ، وتقديره وتعظيمه لشأن الخليفة ، ومن خلاله يعظم شأن جنود الله المجاهدين في سبيله ، فهذه العواطف هي التي أملت على الشاعر قصيدته الرائعة ، وهي صادقة قوية ، يتجاوب معها القارىء ؛ لأن الشاعر كان يعبر بصدق عن تجربة عاشها .

جـ - الأسلوب :

يمتاز النص بحسن اختيار الشاعر للألفاظ والعبارات الملائمة للأفكار ، الموحية بالمعاني التي عبرت عنها ؛ ففي إبراز عظمة الفتح وقيمته أتى بالألفاظ : « فتح الفتوح ، تعالى ، القشيب » وفي تصويره لحريق « عمورية » استعمل الألفاظ الموحية بالخراب والدمار مثل : « ذليل الصخر ، اللهب ، النار ، الظلماء » وفي هزيمة الأعداء استخدم ألفاظا وعبارات تناسب فزع رئيسهم وموت جنده مثل : « الحرب ، ألجم الخطي منطقه ، الأحشاء في صخب ، نضجت جلودهم » وفي مخاطبة الخليفة وتقديره له استعمل : « خليفة الله ، جازى الله سعيك ، بَصُرت بالراحة الكبرى » .

ومقام الشاعر في هذه الأبيات مقام الواصف ، لذا لم يحتجْ إلى الأسلوب الإنشائي إلا قليلا ، ونتيجة لذلك غلب عليه استعمال الأسلوب الخبري الذي تنوّعت أغراضه

البلاغية بتنوع عواطفه ؛ ففي القسم الأول كان غرضه التهكم والسخرية من رأي المنجمين ، وفي الأقسام : الثاني والثالث والرابع كان غرضه الاعتزاز والفرح بالنصر وبهزيمة « توفلس » وجنده ، وفي البيت الأخير كان غرض الأسلوب الخبري تقدير وتعظيم شأن الخليفة المدافع عن حرمة الإسلام الساعي للجنة بالجهاد .

أما الأسلوب الإنشائي القليل فورد في قوله : « يايوم وقعة عمورية » وفي : « أمير المؤمنين » ، و « خليفةَ الله » نداء للفت انتباه القارىء أو السامع ، ويلاحظ حذف حرف النداء في الأخيرين .

ولتأكيد الشاعر كلامه أتى بأساليب مختلفة من القصر ؛ ففي قوله : « في حده الحدِ » كان القصر بتقديم الخبر على المبتدإ ، وفي : « العلم في شهب الأرماح لامعة لا في السبعة الشهب » كان بالعطف « بلا » ، وفي الشطر الثاني من البيت الأخير كان بالنفي والاستثناء ، وفي ذلك كله تحديد للمعنى وتقوية له .

وحين نريد الحديث عن خيال الشاعر وطريقته في الصناعة ، نجد أن أبا تمام يميل إلى الإكثار من التشخيص والتجسيم بالصور البيانية ، وإلى الإكثار من المحسنات البديعية ، وهو في ذلك صاحب اتجاه في الشعر سُبق إليه من بعض الشعراء قبله ، لكن هذا الاتجاه اكتمل عنده وبرز أكثر في شعره ، وفي الأبيات تكثر الصور وتتعدد ، لكننا نكتفي بالإشارة إلى أنواع منها وأمثلة عنها ، ونترك للطالب شرحها وبيان أثرها في تشخيص المعنى ؛ فمن التشبيه : « غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى » وفي البيت التاسع تشبيهان ، ومن الاستعارة : « السيف أصدق أنباء » « تفتح أبواب السماء له » « تبرز الأرض في أبرادها القشب » « يوما ذليل الصخر والخشب » ومن الكناية : « فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم ... » « تفتحُ أبواب السماء له ، وتبرز الأرض ... » .

والشاعر مولع بالبديع ، وهو مذهبه الذي يدعو إليه ، ويرى فيه حلية وجمالا يضفيان على المعاني والأسلوب لطافة ومتعة ، ويأتي هذا البديع على يديه جميلا رشيقا ، يلوّنه وينوّعه ؛ فمن ذلك التصريع في البيت الأول بين « كتب ولعب » وذلك بمثابة السجع في النثر ، ومن الجناس التام : « حده الحد » ومن الجناس الناقص : « الصفائح الصحائف ، والحرْب والحرَب » ومن الطباق « الجد واللعب ،

وبيض وسود » وتبدو المقابلة في الشطر الثاني من البيت الرابع ، إلى غيرها من أساليب البديع التي تحفل بها القصيدة ، والتي أدت دورا هاما في تقوية المعنى ، وتجميل وإحداث نغم موسيقي في الأسلوب .

والوزن الذي اختاره الشاعر مناسب لغرض الوصف بنغماته الممتدة ، وهو بحر البسيط وأجزاؤه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

د - الأحكام والقيم :

تبدو في الأبيات بعض الملامح عن شخصية الشاعر ، فهو ذو ثقافة إسلامية لا يولي اعتباراً للتنجيم وأهله ، لأنه يعتقد أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، و « كذب المنجمون ولو صدقوا » وأن النصر من عند الله ، كما يبدو أنه ذو اطلاع واسع على بعض جوانب الثقافة العلمية السّائدة في عصره كحديثه عن (السبعة الشهب) التي هي من علم الفلك .

كما يكشف النص عن الخصائص الفنية لأبي تمام ، من دقة الفكرة وعمق المعنى ، وجودة التصوير ، والإسراف في استعمال المحسنات البديعية ، حتى اشتهر بين شعراء العربية بأنه من شعراء المعاني ، وأنه شاعر الألوان والزخرف .

وفي النص إشارة إلى بعض ظواهر بيئة الشاعر في العصر العباسي ، وهو انتشار التنجيم واهتمام الناس بآراء المنجمين وخرافاتهم المضللة ، كما يشير النص إلى جهاد المسلمين في سبيل الله لرد العدوان الرومي عن الدولة الإسلامية .

تمارين تطبيقية :

1 - اعتمد الشاعر في أبيات المجموعة « أ » على المقارنة لتوضيح فكرته . اشرح ذلك .

2 - استطاع أبوتمام في المجموعة « ب » أن يظهر عظمة فتح عمورية بيّن تلك العظمة .

3 - انثر بأسلوبك الأبيات التي تصور حريق « عمورية » .

4 - ما الصورة التي رسمها الشاعر لإمبراطور الروم في فراره وهزيمته ؟

5 - بم دعا الشاعر لخليفة المسلمين ؟

6 - تضمّن البيت الأخير معنى يشير إلى حكمة اذكرها .

7 - خذ بيتا من القسم الأول ، وبيتا من القسم الثاني ، وعين نوع الأسلوب والغرض الأدبي منهما .

8 - ذكرتْ في دراسة الأسلوب أمثلة عن التشبيه والاستعارة والكناية ، فاختر مثالا عن كلٍ منها ، واشرحهَ ، واذكر أثره في المعنى .

9 - في البيت السادس صورة بيانه مأخوذة من البيئة الطبيعية لعرب الصحراء . وضحها .

10 - استخرج من الأبيات (5 ، 8 ، 10) المحسن البديعي الموجود بكلٍ منها ، واشرح أثره في المعنى .

11 - رسم الشاعر لوحة رائعة عن حريق « عمورية » ، وضح ملامح هذه اللوحة ، ثم حاول أن ترسمها بيدك على لوحة خاصة .

12 - احفظ الأقسام الثلاثة الأولى بأداء حماسي جيد ، ثم قطع البيت الأول

مقال أدبي :

في عيد الاستقلال وقفت لتلقي كلمة تُشيد فيها بصمود الشعب الجزائري في المعارك الضارية التي خاضها ضد العدو ، وتمجد كفاح الأبطال واستبسالهم ، وتهنّىء الأمة بالنصر ؟ فماذا تقول ؟

وصف إيــوان كسْـرَى

للبُحْتُرِي

تمهــيد :



البُحتري

أبـو عبـادة الـوليـد بن عبـد اللـه الطّـائِيّ ، شـاعر عربي صميم ولـد بِمَنْبِجَ سنة 206 هـ ونشأ في البادية بين قبـائل طَيّء وغيرهـا ، فغلبت عليـه فصـاحـة العرب .

سـافر إلى بغـداد فَلَقِيَ أبـا تَمّـام ، ولَـزِمَـه حتى تخرج على يـديـه ، واقتبس طريقتــه في البــديــع ، وظـل يترسم خُطَاهُ ، وَيُرَدِّدُ صَدَاهُ ، وأبو تمام يُرْشِـدُهُ ويعاونه ، لأنه طـائيّ مثلـه ، حتى قـال لـه يـومـا : « أنتَ واللّـه يَـابُنَيَّ أميرُ الشُّعَرَاء غَدًا بَعْدِي » ، فصدّق الله نُبوءَته . وأصبح البحتري بعـد وفـاة أبي تمـام سـائرَ الشعر ، طَائِرَ الذكر ، إمَامًا في الأدب والقَرِيض .

اتصل في بغداد بابن الزيات وزير الخليفة الواثق فمدحـه ، كما اتصل بـالمتوكل بن الواثق ، فمدحه أيضا . ولما أصبح المتوكل خليفةً عاش البحتري في كنفه وكنف وزيره الفتح بن خَاقَـان . وبقي يحظى بحفـاوتها وكرمهما سِتَّ عَشْرَةَ سنـة ، غير أن الشـاعر شهد مقتلهما فحزن عليهما حزنا شديدًا .

توفي البحتري سنة 284 ، وقدترك لنا ديوانًا ضخما وكتاب الحماسة الـذي يضم بين دَفّتَيْهِ مختاراتٍ من شِعْرِ نَحْوِ سِتّمِائَةِ شاعِرٍ أكثرهم من الجاهليين والمُخَضْرَمِين .

من غُرَرِ شعر البحتري في الوصف القصيدة التي وصف فيها إيوان كسرى . وقد دفعه إلى زيارة هذاالإيوان رغبته في أن يخفف عن نفسه آلام خطوب نزلت به ، فقام برحلة إلى المدائن ، عاصمة الفرس القديمة ؛ وكانت أطلال إيوان كسرى لاتزال قائمة بها . والأبيات التي نقترحها عليك مقتطفة من هذه القصيدة :

النص :

– أ –

1 – صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي ... وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ
2 – وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْـ ... ـرُ الْتِمَاساً مِنْهُ لِتَعْسِي وَنَكْسِي

– ب –

3 – حَضَرَتْ رَحْلِيَ الْهُمُومُ فَوَجَّهْـ ... ـتُ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ عَنْسِي
4 – أَتَسَلَّى عَنِ الْخُطُوبِ ، وَآسَى ... لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ
5 – أَذْكَرَتْنِيهِمُ الْخُطُوبُ التَّوَالِي ... وَلَقَدْ تُذْكِرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي

– جـ –

6 – فَكَأَنَّ الْجِرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ ... ـسِ وَإِخْلاَقِهِ بَنِيَّةُ رَمْسِ
7 – لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي ... جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَماً بَعْدَ عُرْسِ

– د –

8 – فَإِذَا مَارَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا ... كِيَّةَ[1] ارْتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ
9 – وَالْمَنَايَا مَوَاثِلٌ ، وَأَنُوشِرْ ... وَانَ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ
10 – فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللِّبَاسِ، عَلَى أَصْـ ... ـفَرَ ، يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسِ
11 – وَعِرَاكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ ... فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرْسِ
12 – مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِي بِعَامِلِ رُمْحٍ ... وَمُلِيحٍ مِنَ السِّنَانِ بِتُرْسِ
13 – تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا ... ءٍ ، لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خُرْسِ
14 – يَغْتَلِي فِيهِمُ ارْتِيَابِيَ حَتَّى ... تَتَقَرَّاهُمُ يَدَايَ بِلَمْسِ

---

(1) صورة أنطاكية : صورة معركة جرت قرب مدينة أنطاكية الواقعة شمال سوريا سنة 540 م . انتصر فيها الفرس على الروم

تحليل وشرح :

هذه أبيات مختارة من أعظم قصائد البحتري جودةً ، فكرتُها العامّة هي : وصف إيوان كسرى ، تندرج ضمنها عدة أفكار أساسية هي :

أ - تَجَلُّد الشاعر وتَرَفُّعه عن الدَّنَايا .

ب - رحلته إلى إيوان آل ساسان للتسلي .

جـ - وصف إجمالي لإيوان كسرى .

د - وصف مُفَصّل لصورة معركة أنطاكية .

أ - [- **جدا** : عطاء - **جبس** : جبان ، لئيم - **تعسي** : هلاكي - **النَّكْس** : قلب الشيء وجعل أعلاه أسفله ، والمراد : الإذلال والسقوط] .

يقول الشَّاعِر : إنني حفظت نَفْسِي من كل سوء يدنسها ، وتعاليت عن عطاء كل لئيم جبان ، فأنا لست من الذين يستسلمون للهزيمة ، فقد صَبَرْتُ وَتجَلَدْتُ حين نزل عَلَيَّ الدهرُ بهمومه وخُطوبه يريد إذْلاَلِي وَيَلْتَمِسُ هَلاكِي .

ب - [- **رحلي** : كل شَيْءٍ يُعَدُّ للرحيل - **عَنْسِي** : ناقتي - **الحظ** : النصيب من الخير أو الشر] .

وفي الفقرة الثانية يقول : إن الهموم التي نزلت عَلَيَّ دفعتني إلى السفر إلى أبيض المدائن ، أَتَسَلَّى عن سوء حظي ، أحزن لما آلت إليه ديار آل ساسان من زوال آثارها وتَهَاوي أطلالها . وإن الخطوب التي تلاحقت عَلَيَّ هي التي ذَكَّرتني بهم وأعادت سِيَرَتَهم إلى ذهني . فالخطوب من شأنها أنها تذكر بأمور وتُنْسِي أمورًا .

جـ - [- **الجرماز** : البناء العظيم - **إخلاق** : فساد - **بَنِيـة رمس** : مبنى القبر - **مأتم** : مجتمع الناس في حزن] .

وفي الفقرة الثالثة يصف الشاعرُ الإيوان وصفا مُجْملا ، فهو يشبه - بسَبب شدة اندثاره - أبنيةَ القبور التي مضت عليها عهود طويلة : فلو وقف عنده الإنسان لعلِمَ أن الدّهر جعل منه مَحَلاً للبكاء والعويل ، بعد أن كان مقرًّا للفرحة والسرور .

د - [- **ارْتعت** : خفت - **يـزجي** : يـدفـع - **الـدّرفس** : العلم الكبير - **ورس** : نبـات أصفر يُصْبَـغ بــه - **إغمــاض جرس** : في صـوت منخفض - **مشيـح** : حـذر - **مليـح** : متيقظ - **يغتلي فيهم ارتيـابي** : يشتـد شكي في حقيقة المحاربين - **تتقرى** : تتتبع] .

وفي الفقرة الأخيرة يقول : إذا نظرت إلى صورة معركة أنطاكية ، التي دارت بين الروم والفرس ، أصابك الفزع : فهي بصورة ناطقـة تمثل فيهـا كل مظـاهر القتـال : ففيهـا ترى المنـايـا متحفزة لخطف الأرواح ، وكسرى أنو شروان يقود الجيـوش تحت الرايـة الكبرى ، وقـد لبس ملابس خضراء وهـو يعتلي جـوادًا أسـود يتحرك مـزهـوا بكسوته الصفراء المصبوغة بالورس ، ويدور العراك بين يـديـه : ويبـدو رجـالـه وهم يقاتلون أعداءهم ، وهيئتهم توحي بأنهم صامتون جادّون لهول المعركة وشـدتهـا . وكان بعض هؤلاء الرّجال يهوي بصدر رمحه نحو العدوّ في جدٍّ وحَـذَرٍ ، وكان بعضهم الآخر يحتمي بترسه من ضربات خصومه .

إنك إذا تأملت هذه الصورة خُيّل إليك لشدة إبداعها أن الأشخاص الذين تبرزهم حقيقيون ، بيد أنهم يتفاهمون بـالإشـارة كالخُرْسِ ، ثم يـستمر الشـاعر فيقول : عنـدمـا كنت أتـأمل هـذه الصـورة البـديعـة ، اشتـد شكي في حقيقتهـا : أهي رسم أم مشـهـد لعِرَاك حقيقي ؟ فدفعني هذا الشك إلى تتبع أجزائها بيدي ألمسـها .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

هـذه الأبيـات مقتطفـة من سينيـة البحتري التي كانت منـذ القـديم محل إعجـاب الأدباء والنُّقَّاد . ففيها قـال ابن المُعْتَزّ : « لو لم يكن للبحتري إلاّ قصيـدتـه في إيوان كسرى لكان أشْعَرَ النـاس » . وقـد اعترف لـه مؤرخو أدبـه ، بقـدرتـه على الوصف ، وقالوا إنّه أجود شعره .

وعندما نتأمل هذه الأبيات ندرك أنها آية في الإبداع ، فالشّاعر فيها لايقف عند حدود التصوير الخارجي ، بل يصف إحســاسـه وشعوره إزاء مـا يصف ، فهو يشرك عينيه وقلبه في وصف ما يريد .

وتشتمل الأبيات على عدة أفكار بسيطة ، فبعد افتخاره بإبائه وتَرَفُّعِه عن دَنَايا الأفعَال ، تحدث عن سبب خروجه في رحلة إلى آثار المدائن ، ثم شرع في وصف أطلال إيوان كسرى وصْفا إجْمَالِيًّا ، ثم خَلَص إلى وصف صورة معركة أنطاكية بتتبع جزئياتها . وتبدو طريقة الشاعر في عرض أفكاره ومعانيه متاشية وفق خطة منطقية يظهر منها حسن الارتباط والتسلسل .

وقد استمد البحتري معانيه من وحي الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والمنطق ، ولذلك نجدها قريبة المنال خالية من العمق .

والنص يعكس بَعْض مظاهر تطور غرض الوصف في العصر العباسي . فقد تناول موضوعًا جَديدًا ، فالبحتري أول من تناول الآثار بهذه الطريقة ، فالذي ألفَ العربُ أن يصفوه هو أطلال ديار الأحبة التي لاتَعْدُو الأثافي ، وبقايا المواقد المهجورة .

وقد تأثر بهذه القصيدة أمير شعراء العصر الحديث أحمد شوقي فعارضها بقصيدة على وزنها وقافيتها مطلعها :

اخْتِلاَفُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي ... اُذْكُرَا لِي الصِّبَا وَأَيَّامَ أُنْسِي

العاطفة :

نستشف من خلال النص قوة عواطف الشاعر وصدقها ، فاعتزازه بنفسه وإباؤه للذل،وتحسره لما أضحى يعاني منه من هموم وحظوظ سيئة،وتصميه على الثبات في وجه الشدائد بائن في الفقرتين الأولى والثانية . وتأسفه لِمَا آل إليه إيوان كسرى من اندثار ظاهرٌ في الفقرة الثالثة . وأما إعجابه بالرسم وانْبهَارُهُ بِهِ فَمُتَجَلٍّ في الفقرة الأخيرة .

جـ - الأسلوب :

اقْتَفَى البحتري خَطْو أبي تمام في الشعر ، ومضى على أثرهْ في العناية بالبديع . ثم صارت له طريقة خاصة في الجزالة والعُذُوبة والفصاحة .

ولعل أهمَّ ما يميز أبيات هذا النص احتفاء الشاعر فيها باختيار الألفاظ المؤدية للإيحاءات التي يريد أن ينفذ بها إلى الأذهان ، وبانتقاء الكلمات المعبرة بدقة عن الجو

النفسي الذي يرغبُ أن ينقله إلى غيره ، فكلمة (ترفعت) توحي بمعاني التعالي والابتعاد ، وكلمة (تماسكت) تطفح بمعاني الصبر والتجلد والثبات ، وكلمة (زعزعني) توحي بقوة الصدمة وَعُنْفِها .

وقد أراد البحتري أن يضفي على قصيدته نغمة حزينة ، فاستعان ، لتحقيق ذلك ، بعدد وافر من الألفاظ التي تشتمل على حروف الصَّفير (السين والصاد والزاي) ، لاحظ الفقرتين الأُولَيَيْن مثلا ، تجِدْ أن حروف الصفير لا تكاد تخلو منها كلمة واحدة . ونُسَجِّل للبحتري فضلَ السَّبْقِ إلى هذا ؛ لأن اختيار كلمات تشتمل على حرف أو حروف معينة لإثارة مفعول محدد لدى القارىء ، أصبح اليوم عند بعض كتاب القصص أمرًا مألوفًا .

ومما نلاحظه هنا ، هو خُلُوّ النص من الألفاظ ذات الحروف المتنافرة ، وحسن تركيب العبارات ، مما يجعل أبيات النص تَنْسَاب على اللسان انسيابًا موسيقيا عذبا .

وفي النص صور بيانية متعددة نشير إلى بعضها ونترك لك المجالِ للبحث عن بعضها الآخر . فقد وردت عدة استعارات منها قول الشاعر (زعزعني الدهر) وهي استعارة مكنية ، جعل الدهر إنسانًا يهُزّ ويزعزع . كما ورد تشبيه مستوفي الأركان في البيت السادس ؛ حيث شبه الجرماز بأبنية قبور ، ووجه الشبه هو الإخْلاَق والوحشة ، أما أداة التشبيه فهي (كأن) .

زهد البحتري في هذا النص في استعمال المحسنات البديعية فهو شاعر مطبوع لايتكلف . وما ورد فيه من طباق في : (تذكر – تنسي ، مأتم – عرس) جاء تلقائيا اقتضاه سياق الكلام .

وموسيقى النص شجية مؤثرة تعاونت عدة عوامل على تحقيقها أهمها اختيار البحر الخفيف له وزنا ، وحرف السين رويا ، وأجزاؤه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

د – الأحكام والقيم :

تبدو بعض ملامح شخصية البحتري من خلال النص ، فهو فنان يتذوق الرَّسْم

ويتأثر به ، مُنْصِف غير متعصب ؛ فلم يمنعه حُبُّه لبني قومه من إعجابه بآثار حضارة الفرس .

يشير النص إلى طريقة تخليد الفرس قبل الإسلام لانتصاراتهم ، واهتمامهم بفن الرسم والنقش ، ويسجل تفاصيل الرسم بحيث يعرفنا بأدوات الحرب وأزياء الجند والرّايات وثوب القائد وكُسْوَة جواده ...

تمارين تطبيقية :

1 - بماذا يفتخر البحتري في مطلع النص ؟

2 - لماذا توجه إلى إيوان كسرى دون غيره عندما نكبه الدهر ؟

3 - كيف وصف الجرماز في الفقرة الثالثة ؟

4 - أعجب الشّاعر بصورة أنطاكية . علام يدل ذلك ؟

5 - أكتفى الشّاعر بالوصف الخارجي الموضوعي أم مزج وصفَهُ بانفعالاته وأحاسيسه ؟

6 ـ ما الجديد في هذا النص فكرة وأسلوبًا ؟

7 - استخرج استعارة من الفقرة (ب) واشرحها .

8 - مارأيك في أثر حرف الروي على جو النص وموسيقاه ؟

9 - عرف الناس - في عصر الشاعر - السياحة وزيارة الآثار . علام يدل ذلك ؟

10 - سميت قصائد البحتري بسلاسل الذهب ، فعلام تدل هذه التسمية ؟

11 - قطع البيت الأول وأبرز تفعيلاته .

12 - احفظ الأبيات السبعة الأولى .

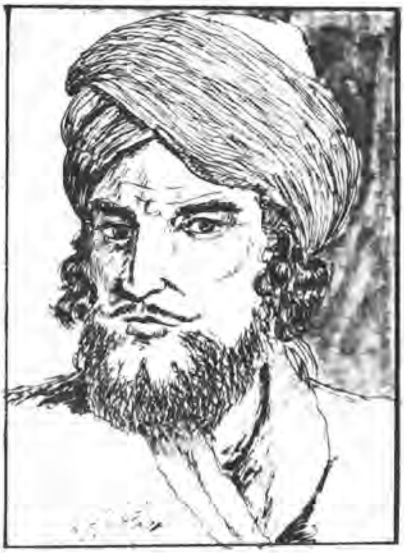
13 - حاول أن ترسم لوحة (معركة أنطاكية) بريشتك حسب تصّورك لها .

14 - مَن مِن شعرائنا المعاصرين عارضه ؟ وعلام تدلّ تلك المعارضة ؟

وصَف أسطُول المعزّ

لابن هَانىء الأنْدلُسي

تمهـيد :



أبو القاسِم محمد بن هانىء الأندلسي شاعر ممتاز ولد في (إشْبيلِيَةَ) سنة 326 هـ ونشأ في أحضان طبيعتها الجميلة ، وتزود بثقافتها الغزيرة ، وظهر ميلُه إلى الأدب فحفظ كثيرا من شعر العرب . واتصل بحاكم إشبيلية ومدحه وبالغ في ذلك ، كعادته في كل شعره ، حتى اتهمه الناس بالكفر ، وحاولوا قتله ، ففر إلى شمال إفريقية واتصل بجَوْهَر الصّقِلّي ، ثم بالمعز لدين الله الفاطِميّ ، فقرّبه إليه واتخذه شاعرًا له ، ولما دخل المعز مصر استأذنه في التخلف لإحضار أسرته واللّحاق به . لكنه قتل سنة 362 هـ . وقد أوردت كتب الأدب والتاريخ روايات مختلفة عن ظروف مقتله .

والنص الآتي أبيات مختارة من قصيدة طويلة نظمها الشاعر في مدح المعز لـمّا جاءته رسائل من الروم يتضرعون إليه ملتمسين منه الصلح :

الـنـص :

– أ –

1 – لَكَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ الْعَظِيمُ عُبَابُهُ فَسِيَّانِ أَغْمَارٌ تُخَاضُ وَبِيدُ

- ب -

2 - أَمَا وَالْجَوَارِي الْمُنْشَآتِ الَّتِي سَرَتْ ... لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
3 - قِبَابٌ كَمَا تُزْجَى الْقِبَابُ عَلَى الْمَهَا ... وَلَكِنَّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودُ
4 - أَنَافَتْ بِهَا أَعْلاَمُهَا وَسَمَا لَهَا ... بِنَاءٌ عَلَى غَيْرِ الْعَرَاءِ مَشِيدُ
5 - مِنَ الرَّاسِيَاتِ الشُّمِّ لَوْلاَ انْتِقَالُهَا ... فَمِنْهَا قِنَانٌ شُمَّخٌ وَرُيُودُ
6 - مِنَ الطَّيْرِ إلاَّ أَنَّهُنَّ جَوَارِحٌ ... فَلَيْسَ لَهَا إلاَّ النُّفُوسَ مَصِيدُ

- جـ -

7 - وَمَا رَاعَ مَلْكَ الرُّومِ إلاَّ اطِّلاَعُهَا ... تُنَشَّرُ أَعْلاَمٌ لَهَا وَبُنُودُ
8 - عَلَيْهَا غَمَامٌ مُكْفَهِرٌّ صَبِيرُهُ ... لَهُ بَارِقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودُ
9 - مَوَاخِرُ فِي طَامِي الْعُبَابِ كَأَنَّهَا ... لِعَزْمِكَ بَأْسٌ أَوْ لِكَفِّكَ جُودُ
10 - مِنَ الْقَادِحَاتِ النَّارَ تُضْرَمُ لِلصَّلَى ... فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ خُمُودُ
11 - إِذَا زَفَرَتْ غَيْظًا تَرَامَتْ بِمَارِجٍ ... كَمَا شَبَّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقُودُ

- د -

12 - أَلاَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبْذُلُ كُلَّ مَا ... تَضِنُّ بِهِ الأَنْوَاءُ وَهْيَ جُمُودُ
13 - فَلاَ غَرْوَ أَنْ أَعْزَزْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ ... فَأَنْتَ لَهُ دُونَ الأَنَامِ عَقِيدُ



تحليل وشرح :

هذه مجموعة من الأبيات مقتطفة من إحدى قصائد ابن هانىء الأندلسي المطولة . تناول فيها وصف أسطول المعز لدين الله الفاطمي . أفكارها الأساسية هي :

- سيطرة الْمعزّ على البر والبحر .
- عظمة أسطول المعز .
- التغني بشدة فتك الأسطول .
- بذل وتضحية في سبيل الله .

أ - [- **العباب :** ارتفاع الموج واصطخابه - **أغمار :** جمع غمر وهو الماء الكثير - **بيد :** جمع بيداء وهي الصحراء] .

في مستهل النص يمدح الشاعر المعز لديْن الله ويخاطبه قائلا : لقد ملكت البر بجيوشك القوية ، وسيطرت على البحر بأساطيلك العظيمة حتى استوى عندك خوض أمواج البحر وقطع الفيافي .

ب - [**الجواري المنشآت :** السفن المرفوعة القلاع - **ظاهرتها:** عاونتها - **عدة :** سلاح وذخيرة - **عديد :** كثرة الجند - **قباب :** جمع قبة : المراد بالأولى السفن وبالثانية الهوادج - **تزجى :** تُساق - **الْمَهَا :** جمع مهاة : بقر الوحش ، والمراد الغواني الحسان - **أنافت :** علت وارتفعت - **الرَّاسيات الشم :** الجبال العالية - **قنان :** جمع قُنَّة وهي أعلى الجبل - **شمخ :** جمع شامخة أي عالية - **رُيُود :** جمع رَيْد القطعة البارزة في عرض الجبل] .

ثم يمضي في الفقرة الثانية إلى وصف أسطول المعز بإبراز وجوه العظمة فيه ، فيقول : أقسم بأساطيلك التي تمخر العباب ، رافعة قلاعها في عزة وكبرياء إنك زودتها بما يكفل لها النصر من سلاح وعساكر . فهذه السفن تبدو عالية كالهوادج وكأنها قباب نصبت للغواني الحسان عند الرحيل . ولكنها تضم رجالا أشداء يضاهون الأسود في شجاعتهم . وتظهر، وقد ارتفعت بها أعلامُها، كأنها بناء عال شُيِّد عل غير الأرض العارية ؛ فهي كالجبال الشامخة عُلُوًّا غير أنها تتحرك على صفحة البحر ، وتتنقل من

مكان إلى آخر ؛ فمنها ما هو شامخ عالٍ ومنها ما يبرُز عظيماً وكأنه قطعة من جبل عتيد . وهي جميعا كالطيور الجارحة تنقض على أعدائها انقضاضًا سريعا ، ولا ترضى من الصيد إلاّ بنفوس الأعداء .

جـ - [**راع :** أخاف وأفزع - **اطلاعها :** ظهورها - **غمام :** سحاب والمقصود هنا الدخان - **صبير :** سحاب أبيض متجمع والمراد : الدخان الأبيض - **جمة :** كثيرة - **طامي العباب :** كثير الموج - **القادحات :** المشعلات - **الصّلى :** مقاساة حَرّ النار - **خمود :** انطفاء - **زفرت :** أخْرَجت نَفَسا حارًّا - **مارج :** شعلة من النار] .

وفي الفقرة (جـ) يتحدث الشاعر عن فزع الروم فيقول : لقد استولى الهلع على ملك الروم حين رأى سفن المعز الضخمة التي ترفرف على صَوَارِيها أعلام صغيرة ورايات كبيرة . ثم يصف مناورة الأسطول في المعركة ويبين قدرته على ضرب العدو ؛ فقد علاه دخان قاتم مكفهر ، تخترقه قذائف المجانيق الملتهبة في دويّ شبيه بدوي الرعد ... إنّ سُفُنَه تشق البحر العظيم في قوة كأنها عزم المعز وقوته ، وفي سرعة انسياب كأنها كرمه وسخاء راحته . تهاجم أسطول العدو وتقذف عليه بقذائف نارية تحدث دويا كأنه زفير الجحيم .

د - [- **تضن :** تبخل - **الأنواء :** الأمطار - **الأنام :** الناس - **عقيد :** معاهد] .

وفي الفقرة (د) يُخَاطِب الشاعر ممدوحه قائلا : إن كل ما تبذله من جهد في إعداد العُدّة القوية والعدد الوفير ، وما تتكرم به ممالا تجود بمثله الأمطار ، إنما سَخَّرْتَهُ في سبيل إعلاء كلمة اللّه وإعزاز دينه فأنت دون سائر الناس قد عقدت العزم على نصرة الدين والذود عن حماه .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

تندرج هذه الأبيات ضمن غرض الوصف الذي شاع لدى الشعراء العرب منذ

الجاهلية . وقد تناول فيها الشاعر وصف أسطول المعز لدين الله الفاطمي . أفكارها الأساسية هي : مدح المعز ووصف أسطوله قبل وأثناء المعركة ، وإشادة بصاحب الأسطول وأعماله في سبيل الذود عن الإسلام وإعزازه .

وأفكار النص - على العموم - تخضع لترتيب وتدرج مقبول غير أننا نلاحظ استقلال كل بيت بمعنى محدد ، في الفقرتين الثانية والثالثة ، بحيث نستطيع أن نقدم بعضها ونؤخر بعضها الآخر دون أن يختل المعنى .

وفي بعض معاني النص بعض الابتكار والجدة ، أما البعض الآخر فطروق سبق الشعراء[1] إلى تداوله . وهي في معظمها قريبة التناول ، لاَعُمْقَ فيها لأنها تعالج نقل حقائق مشاهدة .

ونلاحظ أن الشاعر يُعنى باللفظ أكثر من عنايته بالمعنى ، فيعتمد الألفاظ الكثيرة الجَلَبَة ، وهذا ما جعل أبا العلاء المعري يقول حين سمع شعره : « وما أُشبّهه إلاّ برَحًى تَطْحَنُ قُرونا لأجل القَعْقَعَةِ في ألفاظه » .

العاطفة :

تغلب على النص عاطفة الإعجاب وعاطفة الاعتزاز ؛ فالشاعر معجب بالمعز لدين الله الفاطمي معتز بقوته وسيطرته على البر والبحر ، ونصرته للإسلام .

الأسلوب :

حشد الشاعر في أبياته هذه طائفة من الألفاظ الجزلة القوية الملائمة لجو النص مثل : (العظيم - أغمار - بيد - ظاهرتها - أسود - عدة وعديد - مكفهر - رعود - بأس ..) ؛ وهي ألفاظ موحية بمعاني العظمة والقوة وهول القتال ، مناسبة لوصف أسطول حربي يخوض غمار البحر الأبيض لمطاردة الأعداء .

وعبر عن معانيه بعبارات حسنة السَّبْك في معظمها ، غير أن بعضها يبدو أنه لا

(1) تناول وصف السفن عدة شعراء منهم بشار بن برد ومسلم بن الوليد وابن الرومي وأبو نواس .

طائلَ تحته ، لاتزيد المعنى شيئًا . فقوله : (من الطير إلاّ أنهن جوارح) كان يمكن أن يستغني عنها بلفظة : جوارح . وقوله (وهي خمود) لا تزيد المعنى شيئًا .

وقد غلب استعمال الأسلوب الخبري ، لأنه يلائم غرض الوصف .

وقد استعان الشاعر،على توضيح أفكاره وتجلية معانيه،بالصُّور البيانية كالتشبيه في البيت الثالث،حيث شبه السّفن التي رفعت أشرعتها بالهوادج التي تُقِلّ السيدات الحسان ، ووجه الشبه هو الضخامة والعلو ، وهنا نلاحظ أن وجه الشبه في المشبه به أضعف منه في المشبه ، وهذا عيب من عيوب التشبيه ، وفي البيت الخامس وفق الشاعر في إبراز ضخامة سفن الأسطول ومتانتها في آن واحد عندما شبهها بالجبال الراسية،والقنان الشامخة،والريود الصلدة .

وفي البيت السادس يبرز مدى سُرعة السفن في حركتها على أمواج البحر وانقضاضها على الأعداء . وفي قوله : (ومَنْ ضُمّت عليه أسود) تشبيه مبتذل . وكالكناية ، في الشطر الأول من البيت الأوّل ، عن اتساع ملك المعز وقوة سلطانه . والاستعارة التصريحية في البيت الثامن حيث شبه الدخان المنعقد فوق الأسطول بالغمام الأسود المتراكم : وحذف المشبه وصرح بالمشبه به . وفي النص صور بيانية أخرى ، عليك بالوقوف عليها وشرحها .

ويبدو تأثر الشاعر بأسلوب القرآن الكريم ، فقد اقتبس منه قوْلَه (أما والجواري المنشآت) من الآية الكريمة : « وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنْشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ »[1] وقد استعمل كثيرًا من الألفاظ القرآنية مثل : الصُّلَى - زفرت غيظا - مارج - نار الجحيم - وقود .

وفي النص بعض المحسنات البديعية مثل الطباق بين : البر والبحر والجناس الناقص بين عدة وعديد .

ومما أضفى على النص نَغَمًا موسيقيا حماسيا استعَانة الشاعر بالبحر الطويل المناسب لمواضيع الحماسة ، ووصف مشاهد الحرب ، ومدح الزعماء ، وَزْنًا لقصيدته . واختيار حرف نِطْعِيٍّ[2] شديد رَوِيًّا لها .

---

(1) الآية 24 من سورة الرحمن .

(2) النِّطع : مقدم سقف الفم ، والحروف النطعية هي (ط ، د ، ت) .

د - الأحكام والقيم :

يشير هذا النص إلى ارتباط الأدباء والشعراء بحياة مجتمعاتهم وتفاعلهم مع أحداث عصرهم ، وتسجيلهم لتاريخ أمتهم ، كما يشير إلى اهتمام الأندلسيين منهم بالوصف وإجادة التصوير واستقصاء جوانب الموصوف .

كما نجد فيه بعضَ ملامح الشاعر فهو من الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم ، لذلك نجده يلجأ إلى المبالغة في تعظيم الممدوح مباشرة ، ومن خلال وصف عُدّته وعدده .

وللنّصّ قيمة تاريخية حيث يشير إلى المعارك البحرية التي كانت تندلع بين المسلمين والروم ، كما يشير إلى نوع الأسلحة المعتمدة وَقْتَئِذٍ كالمجانيق والقذائف النارية وغيرها .

وينتمي النص إلى الوصف الاستطرادي لأن الشاعر اتخذه مطية لمدح المعز .

تمارين تطبيقية :

1 ـ اشرح الفقرات الثلاث الأولى بأسلوبك الخاص .

2 - نعت الشاعر السفن بعدة أوصاف . اذكرها .

3 - ذكر الشاعرُ أن أسطول المعز تهيأت له كل أسباب النصر . اشرح ذلك وحدد من النص الأبيات التي تضمنته .

4 - في البيت الثالث استدراك . فما غرضه ؟ وما الداعي إليه ؟

5 - ما رأيك في معاني النص من حيث الجودة والجدة والعمق ؟

6 - كيف تجد عاطفة الشاعر من حيث القوة والضعف ؟ علل .

7 - أَوَصْفُ الشاعرِ مقصود لذاته أم هو مَطية لمدح المعز ؟

8 - تتبع الصور البيانية غير المشروحة وبين نوعها وناقشها .

9 - لاحظ العبارتين :

- لك البر والبحر العظيم عبابه .

- البر والبحر العظيم عبابه لك .

في أي العبارتين يوجد أسلوب القصر ؟ وما أثر تقديم (لك) في المثال الأول على المعنى والنغم الموسيقي ؟ .

10 - في البيت الحادي عشر ألفاظ قرآنية فما هي ؟
11 - لقب ابن هانىء بمتنبي المغرب . ما رأيك في هذا ؟
12 - قال المعز لدين الله لما بلغه خبر مقتل ابن هانىء : « لا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله ! هذا الرجل كنا نَرْجُو أن نُفَاخِرَ بِهِ شُعَرَاء المشرق فلم يُقَدَّر لنا ذلك » فعلام يدل هذا التأسف ؟
13 - قطع البيت (12) .
14 - احفظ أبيات المجموعتين (جـ و د)

بحث أدبي :

العصر العباسي هو العصر الذهبي للأدب العربي في المشرق وفي المغرب (الأندلس) تحدث عن عوامل ازدهار الشعر وخصائصه في هذا العصر .

المراجع :

أمراء الشعر في العصر العباسي . . . . أنيس المقدسي
الفن ومذاهبه في الشعر العربي . . . . شوقي ضيف
تاريخ الأدب العربي . . . . حنا الفاخوري

جمـــال الكون وبدائعه

لحمود رمضان

تمهـيد :



ولـد « حمـود رمضـان » سنـة 1906 بمـدينـة « غردايـة » ونشـأ في أسرة محافظـة ، حفـظ القرآن الكريم ،وبـدأ تعلمه بالمـدارس الفرنسيـة في « غيليزان » حيث كانت تجارة أبيه ، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رحل إلى تونس ، وهناك تنقل بين عـدة مـدارس ، وأخيرا التحـق بجـامع الـزيتـونـة ، ولكن مـدة إقـامتـه بتـونس لم تتجـاوز عـامين ونصفـا ، عـاد بعـدهـا إلى مـسقـط رأسـه ، وانكب على المطـالعـة الحرة بـاللغتين العربيـة والفرنسيـة : فتكـون أدبيـا وفكريـا ، وراح يشـارك بقلمـه في إصـلاح المجتمـع ، باندفاع وحماس الشبـاب ، ولكن مرض السل الـذي داهمـه وهو تلميـذ بتونس ، أودى بحياته سنة 1929 . . .

خلف حمود كتابين : « بـذور الحيـاة » و قصـة « الفتى » التي تعتبر سيرة ذاتيـة ، بـالإضـافـة إلى مجموعـة من المقـالات التي نشرهـا في جريـدتي « الشهـاب » و « وادي ميزاب » .

كان الشاعر كثيرا ما يلجأ إلى الطبيعة يبثها أشجـانـه ، ويتـأمل فيهـا صنع اللـه الذي أتقن كل شيء ، والأبيات التالية مختارة من قصيدة طويلة يتـأمل فيهـا الشـاعر آيات الله ، ودلائل عظمته في الكون .

النـص :

1 - انْظُرْ إلَى الْكَوْنِ الْبَدِيعِ بِنُورِهِ وَظَلاَمِهِ وَسُكُونِهِ الرُّوحَانِي
2 - وَجِبَالِهِ الْمُرْسَاةِ فَوْقَ مُتُونِهِ تُبْدِي جَلِياً قُوَّةَ الرَّحْمَن
3 - وَسُهُولُهُ مُمْتَدَّةٌ ، وَمُرُوجُهُ خَلاَّبَةٌ بِتَنَاسُقِ الأَلْوَانِ
4 - وَالشَّمْسُ عِنْدَ شُرُوقِهَا مِنْ مَهْدِهَا فِي الْجَوِّ تَائِهَةً مِنَ الدَّوَرَانِ
5 - تَكْسُو الطَّبِيعَةَ مِنْ خُيُوطِ لُعَابِهَا ذَهَبَ الأَصِيلِ تَحِيَّةَ الْوَلْهَانِ
6 - وَالْقُبَّةُ الزَّرْقَاءُ تَحْسِبُ أَنَّهَا بَحْرٌ خِضَمٌّ وَاسِعُ الأَرْكَانِ
7 - فِيهَا النُّجُومُ تَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهَا كَالْوَرْدِ أَوْ كَالزَّهْرِ فِي الْبُسْتَانِ
8 - انْظُرْ إلَى تِلْكَ الْعَجَائِبِ وَافْتَكِرْ فِي كُنْهِهَا وَبِغَايَةِ الإِمْعَانِ
9 - انْظُرْ إلَى آيَاتِهَا ، وابْحَثْ تَجِدْ لاَبُدَّ لِلتَّنْظِيمِ مِنْ سُلْطَانِ
10 - لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَوْنِ رَبٌّ وَاحِدٌ فَسَدَ النِّظَامُ وَكُلُّ ذا الْعُمْرَانِ

تحليل وشرح :

1 - ما هي الفكرة العامة للنص ؟
2 - قسم النص ، واجعل لكل قسم عنوانا .
3 - اشرح الألفاظ التالية معتمدا على القاموس :
المرساة ، متونه ، الأصيل ، الولهان ، كنهها .
4 - طلب الشاعر من القارىء التأمل في الكون البديع . ما هي بدائعه التي ركز عليها وأولاها أهمية ؟
5 - من بدائع الكون الشمس . بم وصفها « حمود » ؟
6 - تحدث الشاعر عن السماء وما فيها من نجوم . فبم شبهها ؟
7 - ينصح الشاعر بالتأمل في تلك العجائب . لماذا ؟
8 - بِمَ استدل الشاعر على وحدانية الله تعالى؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

1 - ما هو غرض النص ؟ وما هدف الشاعر منه ؟ وكيف تراه فيه : مقلدا أمْ مجددا ؟ علل .

2 – تبدو الأفكار واضحة . ما تعليلك لذلك ؟
3 – بيْن الأفكار والمعاني ترابط وانسجام . برهن على ذلك .
4 – كيف ترى الأفكار من حيث البساطة والعمق ؟
5 – عظمة الخالق بادية في مخلوقاته . اذكر ما أورده الشاعر منها .

ب – العاطفة :

– ما نوع عاطفة الشاعر في النص ؟ وما مدى قوتها وصدق قائلها ؟ علل ذلك .

جـ – الأسلوب :

1 – ألفاظ وعبارات النص واضحة بسيطة ، في بعضها إيحاء . اذكر ما توحي بها الألفاظ التالية : سكونه الروحاني ، تناسق الألوان ، ذهب الأصيل ، تفتقت أكامها .

2 – يغلب على النص الأسلوب الخبري . ما هو الغرض البلاغي من الأبيات (4 ، 6 ، 11) ؟

3 – الأسلوب الإنشائي قليل . استخرج ما ورد منه في النص ، وبين نوعه وغرضه الأدبي .

4 – في الأبيات قليل من الصور البيانية ، تأمل الأبيات : (2 ، 5 ، 6) واستخرج منها تلك الصور ، وحدد نوعها ، واشرحها ، وبيّن أثرها في المعنى .

5 – استخرج من النص لونا بديعيا ، واذكر أثره في المعنى .

6 – استعمل الشاعر بحر الكامل الممتد في تفعيلاته المناسبة للأغراض الجدية . قطع البيت الأخير ، وعيّن تفعيلات الوزن .

د – الأحكام والقيم :

1 – استغل الشاعر وصف الطبيعة لينبّه إلى وحدانية الخالق ، علام يدل ذلك ؟
2 – في النص قيمة دينية ماهي ؟

☆ ☆ ☆

☆ احفظ الأبيات كلها بأداء جيد .

نصان للموازنة

أ – مرحبًا يَا رَبيع

للشَّاعر الشَّهيد الرَّبيع بُوشَامة

تمهيد :



ولد « الربيع بوشامة » سنة 1916 بقرية « قنزات » ولاية سطيف ، ونشأ في أسرة فقيرة محافظة على تقاليدها الإسلامية ، فحفظ القرآن الكريم ، وأتم دراسته الابتدائية ، وانتقل إلى قسنطينة سنة 1937 فتتلمذ على الإمام ابن باديس ، ثم عاد إلى قريته ، بعد مرض الإمام مرض الوفاة ، واستأنف بها دراسته .

واشتغل بالتدريس في مدارس جمعية العلماء ، فعلّم بخراطة أنّى ألقي عليه القبض في حوادث ثامن ماي 1945 ،وزج به في السجن ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم صدر العفو في حقه ، وإثرها انتقل إلى العاصمة ، وواصل التدريس في مدارسها ، فعلم في مدرسة « الهداية » بحي العناصر ، ثم في مدرسة « الثبات » بالحراش ، حيث كان بها معلما ومديرًا .

وبعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1954 ، انضم إلى صفوفها وأبدى نشاطا وإخلاصا في خدمتها ، مما جعل الثورة تكلفه ، مع بعض إخوانه ، إعادة تنسيق نسيج الثورة في العاصمة بعد تفككه سنة 1957 ، وفي 17 جانفي 1959 ، ألقي عليه القبض ، وأخذ إلى معتقل « بودواو » وفي 14 ماي 1959 نفذ فيه حكم الإعدام ، وأضيف اسمه إلى قائمة شهداء حرية الجزائر .

وللشهيد شعر كثير، أغلبه نشر في جريدة « البصائر » والأبيات التالية مختارة من قصيدة طويلة قالها بمناسبة جولة مدرسية قام بها تلاميذ مدرسة « الثبات » :

النـص :

1 - مَرْحَبًا يَا رَبِيعُ طِبْتَ مَزَارًا بَعْدَ بَيْنٍ مُبَرِّحٍ وَشُجُونِ
2 - غَابَ مُذْ غِبْتَ كُلُّ أُنْسٍ وَحُسْنٍ وَاكْتَسَى الْكَوْنُ وَحْشَةَ ٱلْمَحْزُونِ
3 - عَادَ إِذْ عُدْتَ لِلْوُجُودِ جَمَالٌ وَجَلاَلٌ وَكُلُّ طِيبٍ وَلِينِ
4 - قَدْ أَتَى لاسْتِقْبَالِكَ ٱلْيَوْمَ وَفْدٌ مُكْرَمٌ زَاكِي ٱلْحِسِّ جَمُّ الحَنِينِ
5 - مِنْ صِغَارٍ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ عِطَاشٍ كَالْعَصَافِيرِ أُطْلِقَتْ مِنْ سُجُونِ
6 - حَبَّذَا عِيشَةُ الصِّبَا وَالرَّبِيعِ ٱلْغَضِّ فِي السَّهْلِ وَٱلرُّبَى وَٱلْحُزُونِ
7 - إِيهِ بِاللَّهِ يَارَبِيعُ حَدِيثَ النُّورِ والزَّهْرِ وَٱلْهَوَى الْمَدْفُونِ
8 - أَنْتَ لِلْكَوْنِ رُوحُ أُنْسٍ وَحُبٌّ مِنْكَ دُنْيَا الصَّفَا وَأَحْلَى مَعِينِ
9 - عَلَّ فِي قُرْبِكَ الهَنِيءِ شِفَاءً لِكَئِيبٍ يَشْقَى بِصَرْفِ ٱلْمَنُونِ

شـرح لـغـوي :

بينٍ مبرح : فُرقة مُشقية مُجهدة - **شجون** : هموم وأحزان - **زاكي الحس** : طاهر طيب - **جم** : كثير - **معين** : الماء الجاري - **صرف المنون** : نوائب الدهر.

ب - في مولد الربيع

للشاعر الشهيد عبد الكريم العقون

تمهيـد :



ولد « عبد الكريم العقون » سنة 1915 ، بقرية « برج الغدير » ولاية « برج بوعريريج » وفيها نشأ ، وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى تعلمه الأولي ، وفي سنة 1933 انتقل إلى قسنطينة ، فتلمذ على الإمام ابن باديس ، مدة ثلاث سنوات ، ثم رحل إلى تونس ، ودرس في جامع الزيتونة ما يقرب من ثلاث سنوات كذلك .

وعند بداية الحرب العالمية الثانية رجع إلى الوطن ؛ لينخرط في سلك التعليم الحر ، فعلم بمدرسة « الفلاح » بحي صالح بوعكوير ، بالجزائر العاصمة ، ثم انتقل إلى مدرسة المرادية ؛ حيث كان بها معلما ومديرا ، وإماما لمسجدها .

ولما اندلعت ثورة نوفمبر الخالدة 1954 ، انخرط في صفوفها ، وكُلِّف أمانة صندوق المال ، بمنطقة المرادية ، وزيادة على ذلك كانت له صلة وثيقة بالفدائيين ، إذ كان يؤويهم ، وينسق بينهم ، ويساهم في تكوين خلاياهم ، وفي فجر يوم 15 جانفي 1959 ، اقتحم جنود الاحتلال بيته ، وساقوه إلى سجن « الكورنيش » بباب الوادي - نادي الضباط حاليا - وفي 13 ماي 1959 ، نفذ فيه حكم الإعدام ، وأضيف اسمه إلى قائمة الشهداء الأبرار .

وللشاعر ديوان مخطوط لم يطبع بعد ، والأبيات التالية مختارة من قصيدة يتحدث فيها عن إعجابه بقدوم الربيع وسحره البديع .

النص :

1 – قَدْ بَدَا الْبِشْرُ مِنْ مُحَيَّا « الرَّبِيعِ » فَازْدَهَى الْكَوْنُ بِالْجَمَالِ الْبَدِيعِ
2 – وَالرَّوَابِي قَدْ أَسْفَرَتْ عَنْ وُجُوهٍ زَانَهَا مَنْظَرُ الْجَمَالِ الْوَدِيعِ
3 – اكْتَسَتْ بُرْدَهَا الْقَشِيبَ وَتَاهَتْ فِي دَلاَلٍ مُحَبَّبٍ لِلْجَمِيعِ
4 – وَغَدَتْ تَسْحَرُ النُّفُوسَ بِوَشْيٍ نَاطِقٍ بِجَلاَلِ سِرٍّ مَنِيعِ
5 – حَبَّذَا مَوْكِبُ الرَّبِيعِ تَهَادَى سَبَقَتْهُ آمَالُنَا لِلطُّلُوعِ
6 – وَشَذَى حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ يَغْزُو كَ بِعَرْفٍ مِنَ الرُّبَى وَالْفُرُوعِ
7 ـ وَالْفَرَاشَاتُ حَائِمَاتٍ عَلَى الزَّهْرِ يُدَاعِبْنَ ثَغْرَهُ فِي وَلُوعِ
8 – وَالْقَطِيعُ انْتَشَى بِلَحْنٍ شَجِيٍّ قَدْ تَغَنَّى بِهِ رُعَاةُ الْقَطِيعِ
9 – كُلُّ مَا فِي الرَّبِيعِ زَاهٍ بَدِيعٌ يَجْلُبُ الصَّفْوَ لِلْحَزِينِ الْجَزُوعِ

شرح لغوي :

منيع : عزيز شديد لا يُقْدَر عليه – **تهادى** : تمايل – **شذى** : قوة الرائحة – **بِعَرف** : برائحة – **وَلوع** : تعلّق شديد – **انتشى** : بدا سُكْره ، وهنا الارتياح النفسي – **شجي** : مهموم حزين وهو صفة مشبهة من الشجا .

المطلوب :

وازن بين النصين السابقين أفكارا وأسلوبا على غرار الموازنة التي أجريت بين نصي جرير والفرزدق .

تطـــور الــــوصف

1 – العصر الجاهلي :

– عرف غرض الوصف منذ الجاهلية حيث استرعت مظاهر الطبيعة المختلفة انتباه الشاعر ، فراح يصفها معجبا بها أو متأثرا ، ولعل ما مال إلى وصفه أكثر ، هو ما كان له صلة وثيقة بحياته في الصحراء : مثل الناقة التي تَعاقَب كثير من الشعراء على وصفها ، أشهرهم طَرَفَة بْنُ العَبْدِ الذي خصها بعدد غير قليل من الأبيات في معلقته . ومثل الفرس الذي يُتخذ للركوب والصيد والحرب ، وقد مرت بك أبيات في وصفه لامرئ القيس ، ومثل المستوحش من الحيوانات كالأسد والعُقَاب والحية ، والذئب الذي وصفه الْمُرَقِّشُ الأكبر والشَّنْفَرَى وغيرهما .

كما وصف الشعراء الجَاهِليون البيئة الطبيعية ، فوصفوا الصحراءَ وأطلالَها ، والسحبَ وأمطارَها ، والليل وظلمته ... إلخ فالوصف الجاهلي إذا قائم على تصوير حياة العرب من جميع أوجهها ، فهو بذلك مرآة تعكس لنا حياتهم وتعرفنا بكثير من شؤونهم .

وأهم ما يتميز به الوصف الجاهلي أنه يُعْنى بالمحسوسات ، ينقلها كما هي في الواقع دون أن يَسِمها الشاعر بِسِمَته ، ويَسْتَعِينُ كثيرا بتشبيه المحسوس بالمحسوس مثل قول النابغة الذبياني مادحًا .

فَـــإِنَّـــكَ شَمْسٌ وَالْمُلُـوكُ كَـوَاكِبٌ   إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْـــدُ مِنْهُنَّ كَـوْكَبُ

ومن حيث أسلوبُه ، فيراعي مقتضى الحال فيرق في الموضوعات الوجدانية الحضرية ويخشوشن عندما يتناول الموضوعات البدوية . وقد قال سليمان البستاني في الشعر الجاهلي : « ومزيته البساطة ، والبَدَاهة ، واقتفاء الفطرة ، وتمثيل الحقيقة في رسم الطبيعة ، وهو في جميع ذلك أعلى طبيعة من شعر المتأخرين من العرب ، ولا يفوقه شيء من شعر المتقدمين من سائر الأمم ، حتى اليونان والرومان » .

2 – العصر الإسلامي والأموي :

تناول الوصف في العصر الأموي بالإضافة إلى الموضوعات التي تداولها الجاهليون موضوعات جديدة مثل وصف القتال وحصار المدن وفتحها : يقول القَعْقَاعُ بنُ عمرو التَّميمي :

فَنَحْنُ وَرَدْنَـا فِي (نَهَـاوَنْـدَ) مَوْرِدًا ... صَـدَرْنَـا بِـهِ وَالْجَمْـعُ حَرَّانُ دَاحِمُ[1]
ونحن حَبَسْنَـا فِي نَهَـاوَنْـدَ خَيْلَنَـا ... لِشَرِّ لَيَـالٍ أُنْتِجَتْ لِلأَعَـاجِمْ
مَـلأْنَـا شِعَـابًـا فِي نَهَـاوَنْـدَ مِنْهُمُ ... رِجَـالاً وَخَيْـلاً أُضْرِمَتْ بِـالضَّرَائِمْ

وقد استمر الشعراء في استهلال قصائدهم بوصف الأطلال ووصف المطية ، ولم يخرجوا في معانيهم وأخيلتهم عما ألفوه زَمَنَ الجاهلية ، ، وإن فاقوهم كثيرًا في ترتيب الفِكَر وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان مما هذب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسوله ﷺ ، وهما من المعاني والحكمة ما هما ، ومما نوع خيالهم وأغنى معارفهم ، من مشاهد الحضارة ، وبدائع الصناعات .

غير أننا لانجد في شعرهم من المبالغة والتهويل والتعمق في المعاني العقلية العسرة الإدراك ما نجده لأهل العصر التالي ، لاشتغال القوم بالفتوح والمغازي وتأسيس الحضارة والعمران .

وكذلك لم يخرجوا جملةً في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ، ومتانة أسلوبه عن نُظَرَائهم في الجاهلية ، وإنما آثروا جزالة اللفظ وفخامته وحسن جرسه ونغمته ، ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابة وحوشية ، كما آثَرُوا جودة الأسلوب ومتانته .

3 – العصر العباسي :

دالت دولة بني أمية ، وانتقلت الخلافة إلى بني العبّاس سنة 132 هـ ، فهيمن النفوذ الفارسي على مرافق الدولة ، وحمل الفرس إلى العرب حضارة جديدة لاعهد لهم

(1) حران فيه حرارة ـ داحم من دَحَم بمعنى دَفَعَ .

بها،تقوم على منجزات مادية ونمط حياة اجتماعية من طراز يختلف عن طرازهم القديم ، فانعكس ذلك على الشعر ، ولا سيما في الوصف منه ، فتناول الشعراء وصف القصور والبِرَكَ والرِّياض والمدن والسفن وأصناف المآكل والأسلحة والمعارك والأواني ومجالس اللهو والجواري ... كما تناوَلُوا وصف الحيوان ومظاهر الطبيعة . ومما وصفه الشعراء السفينة ، يقول السَّريُّ الرَّفَّاء :

كُـلُّ زِنْجِيَّـةٍ كَـأَنَّ سَـوَادَ اللَّيْـ ... ـلِ ، أَهْـدَى لَهَـا سَـوَادَ الإِهَـابِ
تَسْحَبُ الـذَّيْـلَ فِي الْمَسِيرِ فَتَخْتَـا ... لُ ، وطَـوْرًا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَـابِ
وَتَشُـقُّ الْعُبَـابَ كَـالْحَيَّـةِ السَّـوْ ... دَاء أَبْقَتْ فِي الرَّمْـلِ أَثْرَ انْسِيَـابِ

والذِّئب الذي ولع الشعراء بوَصْفه ، والذي قال فيه البُحْتُرِيُّ :

سَمَا لِي،وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَـا بِـهِ ... بِبَيْـدَاءَ لَمْ تُعْرَفْ بِهَـا عِيشَـةٌ رَغْـدُ
كِـلاَنَـا بِهَـا ذِئْبٌ يُحَـدِّثُ نَفْسَـهُ ... بِصَـاحِبِـهِ،وَالْجَـدُّ يُتْعِسُـهُ الْجَـدُّ

وأظهر مميزات الوصف العباسي :

- ترتيب الأفكار وأخذ بعضها بحِجْر بعض،بحيث قَلّ الاقتضاب وشذوذ الانتقال من معنى إلى معنى مباين له ، كما كان يقع كثيرًا في الشعر القديم .

- اختراع الأخيلة الجميلة التصوير في التشبيه والاستعارة والأوصاف وحسن التعليل .

- هجر الألفاظ الغريبة بالتدرج .
- دخول بعض الألفاظ الأعجمية ، مثل الجرماز - دمقس - فيروز .
- رقة الأسلوب مع بقاء الجزالة ووضوح المعنى .
- اختراع البديع والاستكثار من أنواعه .
- النظم في بحور لم ينظم القدامى فيها إلاّ قليلا «كالمضارع» والمُقْتضب .

4 - عصر الضعف :

وفي عصر الضعف تدنى مُسْتَوى الوصف ، وأصبح يتناول موضوعاتٍ لا يُؤْبهُ بها ، كالنّاعورة والمخدة والبساط والمروحة والسكين والدواة والسّراج والمبخرة . مثل قول ابن نُبَاته المِصْري :

بِسَـــاطٌ يَمْـلأُ الأَحْـــدَاقَ حُسْنًــــا وَيُهْـــــدِي لِلْقُلُــوبِ بِهَـــــا سُرُورَا
وَيَشْرَحُ حِينَ يُبْسَـــطُ كُـلَّ صَـــدْرٍ وَخَيْرُ الْبِسْـطِ مَـا يُرْضِي الصُّـدُورَا

وقد قل فيه اختراع المعاني ودقة التصوير ، وإن كثر فيه تنوع التشبيه وتخيل الاستعارة .

وأما ألفاظه وأسلوبه فشاع فيها ما يلي :

- الاقتصار على الألفاظ السهلة وهجر الغريب ، بل اللفظ الجَزْل ، حتى استعملت الألفاظ العامية والألفاظ التركية الفاشية في ذلك الزمان .
- الاقتصار على التراكيب السهلة ، وتكلف البديع ولاَسيا التورية والجناس .

5 - العصر الحديث :

لما استعاد الشعر العربي قوته في العصر الحديث ، اتجه الشعراء إلى الوصف ، فوصفوا الطبيعة كما وصفوا مظاهر الحياة العمرانية الحديثة وما تحتويه من مخترعات ، كالغواصة والطائرة والسينما وغيرها .

ويمكن أن نقسم الشعراء إلى عدة فئات بالنظر إلي المنهج الذي انتهجوه في الوصف وفي غيره من الأغراض :

1 - فئة تقلد القدامى ، ولا سيا فحول الشعراء في العصر العباسي ، من حيثُ الموضوعاتُ ، ومن حيث تَحَرِّي الزخرف اللفظي والأناقة في التعبير . ويمثل هذه الفئة شعراء كثيرون منهم محمود سامي البارودي - معروف الرصافي - محمد العيد آل خليفة الذي قال في وصف فوارة :

يَـــاعَيْنُ جَـــدَّدْتِ النَّشَـــا طَ لَنَـــا وَبَـــدَّدْتِ الْفُتُـــورْ
فَـــلأَنْتِ أَجْمَـــلُ قَيْنَـــةٍ غَنَّتْ فَـــأَطْرَبَتِ الْحُضُـــورْ
هَـــــــذَا خَرِيرُكِ يَسْتَفِـ ـــزُّ بِلَحْنِـــهِ أَهْـــلَ الْقُبُـــورْ

2 - فئة ثانية تمثل حلقة وصل بين القديم والحديث ، تناولت موصوفات عصرية بأوصاف مستمدة من معطيات البادية كتشبيه الطائرة بالنَّسر أو العُقَاب ،

مثل ما فعل أحمد شوقي في وصف طائرة قادها طيّار مصري من برلين إلى القاهرة سنة 1930 :

أَعُقَابٌ فِي عَنَانِ الجَوِّ لاَحْ ... أَمْ سَحَابٌ فَرَّ مِنْ هُوجِ الرِّيَاحْ
أَمْ بِسَاطُ الرِّيحِ رَدَّتْهُ النَّوَى ... بَعْدَ مَا طَوَّفَ فِي الدَّهْرِ وَسَاحْ
أَقْبَلَتْ مِنْ بُعْدِ تَحْسَبُهَا ... نَحْلَةً عَنَّتْ وَطَنَّتْ فِي الرِّيَاحْ

3 ـ فئة ثالثة اجتهدت في أن يكون وصْفُها حديثًا فتأثرت بمختلف تيارات الأدب الغربي ، فمنهم من تأثر بالكلاسيكية ومنهم من تأثر بالرومنسية ، ومنهم من تأثر بغيرهما من المذاهب كالرمزية والسريالية . ومن أمثلة الوصف المتأثر بالاتجاه الرومنسي قول خليل مطران (1872 – 1949) يصف نفسه التي انتابها حزن شديد :

ثَـــاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ وَلَيْتَ لِي ... قَلْبًا كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ
يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِي ... وَيَفُتُّهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي
وَالشَّمْسُ فِي شَفَقٍ يَسِيلُ نُضَارُهُ ... فَوْقَ العَقِيقِ عَلَى ذُرًى سَوْدَاءِ

6 – خصائص الوصف :

للوصف ضروب متعددة أكثرها :

1 – **الوصف الموضوعي :** وهو الكشف عن صفات الموصوف ، كما هي في الواقع ، وهو شديد الشبه بالتصوير الشمسي ، ينقل الموصوف بلا زيادة ولا نقصان ولا تشويه ولا تعديل .

2 – **الوصف الوجداني :** هو الكشف عن صفات الموصوف كما يشعر بها الشاعر لا كما هي في الواقع ، لأنه نتيجة تفاعل بين الموصوف وعوامل النفس .

3 – **الوصف التجريدي :** وهو اتخاذ الموصوف رمزا يُجَرِّدُهُ الشاعر من مقوماته المادية ليخلص إلى وصف ما هو مجرد من المادة ، كوصف شمعة تذوب للخلوص إلى وصف الصراع مع الأيام كما نجد ذلك عند أبي العَلاَء المعري :

وَصَفْرَاءَ ، لَـوْنَ التِّبْرِ مِثْلِي جَلِيـــدَةٌ عَلَى نُـوَبِ الأَيَّـامِ والْعِيشَـةِ الضَّنْـكِ
تُرِيـكَ ابْتِسَـامًـا دَائِمًـا وَتَجَلُّـدًا وَصَبْرًا عَلَى مَـانَـابَهَا وَهْيَ فِي الْهَلْـكِ
وَلَـوْ نَطَقَتْ يَـوْمًـا لَقَـالَتْ أَظُنُّكُمْ تَخَـالُونَ أَنِّي مِنْ حَـذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
فَـلاَ تَحْسَبُوا دَمْعِي لِـوَجْـدٍ وَجَـدْتُـهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحْكِ

4 - **الوصف الاستطرادي :** وهو الذي يتخذه الشاعر وسيلة لتحقيق غاية لاتمت إلى الوصف بصلة كالفخر والمدح .

والوصف غرض واسع يتصل بسائر الأغراض بصلات وثيقة . وقد قال ابن رشيق القيرواني في ذلك : « إن الشعر - إلا أقله - راجع إلى باب الوصف » ويتميز بعدة خصائص نذكر منها :

- دقة المعاني وسهولتها .
- تنوع مواضيعه وتعددها وطرافتها .
- نقله الأمين لعواطف الشعراء وإحساسهم .
- اعتماده الكثير على الخيال ، ولا سيا التشبيه والاستعارة لتجلية الموصوفات وتحديد معالمها .

الفصل الثامن

الحِكْمَــة

1 – من حكم الجاهلية لزُهير بن أَبِي سلمى.
2 – من الشعر الحِكَمِي لأبِي العَتَاهِيَة.
3 – من حِكَم ابن الوَرْدِي.
4 – لا لقاء بلا فراق لنَاصِيف اليَازجي.
5 – تطور الحكمة وخصائصها.

الحِكْمَة

تعريف :

الحكمة قول جميل يطابق الحقيقة ويصلح لتوجيه الناس إلى سُبُل الرشاد .

وتتفاوت الحكم من حيث إن بعضها يشبه المسلَّمات التي لاَ تقبل النقاش ، وإن بعضها الآخر لا يسمو إلى مرتبة القاعدة الثابتة .

وتأتي الحكمة أبياتًا[1] متفرقة في ثنايا قصائد المدح والرثاء والزهد ، وقلما تَسْتَقِلّ في قصائد كاملة .

(1) وتأتي نثرًا وقد سبق أن عرفت ذلك .

مــن حكم الجــاهليــة
لزهير بن أبي سلمى

تمهيد :

زهير بن أبي سُلمى[1] شاعر ممتاز ، اشتهر بتَعَفُّفه وحكمته ، وعرف بـ « صاحب الحَوْليَّات » . وفيما يلي أهمُّ حِكَمِهِ التي ختم بها معلقته المشهورة :

النص :

1 - سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً - لاَ أَبَا لَكَ - يَسْأَمِ
2 - وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
3 - رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
4 - وَمَنْ لاَ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ ، وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ
5 - وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لاَ يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
6 - وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
7 - وَمَنْ يُوفِ لاَ يُذْمَمْ ، وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لاَ يَتَجَمْجَمِ
8 - وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
9 - وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
10 - وَمَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ يُهَدَّمْ ، وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ
11 - وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لاَ يُكَرَّمِ
12 - وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
13 - وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
14 - لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ ، وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ
15 - وَإِنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لاَ حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

(1) سبق التعريف به في درس : « مدح دعاة السلام » .

تحـليل وشـرح :

يتنـاول هـذاالنصّ حِكَمًا متفرقـة ، عبّر الشـاعر عن كل واحـدة منهـا في بيت مستقل . وهي في مجملها نتاج التجربة وثمرة الملاحظة .

[**عَمٍ** : جاهل – **العشواء** : الناقة الضعيفة النظر – **خبط عشواء** : سَيْر في غير هُدًى – **يصانـع** : يُداري – **يضرّس** : يُعضّ بأضراس – **يـوطـأ** : يُـداس – **يفره** : يحميه ويصونه – **لايتجمجم** : لايتردد – **يذود** : يـدافع – **خليقـة** : طبيعة – **سفاهة** : خفة وطيش] .

يقول الشاعر في مستهل حكمه إنه ملّ ما صادفه في حياتـه الطويلـة من مشـاق ، ولا غرابة في ذلك ، فهو قد عمّر ثمانين عـامًـا ، واستفـاد من حيـاتـه المديـدة تجـارب كثيرة أهمها : أنه يعلم أحـداث يومـه وأمسـه ، ولكنـه يجهل مـا يُخفيـه المُسْتَقْبَلُ من الأيام ، وأن الموت ينزل بالناس ويصيبهم على غير هدى ، شأنه في ذلك شأن النـاقـة الضعيفـة البصر ، التي تخبـط في سيرهـا ، وأن الـذي لم يتخطفـه الموت يُعَمّر طـويـلا ويصبح هرِمًا .

ثم يبين أن الإنسان الذي لا يداري الناس في علاقـاتـه بهم يصيبـه أذاهم ويلحقـه شرُّهم . ومن يقـدم عـملا صـالحـاً رجـاء الحفـاظ على عرضـه يَصُنْـهُ وَيَحْفَظْـه ، ومن لايتجنب المواقف التي تعرِضُه للشَّتْمِ يُشْتَمْ ويُسَب . وهو حين يبخل بفضله على قومه يستغنون عنه ويذمونه ، والذي يُوفِي بعهده لايلحقه ذمٌّ ، والـذي يهتـدي إلى سبيل البر ، لايتردد في المضي فيه . والذي يخاف خوض معترك الحيـاة حيث تكون أسبـاب الموت بارزة ، فإن ذلك لن يمنعه من هذه الأسباب ولو صعد إلى السماء ، ومن يحسن إلى من لايستحق الإحسان لايناله إلا الذم والندم .

ثم يقول : إن الذي لايدافع عن حِمَاه ببسـالـة يهزم ويحطم . وإن الـذي يغترب يصبح عاجزًا عن التمييز بين الصديق والعدوّ .

ويقول : إنّ صفات المرء ، لا محـالـةَ ، بـائنـةٌ للنـاس وإن ظنهـا خـافيـةً . وإن الإنسان قد يعجب بالفتى ، غير أن هذا الإعجاب قد يزيـد وقـد ينقص عنـد تكلمـه وإفصاحه عن أفكاره ؛ فلسانه نصف ونصفـه الآخر فؤاده ، ومـاسوى ذلـك فهو مـادة

تافهة من لحم ودمٍ ، وَالفتى قـد يحْلُم بعـد طيش ، أمـا الشيخ فلا يُنْتَظرُ بعـد طيشـه حِلْم وَرَشاد .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكـار :

يشتمل هذا النص على عدد من الحكم ، استخلصها الشـاعر من تجربتـه في الحيـاة ، ومن النظر في طبائع الناس وسلوكهم .

ونلاحظ أن آراء زهير عامة ، على ما فيهـا من حض على بعض الفضـائل لم تخرج عن كونها عرضا بيانيا لواقع البيئة الأخلاقية والاجتماعية في العصر الجـاهلي ، وبـالرغم من دعوتـه إلى الخير ، تظـل آراؤه حصيلـة تـأمـل بسيط تُغَذيـه نفس محبـة للخير والفضيلة .

كما أن معظم خواطره قد ورد في أمثال الجاهلية وخطبها ، ولكنه دفع بها مجموعة في شعر يُسَهِّل حِفْظَها وتداولها ، ومن ثَمَّ منحها قوة التركيز والتأثير .

وبعض أبيـات النص لا يعـدو تقرير ملاحظـات بسيطـة ، لا تسمو إلى مستوى الحكمة ، مثل ما ورد في البيت الثالث ، فمعناه نرفضه الآن لأنه يتعارض مع الحقيقـة القرآنية الثابتة في هذا الغرض : فالموت قدر مقدور أجله مسمى عنـد اللـه ، لايصيب أحـدًا إلاّ إذا استـوفى أجلـه : « فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَـأْخِرُونَ سَـاعَـةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ »[1] .

ب - العـاطفـة :

نستشف من خلال حكم زهير شعورًا بملل من العيش وسأم من أعبائـه وتكاليفـه ، وكأنه في عرضه لهذا الشعور الصـادق بـالضَّجَر من الحيـاة يريـد أن يُكسب آراءه قوة التجريد والموضوعية : فلا تقف وراءها غايـة شخصيـة ، أو مـأرب ذاتي ؛ فهو يعشق

(1) من الآية 61 من سورة النحل » .

المكارم ، ويحب الفضائل ، ويهوى إرشاد النـاس إلى مـا فيـه صلاحهم وفلاحهم ، فهو كالمعلم المربي ، الذي لا يَفْتأُ يوجه تلاميذه ويرشدهم إلى سُبُل النجاحُ .

جـ - الأسـلـوب :

يسيطر على النص جو من الرصانـة ، لايعود إلى رزانـة الموضـوع فحسب ، بـل أيضا إلى متانـة الأسلوب وقوة السبـك وجمال العرض ؛ فنظرة فـاحصـة إلى الأبيـات تؤكـد أن زهيرًا ينتقي ألفاظـه انتقاءً ويصوغهـا في عبـارات قـويـة مـوجـزة تفيض بالحيوية والموسيقى ، تأمل مثلا : (سئمت تكاليف الحياة - ولكنني عن علم ما في غد م - لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده) .

وأسلوب النص خبري في مجمله وقد اعتمد عليه الشاعر ، لأنه أنسب لنقل التجارب وتقرير الملاحظات ، ومن أساليبه فيه : (ومن لا يـذد عن حوضـه بسلاحـه يهـدم) وغرضـه الأدبي هو التحـذير من عواقب التوانِي عن الـدفـاع عن الحِمَى . ومن أمثلتـه أيضا : (وإن سفاه الشيخ لا حِلْمَ بعـده) وغرضـه الأدبي هو الحث على حسن تربيـة الإنسان قبل أن يجتاز مرحلة الفتوة .

وقد التزم الشاعر أسلوب الشرط في ثمانية أبيـات ؛ يَصِف في كل واحـد منهـا عملا أو سلوكا ثم يبين أثر الإقبال عليه أو التواني عنه : مثل البيت الرابع ، حيث يقرر أن الذي يحجم عن مجاملة الناس - وهو وصف سلوك - يواجه شرهم ويلقى أذاهم ، وهو أثر ذلك السلوك . ومثل البيت العاشر ، حيث يقرر أن الـذي يتردد في الـدّفـاع عن أرضه - وهو وصف لموقف - يحطم ويهزم ، وهو نتيجة لذلك الموقف .

غير أن أبرز خاصة يمتاز بها النص هي التصوير ، فالشاعر يكاد لايُخرج بيتا إلاَّ مُوَشًّى بصورة من صـور التشبيـه أو الاستعـارة ، ممـا يـدل على خيـال خصيب غني بالمشاهد الحسية .

فهـو في رؤيـة الغـد كالأعمى ، والمـوت يصيب النـاس على غير هـدى كالنـاقـة العشواء ، والمقهور والمغلوب كالذي يضرس بالأنياب ويوطـأ بـالمنسم ، وأسبـاب السماء ترقى كما يُرْقَى السلم ، والحمى يدافع عنه كما يدافع عن الحياض . . .

ويكثر الطبـاق في النص لحـاجـة الموضـوع العقلي إلى التضـاد كما في (تصيب

وتخطىء – الحمد والذم – تخفى وتعلم – صمت وتكلم – زيادة ونقص – السفاه والحلم ..) .

ووزن الأبيات من بحر الطويل ، وقد عرفت تفعيلاته في دروس مضت .

د – الأحكام والقيم :

يعكس هذا النص عدة صور تعرفنا أكثر بصاحب النص وبيئته الطبيعية ، منها :

1 – شخصية الشاعر : يبدو زهير من خلال النص رجلا عاقلا ، يحب انتشار الخير ، ويحرص على توجيه الناس إليه .

2 – بيئة الشاعر الطبيعية ، تبدو بيئة الشاعر قاسية ، تندر فيها المياه ، التي كثيرًا ما تكون محل نزاع وحرب . وهذا نستنتجه من إطلاق العرب لفظة (الحوض) على كل غال يجب الدفاع عنه . ويظهر ارتباط حياة العرب بالإبل من خلال ورود أوصافها أو أسماء أعضائها في كلامهم : (عشواء – منسم) .

ونستنبط من النص أن العربي كان يعيش في دائرة ضيقة ، هي دائرة قبيلته ، فإذا خرج عنها إلى ديار قبائل أخرى عُدَّ غريبا لا يستطيع أن يميز بين الصديق والعدوّ . ثم إنه قد يضطر إلى إظهار القساوة والغلظة والجفاء ، لأنه إذا لم يفعل ذلك تجرّأ عليه الناس واعتدوا عليه . وهو مع ذلك كله مُجْبَرٌ على الذّوبان في قبيلته يأتي ما يُرْضيها ويَدَعُ ما يُسْخِطها ، وإذا لم يفعل ذلك ذُمَّ واعتُزِل .

ومن هنا نستنتج أن لهذا النص قيمة تاريخية ؛ فهو يقدم لنا صورة جزئية عن حياة العرب الأخلاقية والاجتماعية ، كما يعرفنا ببعض القيم السائدة عندهم .

تمارين تطبيقية

1 – ما رأي الشاعر في الموت ؟ وما رأيك أنت في ذلك ؟

2 – ما المقصود بالمصانعة التي وردت في البيت الرابع ؟ وهل تراها ضرورية في معاملة الناس ؟ وضح ذلك .

3 – العاقل من يصنع المعروف فيمن يستحقه . أيّ الأبيات يعبر عن ذلك ؟

4 – لا مهربَ من الموت . أين ورد هذا المعنى ؟

5 – هل تجد في حكم زهير ما يبقى صالحًا إلى حدّ اليوم ؟ مثّل لذلك .

6 كيف تجد ألفاظ النص . وما ذا تستنتج من ذلك ؟

7 – لماذا اعتمد الشاعر على الخبر دون الإنشاء ؟

8 – في النص صور بيانية استخرج منه صورتين واشرحها .

9 – احفظ النص كله وقطع البيت الرابع عشر .

من الشعر الحكْمي

لأبي العتاهية

تمهـيد :



الشاعر هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، من أصل فارسي ، كان مولى لقبيلة « عنزة » وكنيته أبو إسحاق ، واشتهر بلقب « أبي العتاهية » والتّعتّه : اضطراب في العقل ؛ لأنه كان في شبابه يعاشر الخلعاء والمستهترين ، كثير الولع باللهو والمجون .

ولد « بعين التمر » غرب مدينة الكوفة سنة - 130 هـ 748 -م ونشأ في هذه المدينة في أسرة فقيرة ، كان يبيع الجرار ، لكنه مولع بالشعر ، فقاله وهو صغير ، ولم يلبث أن قوي عوده فيه ، وصار كما قال عن نفسه : « لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت » ولما ذاعت شهرته سَعَى إلى بغداد واتصل بالمهدي ومدحه ، ومدح موسى الهادي بعده ، ولزم هرون الرشيد في خلافته يمدحه .

درس الفلسفة والحكمة فمال إلى الزهد لا سيما بعد أن مل حياة اللهو والمجون ونفر منها ، وانصرف بفنه إليه ، مات في خلافة المأمون سنة - 210 هـ 826 - م .

له ديوان شعر يضم الأغراض المعروفة ، لكن أشهر شعره الزهد ، وله أرجوزة في الحكمة والزهد تعرف « بذات الأمثال » منها هذا البيت :

مَـا انْتَفَـعَ الْمَرْءُ بِمِثْـلِ عَقْلِـهِ وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِـهِ

امتاز القرن الثاني الهجري من الخلافة العباسية بانتشار أفانين من اللهو والغزل

والغناء والشراب ، وكثر الإقبال عليها لدخول عادات الفرس إلى المجتمع العربي ، فاقتضت سنّة الاجتماع أن يكون هناك رد فعل لهذه الأحوال، وأن يقوم بجانب أدب اللهو أدبٌ آخر يدعو إلى الجد والنّسك ، ويكثر من النصيحة ، وكان على رأس هذا الأدب « أبو العتاهية » كما ترى في هذه الأبيات المشتملة على حكم تدعو إلى أخلاق الكرام ونبذ مثالب اللئام .

النـــص :

- أ -

1 - مَا اسْتَعْبَدَ الْحِرْصُ مَنْ لَـهُ أَدَبُ ... لِلْمَرْءِ فِي الْحِرْصِ هِمَّـةٌ عَجَبُ
2 - لِلَّـهِ عَقْلُ الْحَرِيصِ ، كَيْفَ لَـهُ ... فِي كُـلِّ مَـا لاَ يَنَـالُـهُ أَرَبُ ؟
3 - الْبَغْيُ وَالْحِرْصُ وَالْهَـوَى فِتَنٌ ... لَمْ يَنْـجُ مِنْهَـا عُجْمٌ وَلاَ عَرَبُ
4 - لَيْسَ عَلَى الْمَرْءِ فِي قَنَـاعَتِـهِ ... إِنْ هِيَ صَحَّتْ ، أَذًى وَلاَ نَصَبُ
5 - مَنْ لَمْ يَكُنْ بِـالْكَفَـافِ مُقْتَنِعًـا ... لَمْ تَكْفِـهِ الأَرْضُ، كُلُّهَـا ذَهَبُ

- ب -

6 - إِيَّـاكَ والظُّلْمَ ، إِنَّـهُ ظُلَمٌ ... إِيَّـاكَ وَالظَّنَّ ، إِنَّـهُ كَـذِبُ
7 - إِنِّي رَأَيْتُ الشَّرِيفَ مُعْتَرِفًـا ... مُضْطَبِرًا لِلْحُقُـوقِ إِذْ تَجِبُ
8 - مَنْ لَـزِمَ الْحِقْـدَ لَمْ يَـزَلْ كَمِـدًا ... تُغْرِقُـهُ فِي بُحُـورِهَـا الْكُرَبُ
9 - مَنْ عَرَفَ الـدَّهْرَ لَمْ يَـزَلْ حَـذِرًا ... يَحْـذَرُ شُـبُهَاتِـهِ وَيَرْتَقِبُ

- جـ -

10 - وَقَـدْ عَرَفْتُ اللِّئَـامَ لَيْسَ لَهُمْ ... عَهْـدٌ وَلاَ خِلَّـةٌ وَلاَ حَسَبُ
11 - فَنِصْفُ خَلْقِ اللِّئَامِ مُذْ خُلِقُوا ... ذُلٌّ ذَلِيـلٌ ، وَنِصْفُـهُ شَغَبُ
12 - فِرَّ مِنْ اللُّـؤْمِ وَاللِّئَـامِ ، وَلاَ ... تَـدْنُ إِلَيْهِمْ فَـإِنَّهُمْ جَرَبُ

تحليل وشــرح :

هذا النص من حكم أبي العتاهية التي تدور حول فكرة عامة هي : الحث على

الأخلاق الفاضلة ، والتنفير من الرذائل المذمومة ، وتشتمل على ثلاث أفكار أساسية هي :

أ - الإنسان بين الجشع والقناعة .

ب - التحذير من الدنايا ومن تقلبات الدهر .

جـ - التنفير من اللؤم واللئام .

أ - [**الحرص** : الجشع واشتداد الرغبة في جمع المال - **همة** : هوى وعزم - **الكفاف** : من الرزق ، ما ليس فيه فضْل ولا نقص] .

في القسم الأول ينبه الشاعر الإنسان إلى حقائق ، عن الحرص والبغي والهوى ، والقناعة والكفاف فيقول : إن من له حسْن الخلق ، وفهْم جيد للحياة ، لا يستعبده الجشع والجري وراء المال وكسبه وجمعه من أي طريق ، والمرء الحريص الجشع أمره عجيب ؛ فعزمه وهواه مع جمع المال معبوده المفضل ، ويتعجب الشاعر من عقل الإنسان الحريص ، كيف يطمح إلى ما لم يصل إليه ، ولم يكن باستطاعته نيله ؟ ولا يقنع أبدا بما بين يديه ، ثم يبين أن النفس الأمّارة بالسوء تزيّن الاعتداء على أموال الناس والحرص على الدنيا ، فهذه الأعمال تفتن الإنسان في دينه ، وتعرّضه لغضب الله تعالى ، ولم ينج منها العرب والعجم ، والإنسان - مع هذا - يعلم أنه إذا صحت قناعته واكتفى بما لديه ، فإنه لاينالـه أذى ولا تعب ؛ لأن الغنى غنى النفس ، فلا يتلهف على حطام الدنيا ، ولا يحسد الناس عليه ، ومن لم يقتنع بما رزقه الله من كفاف ، فإن الأرض لو امتلأت بالذهب لا تكفيه .

ب - [**كمِدا** : صفة مشبهة من الكَمَد : الحزن المكتوم - **الكرب** : جمع كربة ، الحزن والمشقة - **شداته** : جمع شدة ، الأمر الصعب التحمل ، وشدة العيش : شظفه وضيقه - **يرتقب** : ينتظر] .

وفي القسم الثاني يحذر أبو العتاهية من الرذائل التي تضر الإنسان ؛ فالظلم ، والظن السيء ، والاتهام بالباطل ، اعتداء وكذب ، ويمدح الرجل الشريف المعترف بالحق ، الصابر على أداء الحقوق الواجبة عليه لأهلها ، وبعدها يبين حقيقة نفسية الحاقد المضمر للعداوة ، المتربص بخصمه الدوائر ، فقال عنه : إنه يعيش في حزن وغم

خفيين ، ويحترق بحقده المدفون ، فلا يحس طعم الراحة ولا السعادة ، ثم يقول : إن المجرب لأحداث الدهر المتقلبة يكون دائما حَذِرا مرتقبا تلك التقلبات ، فلا يأمن ابتسام الدهر له ؛ إذ سرعان ماينقلب فيكشّر عن أنيابه ، لذا فهو حذر مستعد لتقبُّل مايأتي ، كي لا يفاجأ ، فتقع عليه المصاعب كالصواعق ، وربما داهمه الموت وهو غارق في ذنوبه فيشقى في الآخرة .

جـ - [**اللئيم** : صفة مشبهة منَ اللؤم : الدناءة - **خِلة** : جمعها خِلَل وخلال ، المصادقة والإخاء - **حسَب** : شرف - **شغب** : تهييج الشر وإثارة الفتن - **جرب** : مرض جلدي معروف] .

وفي القسم الأخير يتحدث الشاعر عن مثالب اللئام فيقول : إني عرفتهم ، وخبرت طبائعهم ؛ فهم لا يوفون بعهد ، ولا يؤتمنون في صداقة ، ونصف مثالبهم - منذ أن خلقهم الله - ذل ومسكنة ، ونصفها الآخر إثارة الشر والفتن ، فهم إن احتاجوا وطمعوا ذلوا وتمسكنوا لينالوا مايريدون ، فإن استغنوا أثاروا الاضطراب والفتن ، لأنهم لا مبادىء لهم ولا شرف ، وأخيرا ينصح بالفرار من اللؤم واللئام ، وينهى عن القرب منهم ، وعن معاشرتهم ؛ لأنهم يُعْدُون غيرهم كما يُعْدي مرض الجرب .

الدراسة الأدبية والفنية:

أ - الأفكار :

غرض النص الحكمة ، وهو غرض قديم ، لكنه تطور في العصر العباسي ، فأصبح غرضا مستقلا ، تُفْرَد له القصائد بعد أن كانت الحكمة تأتي في ثنايا ها ، والجديد عند أبي العتاهية أن حكمته تتّسم عموما بالزهد في الدنيا ، والترغيب في الآخرة ، كرد فعل لتيار اللهو المنتشر في عصره ؛ فهو يدعو إلى القناعة التي هي باب السعادة الدنيوية ، وإلى نبذ الحرص والجشع والجري وراء حطام الدنيا من غير تبيُّن المكسب الحلال من المكسب الحرام .

وأفكار الشاعر ذات موضوع واحد هو الترغيب في مناقب الأخيار الفضلاء ، والتحذير من مثالب الأشرار اللؤماء ، وهي غير مترابطة ، شأنها في ذلك شأن الشعر

القديم الذي يعتمد على وحدة البيت ، نستطيع تقديم بعض الأبيات أو تأخيرها دون أن يطرأ خلل على المعنى .

كما أن أفكاره تبدو عميقة ، تدل على أن الشاعر خَبَر النفوس وعرف مكنوناتها ، انظر إلى حديثه عن عقل الحريص ، وإلى من لا يقتنع بالكفاف ، وإلى نفسية الشريف ونفسية الحقود ، تجد أنه عبر عن ذلك تعبير الخبير بطبائع النفوس ، أما من حيث جدة الأفكار فهي ليست جديدة ؛ لأن الشاعر استقى كثيرا منها من التراث الديني قرآنا وحديثا .

ب - العاطفة :

نلاحظ أن عاطفة الشاعر قد تنوعت في هذا النص ؛ فهي تنم عن كره وازدراء عندما يتحدث عن اللئام ومثالبهم ، على حين تنم عن تقدير واحترام في إشارته إلى الشرفاء ومناقبهم ، وهي في كلا النوعين هادئة هدوء المنطق ؛ لأن الشاعر يخاطب العقل أكثر مما يخاطِبُ الوجدان .

جـ - الأسلوب :

أسلوب أبي العتاهية - كما يبدو في هذا النص - سهل رشيق ، وألفاظه فصيحة واضحة متصلة بمعانيها وموحية بها ، مثل : البغي ، الحرص ، الهوى ، الظلم ، الظن ، الحقد ، كد ، كرب ، شغب ، جرب ؛ فهي توحي بالتقزز والاشمئزاز منها ، وانظر إلى : قناعته ،الكفاف ، الشريف ، مصطبر ، فهي ألفاظ توحي بالاطمئنان إليها ومحاولة الاتصاف بها .

ويغلب على النص الأسلوب الخبري المفيد للتقرير والنصح ، كما في الأبيات : الرابع والخامس والتاسع ، ومن الإنشائي : «إياك والظلم» وهو يفيد الأمر ، وتقديره : احذر الظلم ، و«فرّ» أمر ، و«لاتدْن» نهي ، وكلاهما غرضه الأدبي النصح والإرشاد ، والاستفهام في : «كيف له في كل ما لا يناله أرب؟» وغرضه البلاغي التعجب ، وفي قوله : «لله عقل الحريص» تعجب من عقل الحريص الذي لا يقنع بما بين يديه ، ويطلب دائما الحاجات التي لا يستطيع نيلها ، وقد أكد الشاعر كلامه

بمؤكدات منها القصر في قوله : «للمرء في الحرص همة عجب» ؛ إذ قدم ماحقه التأخير ، واستعمال أداتي التوكيد «إنّ» و«قد» .

يميل أسلوب الشاعر في حِكَمه إلى الأسلوب الخطابي المباشر ، وطبيعي أن تكون الصور البيانية قليلة وغير ممعنة في الخيال ، وهي مسايرة لحاجة الموقف ، ومن أمثلتها الاستعارة في قوله : «ما استعبد الحرص ...» فقد شبه الحرص بشخص مستبد يستعبد غيره ، فحذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه «استعبد» وهي استعارة مكنية شخصت المعنوي في صورة محسوسة ، وفي قوله : «تغرقه الكرب» و«ذلٌ ذليل» استعارتان مكنيتان يمكنك شرحهما وبيان أثرهما في المعنى ، كما ورد تشبيه بليغ في آخر النص : «فإنهم جرب» ، فهي صورة مشخّصة للؤماء تجعل الناس ينفرون منهم ومن مثالبهم .

كما أن المحسنات البديعية قليلة،منها التصريع في البيت الأول «أدب ، عجب» وتلك عادة الشعراء في افتتاح أغلب قصائدهم ، والطباق بين «عرب وعجم» وقد أثار الحس والانتباه ، وفي : «ظُلْم وظَلَم» و«خُلُق وخَلَقُوا» جناس ناقص أحدث في التعبير نغما موسيقيا جميلا ، ومهما يكن فقد كان تركيز الشاعر واهتمامه منصبّين على المعاني أكثر من انصبابهما على البيان والبديع .

وقد لجأ الشاعر إلى وزن خفيف يناسب حِكَمه ويسهّل حفظها ، وهو بحر المنسرح وأجزاؤه :

مستفعلن مفعـــــــولات مستفعلن مستفعلن مفعـــــــولات مستفعلن

د - الأحكام والقيم :

تبدو شخصية الشاعر من خلال النص محبة للخير والفضيلة ، قنوعة متزهدة ، قوية الحافظة ، خبيرة بطبائع النفوس .

ويمكن أن نتعرف من خلال النص كذلك على بعض ظواهر البيئة ، كالجشع والتهافت على جمع المال ؛ مما أدى إلى اللؤم والخسة .

وفي النص قيم أخلاقية إيجابية يدعو إليها الشاعر،وقيم سلبية ينهى عنها ويحذّر منها ؛ فالقيم التي ينصح بها تتمثل في القناعة والكفاف والاعتراف بالحق ، والصبر على

أدائه لأهله ، والحذر من الدهر وتقلباته ، أما القيم السلبية التي ينهى عنها فهي الحرص على الدنيا ، والجشع في كسب المال من أي طريق ، والبغي ، والظلم ، واتباع الهوى ، والظن السيء ، والحقد،واللؤم .

تمارين تطبيقية :

1 – بعض حكم «أبي العتاهية» تزهّد من الدنيا . فهل هو على صواب ؟ كيف ؟ وماهي نظرة الإسلام في ذلك ؟

2 ـ اذكر صفات الفريقين اللذين تحدث عنهما الشاعر : الفضلاء واللؤما .

3 ـ اختر حكما أعجبتك ، واشرحها ، وبيّن رأيك فيها .

4 – مانوع الأسلوب في البيتين العاشر والحادي عشر ؟ وما الغرض الأدبي منه ؟

5 – لماذا كانت الصور البيانية والمحسنات البديعية قليلة في النص ؟

6 – أشير إلى بعض ماأكّد به الشاعر كلامه ، فاستخرج من النص نوعين من التوكيد ، ومثّل لهما .

7 – عرفت أن البحر المستعمل في هذا النص هو المنسرح . قطع البيت الأول ، وانتبه إلى العلل الموجودة فيه .

8 – احفظ القسمين الأولين من النص بأداء جيد .

مقال أدبي :

اعمد إلى فكرة البيت الأخير ووسعها ، مبينا تأثير الصديق على صديقه حين يكون طيّبا ، وحين يكون لئيما ، مع الاستشهاد على ذلك بحديث أو شعر أو حكمة .

مِن حِكَم ابنِ الوَرْدِي

تمهيد :



ابن الوردي

الشاعر هو زين الدين عمر المعروف بابن الوردي ، ولد في معرّة النعمان بالشام سنة 669 هـ 1289 م ، في عهد كان الأدب فيه شديد الضعف . أكب على علوم اللغة والأدب ، فحصل منها على الشيء الكثير ، وراح يكتب في الأدب والنحو واللغة والتاريخ والفقه ، وتوفي في «حلب» سنة 749 هـ 1348 م .

من مؤلفاته : تتمة المختصر في تاريخ البشر ، واللباب في الإعراب ، وشرح ألفية ابن مالك ، وألفية ابن معطي في النحو والصرف ، وله ديوان شعر ، أشهر مافيه «لامية ابن الوردي» وهي تقع في (77) بيتا ، فيها حكم ونصائح لتوجيه الناس إلى مافيه خيرهم وصلاحهم في الدارين ، ومنها اقتطعنا هذه الأبيات التي فيها حث على طلب العلم والتقوى وبعض الآداب المفيدة للإنسان في حياته .

النص :

1 – يَابُنَيَّ اسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ ... حِكَماً خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمِلَلْ

2 – أُطْلُبِ الْعِلْمَ وَلاَ تَكْسَلْ فَمَا ... أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلْ

3 – وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ ، فَمَنْ ... يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَابَذَلْ

4 - لاَتَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ
5 - فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى ... وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلاَحُ الْعَمَلْ
6 - وَاتَّقِ اللهَ فَتَقْوَى اللهِ مَا ... جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إلاَّ وَصَلْ
7 - لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطَلاً ... إنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللهَ الْبَطَلْ
8 - بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ ... وَكِلاَ هَذَيْنِ إنْ زَادَ قَتَلْ
9 - لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَلَوْ ... حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ الْجَبَلْ
10 - دَارِ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ ... لَمْ تَجِدْ صَبْراً فَمَا أَحْلَى النُّقَلْ
11 - قِيمَةُ الإنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ ... أَكْثَرَ الإنْسَانُ مِنْهُ أَمْ أَقَلْ
12 - لاَتَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَداً ... إنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَاقَدْ حَصَلْ

تحليل وشرح :

1 - في الأبيات حكم وتوجيهات قيّمة . ماهي الفكرة العامة التي تدور حولها ؟
2 - قسم النص إلى أفكاره الأساسية ، وَضَعْ لكل قسم عنوانا .
3 - استعن بالقاموس لشرح الألفاظ التالية :
المَلَل - إرغام - تقوى الله - دَارِ - النُّقَل .
4 - في البيت الأول مايفيد أن حِكَم الشاعر مستوحاة من مصدر عظيم فما هو ؟ ولِمَ قال ذلك ؟
5 - نجد بعد هذا البيت حثا على طلب العلم والعمل به. ما السبيل الموصل إلى ذلك؟
6 - في الفكرة الأولى أتبع الشاعر كلّ نصيحة بحكمة . فهل ترى تلك الحكم صالحة في مجالات أخرى غير طلب العلم ؟ علّل ومثّل .
7 - تكلم ابن الوردي عن التقوى ، وعن البطل الحقيقي . تحدّث عما قاله بأسلوبك .
8 - الاقتصاد في الإنفاق حَسن ، والإنسان لا يخلو من ضد له . اشرح ماقاله الشاعر عن هذين المعنيين .
9 - للشاعر رأي في معاملة الجار . بيّنه ، واذكر «حديثا» في معاملة الجار .
10 - في البيتين الأخيرين بيان لقيمة الإنسان . ففيم تكمن تلك القيمة في رأي الشاعر ؟ وبماذا ينصح المتّكل على أمجاد الآباء والأجداد ؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ – الأفكـار :

1 – غرض النص قديم هو الحكمة . مارأيك في أفكاره من حيث وضوحها أو غموضها ؟علّل ماتقول ومثّل .

2 – هل اعتمد الشاعر على وحدة الموضوع أو على وحدة البيت ؟ وما نتيجة ذلك في ترابط أفكاره وترتيبها ؟ علّل حُكمك .

3 – تأمل الأفكار مرة أخرى ، وبيّن رأيك فيها من حيث عمقها أو سطحيتها .

4 – أترى الشاعر في أفكاره مجدداً أم مقلداً ؟ وإن كان مقلداً فمن أين استوحاها ؟ اذكر أمثلة من نصه ومايقابلها من المصدر المستوحى منه : قرآن ، حديث أو غيرهما .

5 – هل ترى حِكم الشاعر صالحة اليوم ؟ وما أثرها على سلوك الإنسان إن عمل بها .

6 – نسق بين إجاباتك لتحصل على تحليل النص ونقد الأفكار .

ب – العاطفة :

عاطفة الشاعر حب الخير للناس فهي عاطفة إنسانية . ما رأيك في قوتها وصدق صاحبها ؟ علل ما تقول اعتمادا على مدى تأثرك بها . واستشهد على ذلك ببعض الحكم .

جـ – الأسلوب :

حكمة ابن الوردي مؤثّرة رغم بساطة الأسلوب فيها ، تدل على نضج فكره وتديّنه وخبرته بالحياة وأهلها ، ولغته عادية ، وألفاظه وعباراته قريبة إلى الأذهان ترغّب في الخير والحق ، وتنفّر من الشر والباطل ، بعضها متصل اتصالا وثيقا بمعانيها ، انظر مثلا إلى : « من يتق الله البطل ، دار بالصبر ، أصل الفتى ما قد حصل » وانظر إلى : « لا تكسل ، ليس من يقطع طرقا بطلا ، تبذير وبخل » فالأولى مرغّبة ، والثانية منفّرة .

أسلوب النص يتراوح بين الخبري والإنشائي ، فالخبري يهدف إلى تقرير أفكار وحقائق ، وإلى الإقناع بها ، وأما الإنشائي فهو متنوع ما بين النداء والأمر والنهي والتعجب ؛ فالنداء في : « يابني » غرضه لفت الانتباه والنظر لما يقال ، والأمر في : « واهجر النوم ، ودار جار السوء » والنهي في : « لا تقل أصلي » والغرض البلاغي من الأمر والنهي المذكورين هو النصح والإرشاد ، والتعجب في قوله : « ما أحلى النقل ! » وهو أسلوب إنشائي غرضه تحبيب الانتقال والرحيل عن جار السوء ، وهناك أساليب شبيهة بها تدركها بقليل من التأمل .

ويكاد النص يخلو من الخيال والصور البيانية ، ومن الصور القليلة الواردة فيه قوله : « واهجر النوم » فهي كناية عن الجد والسهر في طلب العلم لاعدم النوم مطلقا كما هو الظاهر من التعبير ، وفي : « ذهبت أيامه » كناية عن فوات وقت تحصيله ، وفي : « وكلا هذين إن زاد قتل » كناية عن خسران كلٍّ من المبذّر والمقتّر .

ومع أن عصر الشاعر اشتهر بالإسراف في الصناعة اللفظية وبالمبالغة في استعمال المحسنات البديعية ، فإننا لانجد هذه المبالغة وذلك الإسراف في هذا النص ؛ فقد استعمل محسنات قليلة وضحت المعنى وأعطت أسلوبه مسحة من جمال ، منها الجناس الناقص بين : « العلم والعمل » وبين : « أصل وحصل » والطباق بين : « أكثر وأقل » .

وقد استعمل الشاعر وزنا يناسب غرضه الجدي في النصح والتوجيه ، وهو بحر الرمل وأجزاؤه .

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

لكن التفعيلة في الضرب والعروض كثيرا ما تتحول إلى « فعلن » أو « فاعلن » كما هو الحال في هذه الأبيات .

د – الأحكام والقيم :

تبدو ملامح شخصية ابن الوردي بارزة في النص ؛ فهو متّزن رصين متديّن يدل

على ذلك تصريحه في البيت الأول أن هذه الحكم خصّت بها خير الملل ، وهي شريعة الإسلام ، كما أنه يبدو واقعيا متفائلا ، وعارفا بطبائع البشر .

والنص صورة عن أدب عصر الضعف الذي أصيب بعقم في الأفكار ، فأصبح يردد أفكار السابقين ، وبعقم في الأسلوب فأمسى مهتما بالصناعة اللفظية وزخرفة الكلام ، وإن لم يظهر ذلك جليا في هذا النص : فحكم الشاعر عبارة عن نثر في قالب موزون ، وهي تخلو من الروعة الأدبية ، وإن لم تخل من معرفة بأحوال الدنيا وأخلاق الناس .

وأهم ما في النص القيم الدينية والخلقية التي لها صلة وثيقة بنجاح الفرد في دنياه وآخرته ، وهي : السعي في طلب العلم النافع والعمل به ، والتقوى وخشية الله عز وجل ، والاعتدال في الإنفاق ، وملاطفة الجار والإحسان إليه ، والاعتماد على النفس في بناء المجد ، وترك الافتخار بالآباء والأجداد .

☆ احفظ الأبيات بأداء حسن وقطع البيت الأخير .

مقال أدبي :

من حكم ابن الوردي المدروسة قوله :

« ما أبعد الخير على أهل الكسل »

« وكل من سار على الدرب وصل »

اكتب مقالا أدبيا تبين فيه فوائد الجد في العمل والاستمرار فيه .

لا لقــاء بلا فــــراق

للشيخ نَاصيف اليَازجي


الشيخ ناصيف اليازجي

تمهـيد :

الشـاعر هـو نـاصيف بن عبـد اللـه اليازجي ، ولد سنة 1800 – م في قرَيـة « كَفْر شِيّمَـا » قرب بيروت من أب كان يتعاطى الطب العربي ، ويَنْظِم الشعر . نشأ على حب العلم ، أخذ مبادىء القراءة على يد راهب من « بيت شبـاب » اسمـه « متى » ، ثم انصرف إلى المطـالعـة وإلى زيـارة المكتبـات للتحصيل ، وسـاعـدتـه قـوة الـذاكرة وحِـدّة الـذكاء على الحفـظ والاستزادة من كل علم وفن ، ولم تمض مـــــــدة وجيزة من الـــــــوقت حتى أصبح الشيخ « ناصيف » إمـامـا في اللغـة والنّحو والبيـان وقـد نظم الشعر منـذ حداثته ، فطارت شهرته في لبنان .

استدعاه الأمير بشير الشهابي سنة 1828 – م إلى قصره « بيت الدين » فكان بلبل البلاد وشاعرها ، وفي سنة 1840 – بعد نفي الأمير إلى مـالطـا، انتقل إلى بيروت ، وانصرف إلى المطالعة والتأليف ، ودرّس العربيـة في المدرسـة الوطنيـة للمعلم « بطرس البستاني » ، وأثناء ذلك وضع كتبه المتعددة في فروع علوم اللغـة العربيـة من قواعـد وبلاغة، وفي المنطق ، وعانى في أواخر حياته من الفـالج النصفي مـدة عـامين ، وتوفي سنة 1871 .

وللشيخ اليـازجي – فضـلا عن مؤلفـاتـه المـذكـورة – مقـامـات بعنـوان « مجمع

البحرين » فيها ستون مقامة ، وديوان شعر حافل بالحكم ، وهذه الأبيات مختارة من قصيدة تبلغ (25) بيتا ، كتبها مجيبا أحد أصدقائه عن أبيات بعث بها إليه من البلاد الإفرنجية ، يبث فيها بعض آرائه في الحياة وسلوك الناس .

النـص :

1 - لَعَمْرُكَ لَيْسَ فَوْقَ الأَرْضِ بَاقِ ... وَلاَ مِمَّا قَضَاهُ اللَّهُ وَاقِ
2 - وَمَا لِلْمَرْءِ حَظٌّ غَيْرُ قُوتٍ ... وَثَوْبٍ فَوْقَهُ عَقْدُ النِّطَاقِ
3 - وَمَا لِلْمَيْتِ إِلاَّ قَيْدُ بَاعٍ ... وَلَوْ كَانَتْ لَهُ أَرْضُ الْعِرَاقِ
4 - وَكَمْ يَمْضِي الْفِرَاقُ بِلاَ لِقَاءٍ ... وَلَكِنْ لاَ لِقَاءَ بِلاَ فِرَاقِ
5 - أَضَلُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سَبِيلاً ... مُحِبٌّ بَاتَ مِنْهَا فِي وَثَاقِ
6 - وَأَخْسَرُ مَا يَضِيعُ الْعُمْرُ فِيهِ ... فُضُولُ الْمَالِ تُجْمَعُ لِلرِّفَاقِ
7 - وَأَفْضَلُ مَا اشْتَغَلْتَ بِهِ كِتَابٌ ... جَلِيلٌ نَفْعُهُ حُلْوُ الْمَذَاقِ
8 - وَعِشْرَةُ حَاذِقٍ فَطِنٍ لَبِيبٍ ... يُفِيدُكَ مِنْ مَعَانِيهِ الدِّقَاقِ

تحليل وشرح :

1 - تأمل حِكم الشاعر وحدد المحور الذي تدور حوله .
2 - قسم النص إلى أفكاره الأساسية ، وضع لكل قسم عنوانه المناسب .
3 - اشرح الألفاظ التالية مستعينا بالقاموس :
عقد النطاق - قيد باع - وثاق - فضول المال .
4 - أقسم الشاعر بعمر المخاطب على حقائق يعيشها كل شخص على الأرض . اشرحها بأسلوبك .
5 - تحدث الشيخ « ناصيف » عن أكثر الناس ضلالا ، وعمّا يضيع فيه العمر خسرانا . فما هما ؟ وما رأيك في ذلك ؟
6 - صديقان يفضل الشاعر مصاحبتهما باستمرار . من هما ؟ وماذا يستفيد من كل واحد منهما ؟

الدراسة الأدبية والفنية:

أ – الأفكار :

1 – غرض النص هو الحكمة كما هو واضح . ما رأيك في أفكار الشاعر من حيث الوضوح أو الغموض . برهن على حُكمك بأمثلة .

2 – ما رأيك في تلك الأفكار من حيث العمق أو السطحية ؟ علل .

3 – الأبيات ينقصها الترابط والترتيب بين الأفكار. ما سبب ذلك .

4 – في النص حث على الزهد والتقشف . حدد الأبيات الدالة على ذلك .

5 – أكان الشاعر مجددًا أم مقلدا في معاني حِكمه ؟مثل لحُكمك مما درست في النصوص السابقة .

6 – أترى حكم الشاعر مناسبة صالحة لنا اليوم ؟ وضح رأيك ، وبيّن أثرها في حياتنا إن عملنا بها .

ب – العاطفة:

في النص عاطفة ، حدد نوعها ، وبيّن رأيك فيها مع التعليل . .

جـ – الأسلوب :

1 – أسلوب الشاعر – فيما يبدو – سهل بسيط . علل ذلك .

2 – ألفاظ النص وعباراته قريبة إلى الأفهام ، مناسبة للمعاني . اذكر أمثلة عنها .

3 – ما نوع الأسلوب الغالب على الأبيات ؟ وما غرضه الأدبي ؟

4 – ما نوع أسلوب البيت الأول ، وما الغرض الأدبي منه ؟

5 – في البيتين (2 ، 3) قصْر ، بيّن نوعه وطريقته وفائدة استعماله .

6 – بم تعلل قلة الصور البيانية في النص ؟ استخرج ما ورد منها في الأبيات (3 ، 5 ، 7) مبينا نوعها وأثرها في الكلام .

7 – لم يول الشاعر أهمية كبيرة للمحسنات البديعية ولم يستعمل منها إلا القليل .

استخرج من البيتين (1 ، 4) ثلاث محسنات ، واشرح أثرها في اللفظ والمعنى .

8 – بحر القصيدة من الوافر . قطع البيت السابع واذكر تفعيلات الوزن .

د – الأحكام والقيم :

1 – كيف تبدو لك ثقافة الشاعر ، ونظرته للدنيا من خلال النص ؟

2 – في النص قيم خلقية لها دورٌ فعال في حياتنا . اذكرها بإيجاز وبيّن دورها في حياة الفرد والمجتمع .

☆ احفظ الأبيات كلها حفظا جيدا .

مقال أدبي :

اكتب مقالا أدبيا في معنى البيت السابع ، وبين تأثير ودور المطالعة في تكوين شخصية الفرد .

نصان للموازنة

أ - من حكم أبي تمام

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيئًا ... فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءُ
رَأَيْتُ الْحُرَّ يَجْتَنِبُ الْمَخَازِي ... وَيَحْمِيهِ عَنِ الْغَدْرِ الْوَفَاءُ
وَمَا مِنْ شِدَّةٍ إِلاَّ سَيَأْتِي ... لَهَا مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
إِذَا مَا رَأْسُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَّى ... بَدَا لَهُمْ مِنَ النَّاسِ الْجَفَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ
فَلاَ وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلاَ الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

شرح لغوي :

جاريت : فعلت مثل فعله - **دنيًا** : لئيما : ساقط الأخلاق والشرف - **سواء** : متساويان في الدناءة - **العناء** : التعب والمشقة - **ما استحيا** : مدة استحيائه وخجله ، فما مصدرية ظرفية - **اللحاء** : القشرة .

ب - من حكم المتنبي

لاَ افْتِخَارَ إِلاَّ لِمَنْ لاَ يُضَامُ ... مُدْرِكٍ ، أَوْ مُحَارِبٍ لاَ يَنَامُ
لَيْسَ عَزْمًا مَا مَرَّضَ الْمَرْءُ فِيهِ ... لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلاَمُ
وَاحْتِمَالُ الأَذَى ، وَرُؤْيَةُ جَانِيهِ ، ... غِذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الأَجْسَامُ
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ
كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ ... حُجَّةٌ لاَجِئٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلاَمُ

شـرح لغـوي :

يضام : يظلم ، والمعنى : لافخر إلا لمن لايقبل الظلم ، وهو إما مـدرك أربـه أو محارب لاينام عن ثأره أو مطلوبـه - **مرّض : قصر** ، والمعنى : إن الأمر الـذي يقصر فيه الإنسان لايُدْعى عزما ، كما أن القصد الـذي يتركـه المرء في الظلام لايعـد اهتمامـا - **تضـوى :** تضعف وتهـزل والمعنى : إن الصبر على الأذى مـع مشـاهـدة المسيء ، يضعفان الجـسم - **ذلّ :** في رواية : ضل - **يغبط :** يتمنى مثل حاله - **الحلم :** العفو والصفح ، أي أن الحلم الذي يأتي من غير مقدرة لايُدعى حلما . إنما هو سِتْر يرخيـه اللّئـام على عجزهم عن المعـاقبـة - **يهن :** يـذل ، والمعنى : من يـذل مرة يتعـود على الذل ، فهو كالميت الذي لايؤلمه الجُرْح .

المـطلـوب

وازن بين النصين السـابقين أفكارًا وأسلوبًا .



تَطَوُّرُ الحِكْمَــــة

– عرف العرب الشعر الحِكْمِيَّ منذ أقدم عصورهم ، ففي الجاهلية اشتهر به زهير بن أبي سُلْمَى ولبيد بن أبي ربيعة وغيرهما . وكانت الحكمة في ذلك العصر بنت التجربة ووليدة البيئة ، تتميز ببعدها عن العمق ، ومَيْلِهَا إلَى البساطة .

– **وفي العصر الإسلامي** والأموي اقتفى الشعراء في حكمهم نهج الجاهليين ، فاقتصروا على ما تُفْرِزُه التجربة ، واكتفوا بما تَتَصَيَّدُه الملاحظة : يقول كَعْبُ بْنُ زهير ، وهو شاعر مخضرم :

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا   وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرُ
فَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ   لاَ يَنْتَهِي الْعُمْرُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَثَرُ

– **وفي العصر العباسي** أصبحت الحكمة ثمرةً للتأمل الفكري المنظم ، وقد ساعد الشعراءَ على ذلك ما كان بين أيديهم ، من مصادر العلم والثقافة التي تمخضت عنها جهود العلماء والأدباء ، في شتى مناحي العلم والأدب .

أ – وفي النصف الأول من هذا العصر أصبح بعض الشعراء يُخَصِّصون للحكمة قصائد مستقلة ، بعدما كانت من قبل تأتي في ثنايا القصائد . وخاصةً في أغراض المدح والرثاء والزهد .

ولعل الشاعر أبا العتاهية من الأوائل الذين أفردوا للحكمة القصائد الطويلة ، وإليك أمثلة من أُرْجُوزته الطويلة التي قيل إنّ عدد أبياتها يبلغ أربعة آلاف بيت :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوتُ   مَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا   مَنِ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
إِنْ كَانَ لاَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَا   فَكُلُّ مَا فِي الأَرْضِ لاَ يُغْنِيكَا

ب – أما في النصف الثاني من العصر العباسي فقد أصبح الشّعراء يُفْرِدون للحكمة قصائد

مستقلة ويستمدون بعض معانيها من الفلسفة ، كما فعل أبو العلاء المعري حين أفصح عن معتقد فلسفي في ثوب من الحكمة :

أَثْبَتَ لِيَ خَالِقَا حَكِيمًا ... وَلَسْتَ مِنْ مَعْشَرٍ نُفَاةِ

وبصفة عامة فقد تناولت الحكمة في العصر العباسي موضوعاتٍ شتى ، لا مجال لحصرها هنا ، وهي في مجملها تهدف إلى غرضٍ واحدٍ هو : توجيه الناس أخلاقيا وتربويا إلى ما يفيدهم في حياتهم الخاصّة ، وفي معاملاتهم ، وفي تقديرهم للأمور كلّها .

- وفي **عصر الضعف** أصاب الحكمة من الضعف ما أصاب باقي الأغراض ، ذلك أنّ شعراء هذا العصر راحوا يكررون المعاني التي تداولها سابقوهم ، في حُلَلٍ من التعبير شاحبةٍ ، وقد عرفتَ ذلك من خلال دراسة نص ابن الوردي .

- أما في العصر الحديث فقد أحيا شعرَ الحكمة مَنْ كان له فضل الريادة في إعادة الشعر العربي إلى ما كان يَحْظَى به من المتانة ، وهو محمود سامي البارودي الذي تُذَكِّرُنَا حِكَمُهُ بحكم فُحُول الشّعر في العصر العبّاسي :

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى ... لَكَاثَرَ رَبَّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرُ

فَلاَ الْفَقْرُ،إنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعِرْضُ،فَاضِحٌ ... وَلاَ الْمَالُ،إنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ،سَاتِرُ

والجديد في هذا العصر هو أن بعض الشعراء ربطوا حِكَمَهم بما يتصل بحياة شعوبهم الاجتماعية والسياسية اتصالاً وثيقا ، قصدَ التوجيه ونشر الوعي . فأحمد شوقي ، أمير شعراء العصر الحديث صاغ حكما بليغة في موضوع التربية والتعليم :

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلاَقِهِمْ ، ... فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلاَ

وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَأْنَ فِي أُمِّيَّةٍ ، ... رَضَعَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولاَ

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ ... هَمِّ الْحَيَاةِ ، وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلاَ

إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ ... أُمًّا تَخَلَّتْ ، أَوْ أَبًا مَشْغُولاَ

أمّا إبْرَاهِيمُ أبو الْيَقْظَان[1] فقد صاغ حكمه في السياسة يستنهض بها شعبَه لمواجهة المستعمر :

وَلِنَيْــلِ الْحَــقِّ أدْوَارٌ غَـــدَتْ	خُطُـوَاتٍ جَــازَهَـا جُـلُّ الْبَرَايَـا
فَــأَنِينٌ فَكَــلاَمٌ فَصِيَــاحٌ	فَخِصَــامٌ فَجِــلاَدٌ فَـرَزَايَـا
لَيْسَ حُكْمُ النَّفْيِ وَالسِّجْنِ وَلاَ	الْحُكْمُ بِـالشَّنْـقِ لَـهُ إلاّ مَطَـايَـا
أيُّ شَعْبٍ نَــالَ مَــانَــالَ إذَا	لَمْ يُقَـدِّمْ سَلَفًـا تِلْـكَ الهَـدَايَـا

خَصَائِصُ الْحِكْمَة

لا تأتي الحكمة في قصائد مستقلة ، إلاّ في القليل النَّادِر ، وتتميز بجملة من الخصائص أهمها ما يلي :

1 – **الطابع الإنساني** : تتناول الحكمة العربية في معظمها القِيَم الإنسانية والعواطف والآمال التي يشترك فيها جميع الناس في أقطارهم المختلفة وأزمنتهم المتباعدة .

2 – **الْخُلُود** : تتناول الحِكَمُ العربية في مجملها قِيَمًا خالِدةً ، ومن ثَمَّ فهي صالحة لكل زمان ومكان ؛ يمكن أن تستعمل في أيّ ظَرْفٍ للاستدلال والحجة .

3 – **مُطَابقتها للحقيقة** : تطابق جُلُّ الحِكم الحقيقة ، إلى حَدٍّ يمكن أن نعدها قوانين اجتماعية ، يُسَلِّمُ بصوابها جميع الناس .

4 – **الغَائِيّة** : للحكمة غايات أخلاقية وتربوية ؛ فنسبةٌ كبيرة منها تُرْشِد إلى الخير ، بخلاف بعض الأغراض الأخرى التي يحركها غرض نَفْعِي .

5 – **جودة المعنى ومتانة المبنى** : فذلك الذي يضفي على الحكمة مَسْحَةً من الجمال ، ويعطيها قوة في التأثير ؛ فالمعنى الجيد والصياغة الأنيقة هما اللذان يصنعان الحكمة المؤثرة .

---

(1) شاعر جزائري ولد بالقرارة في عام 1888 وتوفي بها في عام 1973 م .

محتويـــات الكتـــاب

تنبيـــه هـــام : كل الأجزاء المحددة للحفظ يجب استظهارها.

قســـم الأدب

الفصل الأول

القرآن الكريم والحديث الشريف

الفصل الثاني

النثر القصصي

الفصل الثالث

الرسالة

الفصل الرابع

النثر العلمي

الفصل الخامس

الغزل

الفصل السادس

الهجاء

الفصل السابع

الوصف

الفصل الثامن

الحكمة

2002 - 2001
M.S - 1201